تاريخ الحبشة

أواخر العصور الوسطى

(من خلال المصادر الملكية)

الجزء الأول

(النظم السياسية والحربية)



د. محمد علي بهنساوي

تاريخ الحبشة

أواخر العصور الوسطى

(669-947هـ/1270-1542م)

تاريخ الحبشة أواخر العصور الوسطى
من خلال المصادر الملكية
الجزء الأول
النظم السياسية والحربية
د. محمد علي بهنساوي
تصميم الغلاف: محمد دياب
رقم الإيداع: 2017/15285
I.S.B.N:978- 977- 85348- 6-3
الطبعة الأولى 2017م



الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.
المدير العام: آية سعد الدين
هاتف: 01099387500 - 01147633268
E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

د. محمد علي بهنساوي

تاريخ الحبشة أواخر العصور الوسطى

من خلال المصادر الملكية

(669-947هـ/1270-1542م)

الجزء الأول

النظم السياسية والحربية



إهداء

إلى أسرتي الحبيبة

إلى والدي وشريكة العمر ورفيقة الحياة

إلى أبنائي الأعزاء

أهدي هذا الكتاب.

د / محمد علي بهنساوي

المقدمة

يتناول هذا الكتاب فترة مهمة في تاريخ القارة الإفريقية بشكل عام، وتاريخ الحبشة على نحو خاص، وهو في الأصل عبارة عن دمج لرسالتي الماجستير والدكتواره في التاريخ الإسلامي من جامعة القاهرة، وهي تعد أول رسالة علمية عن تاريخ الحبشة منذ ما كتبه الأستاذ الدكتور/ زاهر رياض عام 1955م عن هذه الفترة، إلا أن هذا الكتاب يتميز بالعديد من الجوانب المهمة؛ إذ اعتمد على العديد من الوثائق الحبشية (باللغات الأمهرية والجعزية) التي تم الكشف عنها مؤخرًا، والقيام بمجهود كبير لترجمة هذه الوثائق عن طريق المتخصصين –وهم قليل جدًا - في هذا المجال، كما لم أعتمد بصورة كبيرة على المراجع العربية – وهي قليلة - التي تحدثت عن بعض جوانب محتويات هذا الكتاب.

وتشير المصادر والمراجع التاريخية التي اهتمت بالتاريخ السياسي للحبشة إلى ما تميزت به البلاد من الاستقرار خلال عهد الأسرة السليمانية بصفة عامة، لأنها تميزت بعدة سمات أولها طول فترة حكم بعض الملوك، إذ ظل الإمبراطور زرء يعقوب **Zara Yaqob** (838 – 873هـ / 1434- 1468م) على سبيل المثال في الحكم لمدة أربعة وثلاثين عامًا، كما استمر الإمبراطور لبنا دنجل **Lebna Dengel**(964-947هـ/1508-1541م) في الحكم لمدة اثنين وثلاثين عامًا. أما السمة الثانية فهي أن الحبشة في هذه الفترة كان لديها القدرة على القضاء على بعض مظاهر الاضطراب السياسي التي سادتها في فترات متفرقة ومحددة كانت تنتهي دائمًا بعودة الاستقرار السياسي للبلاد من جديد. والراجح أن يكون هذا النوع من الاستقرار السياسي هو أحد أهم العوامل التي أكسبت المملكة الحبشية القدرة على التصدي للقوة الإسلامية التي حاولت التوغل داخل أرجاء هذه المملكة، فضلًا عن امتلاكها عناصر المقومات الاقتصادية خاصة الطرق التجارية التي ربطت موانيها بموانئ البحر الأحمر والمحيط الهندي. وأخيرًا ترجع عظمة

هذه المملكة الحبشية – أيضًا - إلى أن السلطة السياسية المركزية فيها استطاعت أن تُحكم سيطرتها على هذه المساحات الجغرافية الواسعة، وعلى تلك الشعوب المتباينة الأصول والحضارات.

ويمكن القول إن الباحثين والمهتمين بتاريخ الحبشة كثيرًا ما تطرقوا إلى تناول حال النصرانية والإسلام بها، أو تناول العلاقات السياسية بين مسلمي ونصارى تلك الدولة. في الوقت الذي لم يكتب فيه إلا النزر اليسير عن التاريخ السياسي والحضاري للحبشة، ربما لقلة المراجع والأبحاث العربية التي تعرضت لهذا الشأن، ومن ثم حاولت رصد وتوصيف واقع تاريخ الحبشة عامة خاصة بعد أن توافر لي المصادر الحبشية الأصلية لهذه الفترة والتي كشفت المزيد من الضوء على تأثير السلطة السياسية على معظم مناحي الحياة داخل المجتمع الحبشي، بما يتضمن ذلك مظاهر الحياة الاجتماعية العامة والخاصة لهذا المجتمع.

وفيما يتعلق بالدراسات السابقة فيمكن الادعاء بأنه رغم أن ميدان الدراسة الحالية يعد من الميادين المهمة التي لم تنل اهتمام الباحثين، فهناك دراسات متخصصة في هذا المجال وبحوث تاريخية عالجت بعض جوانب الموضوع دون الجوانب الأخرى. كما أن الباحث استقى هذا البحث من البيانات والمعلومات اللازمة له من عدة مصادر حبشية وعربية، ومن بين المصادر العديدة التي اعتمدت عليها الدراسة الحالية، يمكن إبراز المصادر والمراجع التالية باعتبارها أكثر أهمية من غيرها في توجيه الدراسة الحالية وتحقيق أهدافها:-

أولًا: المصادر الحبشية:

من بين المصادر الحبشية التي كان لها إسهام كبير في توجيه الدراسة الحالية، والتي وفرت لها قدرًا كبيرًا من المعلومات المهمة الوثيقة الصلة بموضوع الدراسة كل من النصوص الحبشية التالية:-

1- النص الملكي الحبشي في عصر الملك عمدا صهيون الأول (714-745هـ/1314-1344م)، وهو يخص (الانتصارات المجيدة لعمد صهيون الأول حاكم اثيوبيا) هذا النص في الأصل مخطوطة بالمتحف البريطاني - المخطوطات الشرقية تحت رقم 821 شرق – إصدار بايز Paez - كما يوجد نسخة منه أخرى بدير الآباء الفرنسسكان بمنطقة وسط القاهرة، وقد قام بترجمته إلى اللغة الفرنسية وتحقيقه كل من العالم الفرنسي جول بروشون تحت عنوان:

- Jules Perruchon: Histoire des guerres d'Amda Seyon، roi d'Ethiopie، in Journal asiatique.ser.8، t.Xiv،1889.

كما قام بترجمته إلى اللغة الألمانية العالم الألماني مانفريد كروب تحت عنوان:

- Manfred Kropp: Der Siegreiche Feld Zug Des Konigs Amda- Seyon Gengen Dio Muslime in ADal Imjahre 1332 N. Chr Lovanii in AEdibus E. Peeters 1994.

وقد اختلف الباحثون في زمن تأليف هذه المخطوطة، فهناك رأي يستنتج من عبارات المدح الواردة في مقدمة النص إلى الإمبراطور لبنا دنجل وبعض الأعمال الخيرية والاهتمام الديني الذي تميز به عصره دليلًا على أن النص كتب في عصره، خاصة في ظل تأكيد البعض الآخر أن الغرض من كتابة هذا النص في تلك الفترة هو شد عزيمة الإمبراطور في حروبه مع المسلمين، في ظروف ربما تكون مشابهة لعصر الإمبراطور عمدا صهيون الأول، في حين يرى ديلمان أن ذكر اسم الإمبراطور جلاديوس وتيودرا في النص يعد دليلًا كافيًا أن النص كتب بعد وفاة الإمبراطور جلاديوس عام 1559م بعد أن تم تنقيحه من قبل مجهول.

وقد اعتمد الباحث على هذا النص في العصر الأول لحكم الأسرة السليمانية بعد ترجمته إلى اللغة العربية عن طريق الاستعانة ببعض المترجمين المعتمدين، والنص عبارة عن تفاصيل للحملة العسكرية التي

قام بها عمدا صهيون الأول على سلطنة عدل الإسلامية عام 1332م، وهو يشتمل أيضًا على بعض الوثائق التي تمدحه قائدًا عسكريًا ظافرًا وشخصًا تقيًا وورعًا ومؤسسًا غيورًا للكنائس والأديرة وواهبًا جوادًا عليها، ووثائق كثيرة تطلعنا على رحلات وحملات الإمبراطور وأعماله في هذا البلد.

ورغم تركيز النص على هذه الحملة، إلا أنه لم يغفل سرد حياة الإمبراطور وصفاته الشخصية وصراعاته مع الرهبان الأحباش في بداية حكمه، والتي أدت إلى اتجاه الإمبراطور فيما بعد إلى اهتمامه بإجراء العديد من الإصلاحات الكنسية، حتى عرف عصره بعصر ازدهار الحياة الكنسية، عن طريق حركة قوية لنشر الأناجيل في مناطق وأقاليم المملكة الحبشية، فضلًا عن تأسيس كنائس وأديرة جديدة في الأقاليم الوثنية والإسلامية. كما لم يغفل النص أيضًا علاقات المملكة الحبشية مع مصر في تلك الفترة في عصر الناصر محمد بن قلاوون (709-741هـ/1309-1340م)؛ إذ طلب منه أن يكف السلطان عن اضطهاد الأقباط في مصر، وهدد بتحويل مجرى النيل.

2- النص الملكي الحبشي في عصر زرء يعقوب (838-873هـ/1434-1468م) وابنه بئيد ماريام (873-883هـ/1468-1478م)، وهذا النص في الأصل مخطوطة بالمتحف البريطاني تحت رقم 821 شرق. وقد قام بترجمته وتحقيقه العالم الفرنسي جون بروشون تحت عنوان:

- Jules Perruchon: Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Baeda Maryam، Rois d' Ethiopie de 1434 A 1478، Paris، 1893.

يختلف الباحثون في زمن تأليف هذه المخطوطة، فيرى هانتج فورد أنه قد أُلِف في القرن الثامن عشر الميلادي، ورأي آخر يرى أنه قد ألف في عام 1851م، في حين يرى بروشون أن الجزء الخاص بزرء يعقوب في هذه المخطوطة يعود تأليفه إلى عصر لبنا دنجل، أما الجزء الخاص

بالإمبراطور بئيد ماريام فيعود جزء منه إلى زمن ابنه الإسكندر، والجزء الاخر إلى عصر لبنا دنجل.

وجدير بالذكر أن الباحث استفاد من هذا النص الملكي من خلال ترجمة الأستاذ الدكتور/ مجدي عبد الرازق سليمان محمد، أستاذ الدراسات الحبشية (قسم اللغات الشرقية) بكلية الآداب – جامعة القاهرة، الذي قام بترجمة هذا النص، وذلك بعد مقارنته بالمخطوطة الأصلية له التي تحمل رقم 147 بالمكتبة القومية بباريس، ومضاهاته بالترجمة الفرنسية لبروشون، وقد اعتمد الباحث على هذه الدراسة واستفاد منها استفادة كبيرة في مختلف مراحل هذا البحث، خاصة أنه يقوم باستعراض الأوضاع السياسة والدينية في المملكة الحبشية في فترات تعد – في الحقيقة - من أقوى عصور المملكة الحبشية في فترة العصور الوسطى، كما يشير إلى بعض العلاقات الخارجية للحبشة سواء مع مصر أو بعض القوى الأوربية، كما تطرق أيضًا إلى حركات الإصلاح الديني في المملكة.

والنص في مجمله تدوين تاريخي رسمي تابع للبلاط، يكتبه مؤرخ رسمي للبلاط، لذا فهو يسجل أحداث البلاط الرسمية دونما تدخل منه، وإن كان يشترك في السمة التي تميز التراجم الملكية عمومًا، حيث كان على مؤلفها إيجاد القالب الذي يمكن أن تصب فيه جمع الوقائع المختلفة، بحيث يجب تقديم الأمير أو الإمبراطور إلى القراء في الصورة التي يريدها له كاتب ترجمته. ومن هنا نقول إن النص قد جمع الأوضاع السياسية والتنظيمات الإدارية والصراع المرير بين الممالك الإسلامية والمسيحية في عصر زرء يعقوب وإخماده للثورات الداخلية، وأبرز سيطرة هذا الإمبراطور على الأديرة ودوره في إعادة ترتيب الكنيسة، إلى جانب اهتمامه بالأدب الديني واهتماماته بالفن والآداب والمناقشات الجدلية الدينية في عهده.

3- النص الملكي في عهد إسكندر وعمد صيون الثاني وناؤود، ملوك اثيوبيا. وهذا النص في الأصل مخطوطة في مكتبة بودليان باكسفورد تحت رقم 29، وهي منسوخة من المخطوطة رقم 143 الموجودة في المكتبة القومية بباريس. كما يوجد نسخة أخرى منه بدير الدومينكان في القاهرة، وقد قام بترجمته إلى اللغة الفرنسية وتحقيقه العالم الفرنسي جول بروشون تحت عنوان:

- Jules Perruchon: Histoire d'Eskender، d'Amda-Seyon II et de Na'od، roid d'Ethiopie. Text ethiopien inedit comprenant en outre un fragment de la chronique de Ba'eda Maryam، leur predecesseur، et traduction. In (Journal asiatique). ser.9 vol.3. 1894. p 319-366 sep.-Dr. Paris، 1894 mit eigener Seitenzahlung.

وقد اتفق معظم الباحثين على أن هذا النص قد تم كتابته في عصر الإمبراطور "لبنا دنجل"، خاصة أنه يشير في بعض مواضعه في الدعاء لهذا الإمبراطور وأولاده الصغار. ولم يكن كاتب النص سوى المربي الخاص بأطفال الإمبراطور إسكندر؛ إذ أشار إلى أنه توقف عن سرد الأحداث لمدة عام كامل لتكليفه من قبل الإمبراطور بمراعاة أولاده في مدينة جيز Ganz.

وقد اعتمد الباحث على هذا النص فترة الدراسة الحالية بعد ترجمته إلى اللغة العربية، ويقدم النص مثالًا للفوضى التي سادت الحبشة في هذه الفترة التاريخية، وهو عبارة عن سرد للأحداث التاريخية لحكم كل من عهد إسكندر وعمد صيون الثاني وناؤود مع جزء من تاريخ بئيد ماريام (1468-1478م) وحروبه مع مسلمي عدل وهرر. وقد أبرز النص أهم الثورات والدسائس الداخلية التي وقعت ضد الإمبراطور إسكندر من قبل كبار رجال البلاط أنفسهم، كما استعرض حروبه مع مسلمي عدل انتقامًا على هزيمة أبيه أمامهم، وهي الهزيمة التي تلقتها قواته أيضًا على يد مسلمي مدينة داكار Dakar. كما أبرز النص أيضًا

فترات الاضطربات الانتقالية في ظل موت الأباطرة تاركين وراءهم أطفالًا. ودور الإمبراطورة إيليني في إدارة شؤون البلاد سياسيًا وإداريًا.

4- تاريخ لبنا دنجل، جلاوديوس، وميناس، حكام اثيوبيا. وهذا النص في الأصل مخطوطة تحمل رقم 147 بالمكتبة القومية بباريس، كما يوجد نسخة منه أخرى بدير الآباء الفرنسسكان بالقاهرة. وقد قام بترجمته وتحقيقه العالم الألماني "مانفريد كروب" تحت عنوان:-

- Manfred Kropp: Die Geschichte Des Lebna- Dengel، Claudius Und MINAS، SCRIPTORES AETHIOPICI ، Tomus 84، Vol 83،84، LOVANII IN AEDIBUS E. PEETERS، 1988.

أما عن كاتب النص فهو غير معروف، لكننا نعرف أنه كان شاهد عيان على العديد من الأحداث، وعاش في بلاط الإمبراطور صرصادنجل، ونرى من طريقة تفكيره وسرده للأحداث أنه كان رجل دين متعلم: إذ استعان ببعض نصوص السنسكار الحبشي، كما يفسر هزيمة لبنا دنجل تفسيرًا دينيًا، واتجاه الإمبراطور لحب المال وغطرسة جنوده، فضلًا عن تفوق الأسلحة النارية للمسلمين والدعم التركي لهم.

والنص عبارة عن سرد للأحداث التاريخية والحربية والدينية في عصور هؤلاء الأباطرة، وقد تم ترجمة الجزء الخاص بالإمبراطور لبنا دنجل إلى اللغة العربية، خاصة أن هذه الفترة تحمل مكانة خاصة في تاريخ الحبشة: لأنها المرة الأولى التي يصل فيها المسلمون، بقيادة الأمام أحمد الجران (القرين - الأعسر) في حروبهم ضد الإمبراطور إلى احتلال معظم أجزاء الهضبة الحبشية.

5- النص الملكي الحبشي في عصر جلاوديوس (948-967هـ/1541-1559م)، وهذا النص في الأصل مخطوطة في مكتبة بودليان ومسجلة في كاتلوج "دلمان" تحت رقم 29. وقد قام بترجمته وتحقيقه العالم الفرنسي "وليم كونزلمان" تحت عنوان:

-W. Conzelman: chronique de Galawdewos roi d'Ethiopie‹texte ethiopian‹ Libraire Emile Bowllon‹Paris‹1895.

رغم أن هذه الفترة تعد خارج الفترة الزمنية للدراسة الحالية، إلا أن هذا النص يلقي الضوء على أوضاع الحبشة الداخلية أواخر عصر الإمبراطور لبنا دنجل بصورة كبيرة بصفة عامة، وتحتوي المخطوطة على ثمان وتسعين صفحة من الجلد، وكل صفحة مقسمة إلى ثلاثة أعمدة، وهو عبارة عن تاريخ لأحداث أربعة من أباطرة الحبشة هم لبنا دنجل وجلاوديوس ومنياس وصرصادنجل، ومؤلف هذه المخطوطة غير معروف، لكنه من المرجح أنه مؤرخ البلاط الملكي، حيث أنه قام بمدح الملوك – خاصة جلاوديوس- أكثر مما يجب، كما أنه يحتوي على الكثير من العبارات المقتبسة من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. وإضافة إلى ذلك فالنص يقوم بوصف الأوضاع السياسية والعسكرية في هذه الفترة، والوجود العسكري البرتغالي في الحبشة وأثاره السياسية، والصراع بين المذهبين الأرثوذكسي والكاثوليكي، ودفاع الأباطرة عن الأرثوذكسية.

وقد قامت الأستاذة الدكتورة/ منال عبد الفتاح محمود (قسم اللغات الشرقية) بكلية الآداب – جامعة القاهرة، بترجمة هذه المخطوطة وتفسير مصطلحاتها، لذا استفاد الباحث من هذه الترجمة التي تحتوي على معلومات كثيرة عن المساعدات الخارجية التي تلقتها الحبشة من البرتغاليين إبان عصري لبنا دنجل جلاوديوس، وتدريب الضابط البرتغاليين على الأسلحة الحديثة، إضافة إلى عرضه للمعركة التي استشهد فيها الإمام أحمد بن إبراهيم.

6- <u>كتاب كبرانجشت (عظمة أو جلال الملوك)</u>: وهو يعد من أهم مصادر التاريخ الحبشي، بل هو المصدر الأساسي الذي تمت من خلاله بلورة فلسفة التاريخ الحبشي، وتظهر أهمية هذا الكتاب على مستويين: المستوى التفسيري لتاريخ الحبشة، والمستوى التاريخي لتاريخ الحبشة

داخل الإطار اللاهوتي الذي تم وضعه. كما كان هذا الكتاب المرجع الأكبر للنظم الحكومية والكنسية في البلاد؛ حيث بيّن نظرة الأحباش إلى الإمبراطور والقوانين التي اتبعها هؤلاء الأباطرة في حكم الشعب، لذا فهو أسطورة في عين الأحباش أنفسهم؛ لأنه يحتوي في نظرهم على التاريخ الحقيقي لأصل النسب السليماني لملوك الحبشة.

وقد تم تأليف هذا الكتاب في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، واللغة التي كتبت به هي اللغة الجعزية، وهي اللغة القديمة في الحبشة، وقد قام بترجمة هذا العمل من هذه اللغة إلى اللغة العربية الدكتور مجدي عبد الرازق سليمان. وقد استفاد الباحث من هذا الكتاب استفادة كبيرة في مراحل البحث المختلفة.

إضافة إلى هذه المصادر الحبشية، فقد اعتمد الباحث على العديد من المخطوطات والمصادر العربية، وسنعرض لأهمها.

<u>ثانيًا: المخطوطات</u>

1- سيرة الأنبا تكلاهيمانوت الحبشي، وهو لمؤلف مجهول، ويعد من أهم المخطوطات التي تناولت تاريخ بداية ازدهار الكنيسة الحبشية، ودورها الرئيس في عودة العرش للأسرة السليمانية، كما يتناول نشأة القديس تكلا هيمانوت والأساطير التي حيكت حول مولده ونشأته فضلًا عن المعجزات التي تمت على يده، كما تناول أيضًا بعض تلاميذ القديس الذين كان لهم دورًا مهمًا في ازدهار الديانة النصرانية فترة الدراسة الحالية.

2- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ل(بامخرمة ت 947هـ/1540م)، وتعد هذه المخطوطة موسوعة تاريخية شاملة لكل دارس في هذه المنطقة، ذلك لما تحويه من تنوع في مادتها الشاملة، كما يعد مؤلفه من أكثر مؤرخي اليمن نشاطًا في التأليف؛ إذ أتحف المكتبة العربية بجملة كبيرة من المؤلفات في القضايا المرتبطة بعصره، وليس

فقط المرتبطة بدولة اليمن، إذ تناول هذا المخطوط قوة دولة المماليك في مصر وعلاقتها بكل من الحبشة واليمن حتى دخول البرتغاليين هذه المنطقة، والآثار الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على ذلك، وتأثير هذين الجانبين على الجانب العلمي.

ثالثًا: المصادر العربية المطبوعة

تنوعت المصادر العربية التي اعتمد عليها الباحث ما بين مصادر جغرافية وتاريخية، إضافة إلى كتب الموسوعات العامة، وذلك على النحو التالي:

أ- المصادر التاريخية ومن أهمها:-

1- كتاب "الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام" ومؤلفه هو تقي الدين المقريزي (766-845هـ/1364-1441م)، ولد في القاهرة ونشأ وتوفي بها، ودرس في الأزهر وتخصص في دراسة الفقه والحديث وعلوم الدين وبرع في الأدب وأجاد النثر، وتولى الخطابة بجامع عمرو بن العاص وبمدرسة السلطان حسن، والإمامة بجامع الحاكم، كما تقلب في عدة وظائف قضائية في القاهرة ودمشق، وكان له مكانة عند الملك الظاهر برقوق، ثم عند ولده الملك الناصر فرج من بعده.

وقد قام بتأليف "الإلمام" في مكة المكرمة سنة 839هـ/1435م؛ إذ تحدث فيه عن بلاد الحبشة وأقاليمها ومناخها، ثم تطرَّق إلى ذكر بلاد الزيلع الإسلامية وأهم إماراتها وأصلهم، كما استعرض مراحل الصراع مع الملوك الأحباش المسيحين، موضحًا انتصاراتهم وهزائمهم وبعض فترات حكمهم. ويعتبر هذا الكتاب هو المصدر الوحيد الذي أرَّخ للإمارات الإسلامية، ولذلك فقد استفاد منه الباحث استفادة كبيرة.

2- كتاب "تحفة الزمان أو فتوح الحبشة" لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن عثمان الجيزاني الشهير "بعرب فقيه" المتوفى في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وهو يعد الكتاب الوحيد الذي

أرَّخ لفترة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي ضد صليبية الحبشة: إذ تناول الأحداث المهمة بشيء من التفصيل، والتي كانت في مجملها حوادث حربية في الفترة من النصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، حيث عاش في هذه الأحداث واشترك فيها بنفسه، إذ كان في صحبة الإمام في بعض المعارك ووصفها عن مشاهدة، وهي الأحداث التي شكلت مرحلة حاسمة في العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في الحبشة في تلك الفترة، كما أمكن معرفة أسماء العديد من الأماكن والقبائل، فضلًا عن ذكره اسم ونسب بعض قبائل الأمهرية وتسلسل نسب الإمبراطور لبنا دنجل تفصيلًا، علاوة على إشارته إلى العلاقات الحبشية بالبرتغاليين، ومساعدة اليمن لحركة الإمام أحمد بن إبراهيم. ويقول المستشرق رينيه باسيه: إن فتوحات أحمد جران تعتبر آخر الفتوحات الإسلامية لبلاد الحبشة، وإذا كانت هناك مصادر غربية وشرقية تؤرخ لهذه الفترة فإن كتاب عرب فقيه الجيزاني يأتي في المقام الأول، ليس لكون مؤلفه كان أكثر حيادًا من سائر المؤلفين، وإنما لأنه صاحب قائد تلك المعارك وشاهد أكثرها، وبذلك جاء كتابه فريدًا في بابه، ودقيقًا في سرد الحوادث، ورغم ذلك فلم يتطرق الكاتب إلى المساعدات العثمانية التي وصلت للإمام في صراعه مع الأحباش المسيحيين، كما لم يبرز دور أمراء مكة في مساعداتهم له.

3- كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، الذي يعد من أهم مؤلفات شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحي بن فضل الله العمري (ت 749هـ/1348م)، ولد وتلقى تربيته الأولى في دمشق بسوريا، وينتهي نسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن ثمَّ لقِّب بالعمري، قدم إلى القاهرة ودرس بها واتخذها موطنًا له، ومال إلى التخصص في علوم الفقه واللغة وبرع في الكتابة والإنشاء، وقد تقلَّد عدة مناصب مهمة في البلاط السلطاني أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون في ولايته الثالثة من سنة 709 إلى سنة 741هـ، وترق في المناصب إلى أن تقلد ديوان الإنشاء والرسائل.

وهذا الكتاب أشبه بالموسوعة الضخمة، حيث يتكون من عشرين جزءًا، قسم إلى قسمين كبيرين، الأول في "الأرض" والثاني في "سكان الأرض"، كما تحدث عن الإمارات الإسلامية في الحبشة. فقد احتوى على سبعة فصول، تناولت معظم نواحي الحياة فيها، وهي أوفات، دوارو، أرابيني، هدية، شرخا، بالي، دارة. كما تناول دراسة الأحوال السياسية والاقتصادية والدينية والعسكرية للحبشة، ورغم ذلك فلم يشير العمري إلى إمارة شوا الإسلامية التي قامت في الهضبة الحبشية، وقد قدم العمري مادة أفادت في معظم فصول الرسالة.

4- كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" للقاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (ت 821هـ/1418م). ولد بقلقشندة، إحدى قرى مدينة قليوب، ودرس بالقاهرة والإسكندرية على يد أكابر شيوخ العصر، وتخصص في الأدب والفقه الشافعي، وبرع في علوم اللغة والبلاغة والإنشاء، وقد قام بتقسيمه إلى عشر مقالات، وقد تحدث في الجزء الخامس من الكتاب عن أخبار الإمارات الإسلامية في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حيث استقى معظم معلوماته من كتاب العمري "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار". إذ تحدث بصورة عامة عن المملكة الحبشية النصرانية، ثم قسمها إلى قسمين، القسم الأول عن "بلاد الحبشة النصرانية"، والقسم الثاني، عن "الإمارات الإسلامية" ثم تعرض لاقتصاد هذه الإمارات ونظمها السياسية والاجتماعية.

ويختلف القلقشندي عن العمري في أنه لم يورد في كتابه إلا الوثائق التي يعتقد في صحتها، والتي نقلها من المحفوظات التي تقع تحت يده. ويبدو أنه أفاد من الدفاتر التي خلفها من سبقه من الكتاب في هذه الوظيفة.

5- كتاب "تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور"، لمحيي الدين بن عبد الظاهر. ولد بالقاهرة في بيت علم وفضل. فأبوه رشيد

الدين المتوفى سنة (649هـ/ 1250م) كان شيخًا للقراء في مصر. ومن البارعين في فن القراءات. ولم تقتصر ثقافة محيي الدين على العلوم الشرعية واللغوية، بل امتدت لتشمل الأدب والتاريخ والأخبار. وهو ما مكنه من الالتحاق بديوان الإنشاء في القاهرة، الذي كان يضم فحول الكتاب البارعين. كما كان له شأن مهم إبان حكم الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل، من سلاطين المماليك البحرية. فقد كان كاتب السر أو صاحب ديوان الإنشاء لهم. وكان عليه بحكم منصبه أن ينشئ جميع الرسائل والوثائق المهمة للسلاطين. وقد ألف كتابًا في سيرة بيبرس وصلتنا أجزاء منه. وقد أتاح له عمله في ديوان الإنشاء إصدار المكاتبات الرسمية والرسائل السلطانية، والرد على الرسائل الواردة، ومتابعة أعمال السلطان اليومية ومشاهدة الأحداث عن قرب. وكان كل ذلك مادة خصبة لمؤلفاته التاريخية.

وقد أمدنا هذا الكتاب بمعلومات قيمة عن بعض العلاقات ين أباطرة الحبشة وسلاطين مصر، والهدايا المتبادلة بين الطرفين. كما أعطى إشارات عن الصراع ين ممالك الزيلع الإسلامية والمملكة النصرانية، فضلًا عن إشاراته إلى حجم الجيش في كل من جيوش المسلمين والنصارى بالحبشة.

ب- كتب الجغرافية والرحلات ومن أهمها:

1-كتاب "معجم البلدان"، لياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م) ولد ياقوت الحموي عام 575هـ/1171م في مدينة حماة، ولهذا يلقب أحيانًا بالحموي، واستوطن مدينة بغداد ونشأ بها فلقب بالبغدادي، وقد أسر الروم والده في غارة لهم على مدينة حماة، حيث تزوج من فتاة رومية فقيرة أنجبت "ياقوتا" ولهذا لقب بالرومي. حفظ القرآن الكريم في مسجد متواضع وتعلم القراءة والكتابة والحساب، تعلم شؤون التجارة وسافر إلى عدة بلاد منها بلاد فارس وكافة أرجاء الشام والجزيرة العربية وفلسطين ومصر، وكان أثناء رحلاته يدون ملاحظاته الخاصة عن

الأماكن والبلدان والمساجد والقصور والآثار القديمة والحديثة والحكايات والأساطير والغرائب والطرائف.

ويعد هذا الكتاب من أهم وأشمل المعاجم العربية الجغرافية في التراث العربي الإسلامي، وأكثرها دقة وأصالة، وقد استفاد الباحث من هذا الكتاب في معرفة الكثير عن الحبشة، إذ ذكرها ياقوت في أكثر من موضع، فقام بتحديد موقعها وأطلق على الجزء الجنوبي لبحر القلزم (البحر الأحمر) اسم بحر الحبشة، كما قام بشرح بعض جبالها، وأهم عادات وتقاليد سكانها، وبعض كنائسها، وأوضاعهم الاقتصادية، وأهم الصادرات والورادت، كما قام بذكر بعض العادات الاجتماعية لبلاد الزيلع خاصة فيما يخص عادات الزواج، وطرق الصيد. أي قدم صورة عن أوضاع الحبشة وبلاد الزيلع الاجتماعية والاقتصادية.

2- كتاب "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" لابن بطوطة (ت 779هـ/1377م): المعروف أيضًا باسم رحلة ابن بطوطة. وهو كتاب يصف رحلته ويتحدث عن أهلها وحكامها وعلمها ويصف الألبسة بألوانها وأشكالها وحبوبها ودلالتها، ولا ينسى الأطعمة وأنواعها وطريقة صناعتها، بعد أن أمضى ثلاثين عامًا في الرحلات في بلدان العالم، ولم يترك ابن بطوطة بلدًا مر فيه إلا وصفه وذكر أهله وحكامه وعلماءه وقضاته في قالب قصصي وأسلوب جذاب قريب من لغة العامة وأسلوبهم. وقد حظيت منطقة شرق إفريقيا ببعض المعلومات المهمة التي ذكرها ابن بطوطة. وقد أمر السلطان أبو عنان المريني بتدوين هذه الرحلة واختار لذلك فقيها أندلسيا التحق ببلاط بني مرين وهو ابن جزي الكلبي.

3- كتاب "الروض المعطار في خبر الأقطار" و(مؤلفه الحميري ت 899هـ/1326م). أراد بهذا الكتاب ذكر المواضع والأماكن المشهورة العربية والأعجمية التي اتصلت بها قصة أو حكمة أو غير ذلك مما يستجوب ذكره. كما لم يلتفت إلى ذكر الأماكن المعمورة أو غير المشهورة.

ورغم أنه أراد لكتابه أن يكون معجمًا جغرافيًا تاريخيًا، فإنه تعمّد الإيجاز في مواضيع عديدة. وقد قسّم الحميري هذا الكتاب إلى قسمين مختلفين: الأول ذكر فيه الأقطار والجهات، أما القسم الثاني ذكر فيه الأخبار والوقائع والمعارف المختلفة بها. وقد قام بترتيبها ترتيبًا حرفيًا.

وقد استفاد الباحث من هذا الكتاب نظرًا لما يحتويه من مادة جغرافية وتاريخية مهمة عن بلاد شرق إفريقيا عامة، وبعض مدن بلاد الحبشة خاصة، حيث أمدنا بمعلومات عن أهم خصائص هذه المدن وعادات سكانها الاجتماعية، كما تطرق أيضًا إلى النشاط الاقتصادي فيها، لا سيما التجارة وأحوال السكان وعاداتهم وتقاليدهم.

رابعًا: المصادر الأجنبية:

كتاب الرحالة الأب فرانسيسكو الفاريز:-

- Francisco Alvarez: The Prester John of the Indies translated by C.F. Beckingham and G.W.B Huntingford، Cambridge ; Hakluyt Society، 1961.

وهو يتكون من جزأين، والأب الفاريز كان ضمن أعضاء إحدى السفارات التي أرسلتها البرتغال إلى الحبشة، لذلك فقد كتب الفاريز عن كل ما رآه أثناء طريقه إلى بلاط الإمبراطور لبنا دنجل، خاصة أنه كان يمكث في كل إمارة فترة غير قليلة من الوقت. لذلك تعد كتاباته مصدرًا أساسيًا للجغرافيين والمؤرخين وعلماء الاجتماع وغيرهم. وذلك لما يتضمنه الكتاب من معلومات وتفاصيل عن كل المناطق التي مر عليها الفاريز، لذلك فقد استفاد الباحث من هذا الكتاب فائدة كبيرة: نظرًا لما يحتويه من مادة علمية كبيرة ومهمة يمكن الاعتماد عليها في رصد كثير من جوانب الحياة السياسية وموظفي البلاط الإمبراطوري، كما ألقى الضوء على الحياة الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية لهذه الدولة، وذلك بالكثير من التفاصيل.

خامسا: المراجع العربية:

1) كتب الأستاذ الدكتور/ رجب محمد عبد الحليم والتي تعد من أهم المراجع العربية التي استعانت بها الدراسة، ومن هذه المؤلفات:

أ-العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، الذي يعد من أهم المراجع في المكتبة العربية، حيث يمتاز بإبراز جذور هذه العلاقات وأصل الصراع بين الطرفين. كما أمدنا بمعلومات قيمة عن الحدود الجغرافية للمنطقة، كما أبرز طبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية التي كانت قائمة بين الممالك الإسلامية في بلاد الزيلع وبين دولة الحبشة المسيحية، والعوامل الحقيقية للعداء والصراع ونتائج تلك الحروب التي انهزم فيها المسلمون في منتصف القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. وقد تناول الحروب التي دارت بين الفريقين. وقد استفاد الباحث من هذا الكتاب كثيرًا خاصة فيما يتعلق بمظاهر العداء والصراع بين الحبشة وممالك الزيلع الإسلامية.

ب- أما كتاب العروبة والإسلام في إفريقيا الشرقية منذ ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين، والذي يعد من أهم الدراسات التي تناولت بالدراسة منطقة شرق إفريقيا، حيث تعرض إلى الناحية الجغرافية للمنطقة، كما تعرض للهجرات العربية والإسلامية التي استقبلها هذا الساحل، ووسائل الدعوة إلى الإسلام، وما أحدثته هذه الهجرات من تغيرات شملت كافة جوانب الحياة. كما تعرض إلى الممالك الإسلامية التي قامت بهذا الساحل (شوا – أوفات- عدل) التي وضعت قواعد حضارية إسلامية زاهرة اختلطت بالمؤثرات الإسلامية الإفريقية، وأصبحت هذه الحضارة ذات طابع إسلامي إفريقي فضلًا عن علاقات هذه الممالك ببلاد الحبشة بشيء من التفاصيل.

3- راهب من دير البراموس: الرهبنة الحبشية نشأتها، تطورها، تأثيرها، قديسوها:

وهو يعد من أهم المراجع العربية التي تناولت أصول ونشأة الرهبنة الحبشية، إذ تناول تاريخ دخول وتطور المسيحية في البلاد، وما تبع ذلك من كثرة بناء الكنائس والأديرة ومواصفاتها وأشهر الأديرة الحبشية وقديسوها وإسهاماتهم الدينية، كما استعرض أيضًا الجماعات الدينية المختلفة التي ظهرت في الحبشة نتيجة السفر إلى بعض الدول العربية والأوربية، وهو الأمر الذي أدى إلى ازدهار الحياة الفكرية الدينية في الحبشة.

كما تناول الكتاب أيضًا حياة الرهبان اليومية داخل أديرتهم، ودورهم في تعليم المجتمع الحبشي أمور ديانتهم. فضلًا عن إلقاء الضوء على أهم الأعياد الدينية الحبشية وما يتبع ذلك من سلوكيات تخص كل عيد على حدة.

4- ريتشارد هول: "إمبراطوريات الرياح الموسمية":

من الكتب ذات الفائدة لهذه الدراسة، ويعد هذا الكتاب من الكتب المهمة عن البرتغاليين ودورهم في شرق إفريقيا والحبشة، كذلك دورهم في النشاط التجاري بين ساحل شرق إفريقيا، والجزيرة العربية، والهند، والصين، وغيرها من البلدان، ومدى استفادة العرب المسلمين من هذه التجارة، كما ألقى الضوء على دور البرتغاليين في الحروب التي قامت في الحبشة، وإمدادها بالأسلحة والجنود.

5- عزيز سوريال عطية: تاريخ المسيحية الشرقية: وهو ترجمة لكتاب

Aziz Atiya: A History of Eastern Christianity

يرصد هذا الكتاب دخول المسيحية في الشرق والإسكندرية بصفة عامة، والحبشة بصفة خاصة، إذ تناول الأصول التاريخية للكنيسة الإثيوبية وتطورها، وقواعد الإيمان والثقافة الإثيوبية، كما ألقى

الضوء على العلاقات بين الكنيسة الإثيوبية والغرب الأوربي، خاصة في عصر الإمبراطور زرء يعقوب، حتى قيام البعثات التبشيرية البرتغالية في إثيوبيا.

6- ممتاز العارف: الأحباش بين مأرب وأكسوم: يستعرض هذا الكتاب تاريخ الحبشة منذ أقدم العصور وحتى العصور الحديثة؛ إذ يتناول ملامح جغرافية وطبيعة أرض الحبشة، وأصول قبائل الأحباش وعلاقتهم باليمن، والأديان في الحبشة ونفوذ الكنيسة والرهبنة ورجال الدين في البلاد، وقد استفاد الباحث أيضًا من بعض ملامح التاريخ الاجتماعي من أمور الزواج والتقويم الحبشي وبعض الآداب المتبعة في البلاط الحبشي، كما تناول الصراع بين مسلمي الحبشة ونصارى الزيلع، ولم يغفل الكاتب أيضًا استعراض بعض ملامح الحياة الاقتصادية في الحبشة.

7- شوقي عبد القوي عثمان حبيب: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (41-904هـ/661-1498م): وهو من المراجع التي تناولت الطرق الملاحية والمراكز التجارية في المحيط الهندي، وعلاقتها بأهم موانئ البحر الأحمر المرتبطة في ذلك الوقت بالحبشة، كما أمد الباحث أيضًا بكل مظاهر النشاط التجاري في هذا المحيط، والعلاقات التجارية التي كانت تربط بين الدول وبعضها، وأهم السلع والبضائع التي تم تبادلها فيما بين دول العالم فترة العصور الوسطى، وعلاقة الحبشة بهذه الدول، والسلع التي كان يتم تصديرها واستيرادها من هذه الدول.

8- عبد المجيد عابدين: بين الحبشة والعرب، وقد استفاد البحث منه استعراضه لبعض الموضوعات المهمة؛ مثل العلاقات الأولى بين اليهود والأحباش، ثم هجرات العرب إلى سواحل البحر الأحمر وتكوين الإمارات العربية عليها، فضلًا عن استعراضه لأسطورة القديس يوحنا، إضافة إلى بعض الثورات الداخلية التي كانت في هذه البلاد. كما استفاد الباحث أيضًا من استعراض الكتاب اشتغال الأحباش المسيحيين في هذه الفترة بالخلافات المذهبية والعلاقات الروحية التي

ربطت بين الكنيستين الحبشية والمصرية، فضلًا عن استعراضه لبعض اللغات السامية في الحبشة في هذه الفترة.

سادسًا: المقالات العربية

1- سعيد عبد الفتاح عاشور: "بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى". نشر بالمجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، العدد الثاني، مايو 1952م. وقد قامت هذه الدراسة بتوضيح أطر الروابط الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية بين مصر والحبشة خاصة في عصر الحروب الصليبية، كما ألقى الضوء على الحروب التي قامت بين مسلمي الحبشة ونصارى الحبشة، وبعض السفارات التي أرسلها أباطرة الحبشة إلى الغرب المسيحي، والبدايات الأولى لمحاولة ضرب مصر، كما أوضحت هذه الدراسة أن ما كان يحدث بين هؤلاء الأباطرة وملوك الغرب كان ينعكس بدوره على العلاقات مع مسلمي الزيلع وكذلك علاقاتهم بمصر.

2- مراد كامل: له العديد من المؤلفات المهمة التي تخص تاريخ الحبشة، ربما لكونه متخصصًا في اللغة الحبشية القديمة، والتي استفاد الباحث منها في مراحل البحث المختلفة، ومن أهم هذه المقالات "الرهبنة الحبشية"، الذي نشر في رسالة مارمينا عن الرهبنة القبطية، الرسالة الثالثة، مطبوعات جمعية مارمينا العجايبي، الإسكندرية، مايو 1948م. وقد أبرز دور الرهبان التسعة والقديسين الأحباش بصفة عامة في النشاط الديني والثقافي عن طريق ترجمة الكتب الدينية في الحبشة، كما تناول نظام الرهبنة الحبشية التي أخذت معظم شرائعها من الرهبنة المصرية، ودور المطران المصري وأهميته الرئيسة في البلاد، أما المقال الثاني ويحمل عنوان "صلة الأدب الحبشي بالأدب القبطي" في رسالة مارمينا أيضًا سبتمبر 1947م. وقد أوضح فيه أن هذا الأدب كان منقولًا في البداية من اللغة اليونانية، إذ تم نقل الأسفار المقدسة وكتب الطقوس الدينية، وقد استمر ذلك حتى بدأ النقل من اللغة العربية،

حيث وصل الأدب الحبشي إلى ذروته في فترة الإمبراطور زرء يعقوب، وامتد ذلك الانتعاش إلى خمس من خلفائه تمثل فترة الدراسة الحالية.

3- <u>تاديسي تامرات:</u> "القرن الإفريقي" "السليمانيون" في إثيوبيا ودول القرن الإفريقي، في المجلد الرابع من تاريخ إفريقيا العام، موسوعة اليونسكو، باريس، 1997م. ويعد هذا المقال من أهم المقالات لمن يرغب في دراسة تاريخ الحبشة بصفة عامة، إذ تناول الجغرافيا السياسية لمنطقة القرن الإفريقي منذ القرن الثالث عشر الميلادي حتى القرن السادس عشر الميلادي، كما تناول بشيء من التفصيل الشعوب واللغات السائدة في البلاد آنذاك، وكذلك تناول دراسة الإمارات الإسلامية الساحلية وعلاقاتها السياسية مع إمبراطور الحبشة، وأسس البنية السياسية للإمبراطورية الإثيوبية وأراضيها الشاسعة عن طريق المعسكر الإمبراطوري.

4- <u>سيف الإسلام بدوي بشير:</u> "البلاط الإثيوبي والزعماء المسلمون بالحبشة حتى عام 1525م"، الذي نشر في مجلة دراسات إفريقية، العدد الرابع والعشرين، ديسمبر 2000م. ويعد من أهم المقالات التي تناولت العلاقات السياسية للسلطنات الإسلامية بالإمبراطورية الحبشية؛ خاصة سلطنة أوفات التي استحوذت على مناطق حركة القوافل التجارية، وتفاوت هذه السلطنات كمًا وكيفًا من حيث طبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية مع إمبراطور الحبشة المسيحي، كما يعرض المقال إلى ازدهار الكنيسة الحبشية واعتبارها مصدرًا مهمًا من مصادر حكم المملكة في ذلك الوقت، ما كان له الأثر الفعال في هزيمة المسلمين في أكثر من موقعة حربية.

5- <u>صلاح أبو جودة اليسوعي:</u> كنيسة إثيوبيا الكاثوليكية، وهو من أهم المقالات التي تناولت انتشار المسيحية في الحبشة حتى ازدهار الكنيسة الإثيوبية في عهد زرء يعقوب، كما أشار إلى التأثير الغربي في

الحبشة عن طريق البعثات البرتغالية التي زارت الحبشة عام 1486م، حتى استنجاد الإمبراطور لبنا دنجل رسميًا بهم.

<u>سابعًا:الكتب الأجنبية.</u>

1- كتب العالم الإنجليزي ريتشارد بانخورست وعددها كبير جدًا ومن أهمها:-

- Richard Pankhurst: An Introduction to the Economic History of Ethiopia from Early time to 1800، London، England ، 1961.

<u>أ - مدخل لتاريخ إثيوبيا الاقتصادي منذ العصور المبكرة حتى عام 1800م:</u>

يعد من أهم الكتب الأجنبية التي تناولت تاريخ الاقتصاد الحبشي فترة العصور الوسطى حتى التاريخ الحديث؛ إذ تناول المحاصيل الزراعية وأنواع الحيوانات والماشية والغابات، ولم يغفل هذا الكتاب أيضًا علاقة الكنيسة بأراضي الإقطاع، وارتباطهما بالدولة وأوضاع الفلاحين في ظل هذا النظام، إضافة إلى أهم الصناعات الموجودة آنذاك، واهتمام أباطرة الحبشة بتطورها، والثروة المعدنية الموجودة بها، والعملات السائدة آنذاك، كما ألقى الضوء على الطرق التجارية الداخلية، وأهم الموانئ الخارجية الحبشية في ذلك الوقت، وارتباطها بتجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي، فضلًا عن أهم السلع التجارية وهي الذهب والرقيق والعاج.

- Richard Pankhurst: A social history of Ethiopia، the northern and central highlands from early medieval times to the rise of Emperor Téwodros II، Published Trenton، NJ: Red Sea Press، 1992.

<u>-ب- تاريخ إثيوبيا الاجتماعي، المرتفعات الشمالية والوسطى منذ أوائل العصور الوسطى حتى عصر الإمبراطور تيودرا الثاني.</u>

يعد من أهم الكتب الأجنبية التي تناولت تاريخ الحبشة الاجتماعي فترة العصور الوسطى حتى التاريخ الحديث؛ إذ تناول أهم عناصر المجتمع المختلفة والقبائل المتعددة التي سكنت الهضبة الشمالية والمرتفعة، كما تناول أيضًا طبقات المجتمع المختلفة بما تحتويه من طبقات أرستقراطية وعامة، إضافة إلى طبقة رجال الدين الذي أفرد لها مساحة كبيرة، إضافة إلى أهم المظاهر الاجتماعية العامة والخاصة المصاحبة لذلك المجتمع، فضلًا عن دور المرأة وأدوارها المختلفة في هذا المجتمع.

- **Richard Pankhurst: The Ethiopians ، Blackwell، Cambridge ، London ، 1998.**

ج- الاثيوبيون:

– وهو من الدراسات المهمة التي تناولت جغرافية بلاد الحبشة منذ أقدم العصور إضافة إلى تاريخ البلاد حتى العصور الحديثة، كما تناول اهتمام الأباطرة ببناء الكنائس والأديرة والعلاقة بين هؤلاء الأباطرة ورجال الدين، كما تطرق أيضًا إلى استعراض الحياة بصفة عامة بين كل من نصارى الحبشة ومسلمي الزيلع حتى قيام الحروب بين الفريقين، فضلًا عن استعانة كل فريق بالقوى الخارجية الأوربية.

2- كتاب "بيت الحبشي":-

- **C.H. Walker، O.B.E: The Abyssinian at Home، London، 1933.**

وهو من أهم وأروع الكتب التي تناولت حياة المجتمع الحبشي بشكل مفصل: إذ تناول أنواع الزواج الشائعة آنذاك سواء بين طبقات الشعب أو الطبقة الأرستقراطية، وما يتبع ذلك من أمور ما بعد الزواج والعادات المتبعة معها، مثل الولادة والتعميد، فضلًا عن تعليم هؤلاء الأولاد في مدارس الكنيسة، كما تناول دور الكنيسة في حياة المجتمع الحبشي والقوانين التي تحكم ذلك المجتمع، فضلًا عن كثير من

السلوكيات العديدة المرتبطة بكل مناسبة في حياته اليومية والعادات المرتبطة بها من أمراض ومأتم وأعياد... إلى غير ذلك من السلوكيات.

3- كتاب "الأرض والمجتمع في المملكة المسيحية الإثيوبية":-

Donald Crummey: Land and Society in the Christian Kingdom of Ethiopia، university of Illino، press، 2000.

يعد هذا الكتاب من أهم الكتب على الإطلاق التي تناولت الأرض وعلاقتها بالسلطة السياسية والدينية منذ أقدم العصور، كما أورد العديد من منح الإقطاع التي وهبها هؤلاء الأباطرة سواء للكنيسة أو للنبلاء، وما يتبع ذلك من تأجير هذه الأراضي لعامة الشعب مقابل الضرائب التي يتم تحصيل أضعافها لتسديدها لخزينة المملكة. ما أسهم في بناء النظام الإمبراطوري، كما أبرز دور رجال الدين في السيطرة والإشراف على هذه الأراضي لاستخراج أقصى ما يمكن الاستفادة منه، كما أبرز العقود التي كان يتم كتابتها بين الإمبراطور وهذه الهيئات والأفراد المختلفة والتي استقى الباحث معظمها من الكنائس والأديرة.

4- كتاب تاريخ إثيوبيا، (النوبة والحبشة) للسير وليز بدج:-

- **Budge (E.A.W): A History Of Ethiopia ، Nubia & Abyssinia، London، 1928.**

– ويعد من أهم الكتب القيمة في الدراسات الأجنبية عامة، حيث احتوى على العديد من الموضوعات المهمة عن العصور الأولى في تاريخ الحبشة، إضافة إلى أنه قام بتعريف البلاد ومساحتها وجغرافيتها واقتصادها، فضلًا عن أنه ألقى الضوء على عناصر السكان ودياناتهم، كما ألقى الضوء على فترة ملوك الأجويين، ثم بدأ بتسلسل ملوك الأسرة السليمانية حتى العصور الحديثة، وعرض لأهم الأحداث السياسية لكل ملك على حدة. وقد استفاد الباحث كثيرًا من عرض المؤلف لبعض المناصب العسكرية والمدنية، وأسلوب تنظيم الجيش وتقسيماته.

والحروب التي خاضتها الدولة مع المسلمين، وهو كتاب لا غنى عنه لأي باحث في تاريخ الحبشة.

5- كتاب العالم تاديس تامرات بعنوان الكنسة والدولة في إثيوبيا (1270- 1537م):-

- Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia (1270-1527)، Oxford، Clarendon press، 1972.

وهو أحد المرجع الأجنبية المهمة في تاريخ الحبشة في العصور الوسطى، حيث تناول التوسع المسيحي في الحبشة، وبدايات تكوين الإمارات الإسلامية فيها، كما تناول الجوانب الإدارية والاقتصادية ومدى الترابط بين إدارة المملكة والكنيسة الحبشية، ويحسب له أنه من المؤرخين الذين تناولوا موضع الإقطاع ومدى تدخله في سياسة الدولة، ويعتبر الفصل الثالث أهم فصول هذا المرجع لأنه سلط الضوء على الجوانب السياسية والاقتصادية وإدارة الجيش وعلاقة رجال الكنيسة بالإمبراطور. يذكر أنه تناول أيضًا علاقات الحبشة الخارجية بأوربا عامة وبالحملات الصليبية خاصة، ورغم ذلك فإنه لم يتناول الجوانب العسكرية بشيء من التفصيل، كما أنه أعطى تركيزه فقط لفترة حكم كل من عمدا صيون وزرء يعقوب.

6- كتاب إثيوبيا والبحر الأحمر لمؤلفه موردخاي أبير

Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea The Rise and Decline Of The Solomonic Dynasty and Muslim – European Rivalry in the Region، Gainsborough House، London، E11.Rs، England، 1980.

هو من المراجع القيمة جدًا التي كتبت عن الحبشة، والتي تناولت معظم جوانب الحياة فيها حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادي، والتي اتصفت أيضًا بنوع من الحياد، ويمتاز هذا المرجع بأنه قسم فترة حكم الأسرة إلى فترتين، الفترة الأولى: فترة ما قبل القرن السادس عشر الميلادي، والفترة الثانية: فترة ما بعد القرن السادس عشر الميلادي حتى

نهاية عصر الإمبراطور جلاوديوس، وقد شرح الكاتب هذه الفترات بتغطية معظم الجوانب السياسية والحضارية بل والعسكرية أيضًا، كما أعطى مساحة غير قليلة لبعض الحروب التي دارت بين المسلمين والمسيحيين، إضافة إلى إشارته إلى المساعدات البرتغالية التي حسمت الصراع بين الطرفين المتحاربين فيها.

ثامنًا: المقالات الأجنبية.

1-Taddesse Tamrat: The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535، in Journal of Ethiopian Studies، VIII، no.1، 1970.pp.65-69.

- رؤساء أديرة دبر حيق في الفترة من 1248- 1535م:-

يعد هذا المقال من أهم مقالات التي نشرت عن تاريخ الحبشة لما يحتويه من وثائق مهمة وخطيرة تتعلق بعلاقة الكنيسة بالدولة، وأهمها وثائق منح الأباطرة الإقطاع لهذه الكنائس، كما حوى عددًا كبيرًا من الوثائق عن رحلات وحملات الأباطرة على المسلمين. كما ركز الضوء على رؤساء هذا الدير وأعمال كل منهم ودوره في حركات الأصلاح الديني فترة الدراسة الحالية، وقد استفاد الباحث من هذا المقال المهم خاصة فيما يتعلق بالحياة الدينية وأهميتها وعلاقة ذلك بالنظام السياسي للدولة.

2- Haber land، E: The Influence of the Christian Ethiopian Empire on Southern Ethiopia، In Jss، Ix، 1964.

- تأثير الإمبراطورية المسيحية الإثيوبية على جنوب إثيوبيا:-

يدرس هذا المقال المسيحية الحبشية، إذ يشير الكاتب إلى انتشار المسيحية في المملكة الحبشية ومحاولة الأباطرة لنشر تعاليمها في المناطق الوثنية والإسلامية في جنوب البلاد، وذلك لمحاولة جذب بعض السكان إلى الديانة المسيحية، كما يشير أيضًا إلى تمسك المسلمين بدياناتهم، بل ومهاجمة الأحباش في أواخر العصور الوسطى.

3- Edward ullendorff: Hebraic. Jewish Elements in Abyssinian، (Monoghysite) Christanity، JSS،I ، July،1956.

- العبرانية والعناصر اليهودية في الحبشة:-

يعالج هذا المقال أوضاع يهود الفلاشا في الحبشة واختلافهم عن باقي اليهود الموجودين في فلسطين، كما تناول آراء المؤرخين حول أصول الفلاشا، وأماكن معيشتهم في الحبشة، كما استعراض المقال أيضًا الحياة الدينية والتشريع اليهودي في الحبشة رغم أنهم لا يعرفون اللغة العبرية، كما أشار المقال أيضًا إلى سياسة الأباطرة الأحباش تجاه الفلاشا الذين قاموا ببعض الثورات ضد المملكة الحبشية حتى سيطروا عليهم في النهاية.

وقد بذلت ما في وسعي في هذه الدراسة مستعينًا بالله ثم بالمصادر المختلفة، فإن كنت قد أصبت بلوغ القصد، ووفقت إلى الصواب في عرض هذا الموضوع وإيفائه بعض حقه؛ فذلك بفضل الله وتوفيقه، ثم بفضل أستاذي الأستاذ الدكتور/ حسين سيد عبد الله مراد أستاذ التاريخ الإسلامي ووكيل المعهد لشؤون المجتمع والبيئة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، والأستاذ الدكتور/ كرم الصاوي باز أستاذ التاريخ الإسلامي ورئيس قسم التاريخ ومدير مركز البحوث والدراسات السودانية بالمعهد، والأستاذة الدكتورة/ زبيدة محمد عطا أستاذة تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب - جامعة حلوان، ورئيس لجنة ترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين، والتي كان لها فضل كبير في استكمال مشواري التعليمي.

كما أتقدم بالشكر والعرفان للدكتورة/ منال عبد الفتاح أستاذة الدراسات الحبشية (قسم اللغات الشرقية) بكلية الآداب – جامعة القاهرة لما قدمته لي من مساعدة في ترجمة بعض النصوص الحبشية (التي لم تنشر باللغة العربية من قبل) ومقارنتها باللغة الفرنسية في فترة

البحث، فضلًا عن التفسيرات الخاصة بالمصطلحات الواردة في النص الحبشي.

والله أسأل أن يهدينا إلى ما فيه الصواب.

د / محمد علي بهنساوي

القاهرة – حلوان.

28 رمضان 1438هـ

23 يونيه 2017م

القارة السمراء إفريقيا لم تلقَ حقها من الدراسة في الفترات السابقة، فالاهتمام في الدراسات التاريخية انصب على الشرق وأوربا. أما إفريقيا فكان التركيز على غرب إفريقيا ودول المغرب العربي. رغم أن النيل يربط مصر بإفريقيا برباط قوي، بل شريان حيوي كأنه صلة نسب ودم، ولذلك فإن الاهتمام بدول حوض النيل أصبح اليوم هدفًا قوميًا كشف عن مدى تجاهلنا لهذا الجزء الحيوي من عالمنا، لذلك جاءت دراسة د/ محمد على بهنساوي لدولة مهمة كالحبشة لتلقي الضوء على تاريخ هذه الدول الذي يضرب في أعماق التاريخ، والتي لها تاريخها وحضارتها واحتياجنا لنفهم فكر الآخر. ولقد تناولها بدراسة عميقة سواء في الماجستير "الفن الحربي في الحبشة في عهد الأسرة السليمانية"، أو الدكتوراه "السلطة والمجتمع الحبشي في عهد الأسرة السليمانية"، وتعتبر رسائله خطوة بناءة في معرفة إفريقيا والتواصل معها في دراسة جادة ومتميزة من جميع الجوانب، ونرجو منه أن يواصل تلك الدراسات التي تمتاز بالجدية ليغطي نقصًا في مجال الدراسات التاريخية الإفريقية.

أ. د / زبيده محمد عطا.

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة حلوان

تمهيد

أولاً : أصل تسمية الحبشة

ثانياً : أثر البيئة الجغرافية علي بلاد الحبشة

ثالثاً : ظهور الدولة السليمانية في الحبشة

أ- ظهور الديانة النصرانية.

1- بداية انتشار الإسلام وسيطرة المسلمين علي التجارة والاقتصاد.

2- ضعف الأسرة الزغاوية وانقسامها الديني .

3- اضطراب الأحوال السياسية أواخر حكم الزغاوة وظهور يكونو أملاك.

ب- وسائل يكونو أملاك للوصول إلي العرش.

1- حركة (يكونو أملاك) المناهضة للزغاوة.

2- تحالف (يكونو أملاك) مع رجال الدين .

أولا: أصل تسمية الحبشة

أطلق الكتاب والمؤرخون اليونانيون القدماء والرومان وغيرهم اسم إثيوبيا (التي تعني ذا الوجه المحروق) على السكان من ذوي البشرة السوداء ممن سكنوا في المساحات الشاسعة الممتدة جنوبي مصر من إفريقيا غربًا إلى أسيا شرقًا[1]. فقد ذكرها هوميروس وهيردودت وغيرهم، واعتبروا أن إثيوبيا تبدأ من حدود مصر الجنوبية[2]. بينما ذكرها ديودوروس الصقلي في مؤلفه "مكتبة التاريخ"، والعالم الروماني سترابو في جغرافيته. وأشارا إلى أن إثيوبيا كانت جزءًا من مصر وامتدادًا طبيعيًا لها وتقع إلى الجنوب منها[3].

أما عن كلمة الحبشة فهي نسبة إلى قبيلة حبشت Habashat، تلك القبيلة العربية السامية التي هاجرت من جنوب بلاد العرب عبر باب المندب في الألفية الأولى قبل الميلاد، حيث وصلت إلى المرتفعات الشرقية وأسسوا لأنفسهم مملكة حول "أكسوم"[4]. حيث جلبوا معهم نظام كتابتهم الخاصة بهم، والذي تطور فيما بعد إلى اللغة الجعزية. يذكر أن هذه القبيلة "حبشت" كانت تعد من أقوى القبائل، واستطاعت أن تعطي اسمها للمنطقة. فصار سكانها يعرفون باسم الأحباش. كما وجدت في نقوش اليمن القديمة بهذا الاسم[5].

1- Edward Ullendorff: The Ethiopians an introduction to country and people, London, oxford university ,Press Newyork.toronto,1965 ,pp.1-2.

2-Budge (E.A.W): A History Of Ethiopia , Nubia & Abyssinia, London,1928, pp.120-122.

3-Thomas P. Ofcansky and Laverle Berry: Ethiopia A Country Study, Federal Research Division Library of Congress,2004, p.6 see also Paul E. Le Roy, Slavery in the Horn of Africa " Horn of Africa , Vol 2, n 3 (July/ September, 1979,p. 10 and notes 1 & 2 on, p. 18.

4-A.H.M. Jones and Elizabeth Monroe: A history of Ethiopia, oxford university, at the clarendon press,1974 , pp 2-6.

5 - فتحي غيث: الإسلام والحبشة عبر التاريخ، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص 5، عبد المجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947م، ص ص 12-15.

على أية حال يمكن القول أنه يوجد إجماع لدى المؤرخين على أن اسم الحبشة هو الاسم الصحيح لما يطلق عليه حاليًا "إثيوبيا"[1] لأنه يشمل مجموعة من السكان ذوي ثقافة محددة تعيش في أرض واحدة ومذهب مسيحي واحد[2]. وبالتالي فهو "أي الحبشة" أكثر انطباقًا على الأرض والشعب سواءً من الناحية الأثنولوجية أو التاريخية أو الجغرافية[3]. وعلى ذلك فمن الخطأ تاريخيًا إطلاق اسم إثيوبيا على هذا الجزء الحبشي، فهم ليس لهم صلة بإثيوبيا، لأن الحبشة تنتمي إلى أحباش أكسوم القدماء الذين أشارت المراجع إلى انتمائهم إلى أصل يمني قديم[4].

ثانيًا: أثر البيئة الجغرافية على بلاد الحبشة

لم تتفق المصادر القديمة على حدود جغرافية ثابتة معروفة للحبشة آنذاك، فقد ذكر الكتاب والمؤرخون اليونانيون القدماء أن

---

1 - قام الإمبراطور هيلاسلاسي Haile Selassie (1930-1974م) بتحويل اسم دولته من الحبشة إلى إثيوبيا رسميًا في عام 1955م، وذلك بعد أن أقنعه كل من المستشار الفرنسي جان ليكلانت السكرتير الدائم للأكاديمية الفرنسية للفنون والمخطوطات، والفرنسي جان فيركوتا عالم المصريات ومؤسس دائرة الآثار في السودان، والفرنسي أندريه كاكوت أخصائي الكتابة الجعزية والسريانية، وقد نجح الثلاثة في إقناع الإمبراطور بأن اسم الحبشة اسم مهمش وفقير وتغيير اسم بلاده رسميًا إلى إثيوبيا. للمزيد انظر:

- David W. Phllipson: Ancient Ethiopia, British Museum Press, London, 1998,p.39

2- J. B. Coulbeaux: Histoire politique et religieuse d'Abyssinie ("The Political and Religious History of Abyssinia"), Paris, 1929, p.79.

3 -Saheed A. Adejumobi: the History of Ethiopia, first published, Greenwood, London, 2007, pp.2-7.

4 - إبراهيم علي طرخان: الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة في العصور الوسطى، بحث بالمجلة التاريخية المصرية، القاهرة، المجلد الثامن،1959، ص 3-4 أيضًا

- Lionel Nenter: Comment of the use of the Term Abyssinia American Anthropologist , Vol, 79 n. , January, 1977, pp.269-275

الحبشة تبدأ من حدود مصر الجنوبية، بينما ذكر الجغرافيون الرومان أنها كانت جزءًا من مصر وامتدادًا طبيعيًا لها وتقع في الجنوب منها[1].

وقد أشارت العديد من المصادر المختلفة إلى شدة غموض جغرافية الحبشة ومنطقة القرن الإفريقي في العصور الوسطى، إلا أن بعض الجغرافيين العرب أشاروا إلى منطقة الحبشة، فقد أطلق اليعقوبي (ت 284هـ/879م) اسم "مملكة البجة"[2] على جميع الأراضي التي كانت تمتد من جنوبي أسوان إلى البحر الأحمر، وإن كان قد قسمها إلى عدة أقسام، إذ أطلق على المملكة السادسة اسم "مملكة النجاشي"، ووصفها بأنها بلد واسع عظيم الشأن، ثم يعود اليعقوبي ويذكر اسم "مملكة الحبشة"، إلا أنه ذكرها ذكرًا مستقلًا، وربما يرجع السبب في ذلك العصر إلى عدم امتداد سلطة النجاشي إلى الهضبة الجنوبية الشرقية والهضبة الجنوبية الغربية، وهذا يعني أن السيطرة التى فرضها النجاشي على الحكام المحليين فى تلك المناطق لم تكن سوى سيطرة اسمية، وقد يكون هذا هو الوقت الذي بدأت تمتد فيه أكسوم إلى الجنوب[3]. أما ابن خرداذبة (205-280هـ/820-893م) فقد حددها

---

1 - فتحي غيث: المرجع السابق، ص6، خديجة أحمد الطناشي، العلاقات السياسية بين القوى الإسلامية والمسيحية في الحبشة خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، مركز دراسات جهاد الليبيين، دار الكتب الوطنية، طرابلس، الطبعة الأولى، 1996م، ص 37.

2 - البجة أو البجا أو البجاة: اسم يطلق على الشعب الذي يسكن ما بين ساحل البحر الأحمر ونهر النيل في السودان، وعلى امتداد من الشمال مرورًا بمنطقة مثلث حلايب، وجنوبًا ما بين باضع (مصوع حاليًا) وجزر دهلك، وهم من أقدم الشعوب الإفريقية يعود نسلهم إلى كوش بن حام بن نوح وقيل إلى سام بن نوح، كما أنهم محاربون أشداء وكانوا يغيرون على مملكتي النوبة والحبشة، بل إسقاطهم لمملكة الحبشة القديمة وعاصمتها أكسوم في القرن الثاني الهجري / القرن الثامن الميلادي، ثم حكمت البجة بلاد الحبشة لفترة من الزمن وأنشأوا عاصمة ملكهم وتدعى بقمدر (لا زالت قائمة حتى اليوم في شمال إثيوبيا) وترجمة اسم بقمدر من اللغة الحبشة أي أرض البجة. انظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، الجزء الأول، دار صادر، بيروت،1379هـ/ 1960، ص ص 188-189، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص428، رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في إفريقيا الشرقية، ص 14-15، فتحي غيث: المرجع السابق، ص 23-25.

3 - اليعقوبي: المصدر السابق، ص 190-192.

بقوله: "وفي أعلي مصر النوبة والبجة والحبشة"[1] كما أشار إليها المسعودي (283-340هـ/896-957م)، لكنه لم يحدد موقعها[2]. كما تحدث عنها الأصطخري (ت346هـ/957م) وأورد ابن حوقل (ت367هـ/977م) نفس تحديد الأصخري تقريبًا، إذ قال عنها: "وأما الحبشة فإنها على بحر القلزم، وهو بحر فارس، فينتهي حد لها إلى الزنج وحد لها إلى البرية إلى بين النوبة وبحر القلزم، وحد لها إلى البجة والبرية التي لا تسلك... وهي تجاه اليمن وفارس وكرمان إلى أن تحاذي بعض أرض الهند"[3].

ولقد بذل الإدريسي (493-560هـ/1100-1164م) عدة محاولات لتحديد جغرافية الحبشة؛ إذ تمكن من تحديد معظم أراضيها، إلا أنه لم يستطع تحديد أماكنها الجغرافية، إما بسبب تغيير أسمائها أو بسبب الحروب المستمرة بين المسلمين والمسيحيين[4].

كما ذكر ياقوت الحموي (574-626هـ/1178-1225م) في كتابه معجم البلدان، موقع جزر دهلك ومنطقة الزيلع، أما كتاب تقويم البلدان لأبي الفدا (672-732هـ/1273-1331م) فقد حددها بقوله: "بلاد الحبشة متصلة بالبحر وساحل الحبشة مقابل لبلاد اليمن، والحبشة مدن كثيرة وبلادهم تتصل بالخليج البربري"[5].

---

1 - ابن خرداذبة: المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت،ص ص4، 62. كرم الصاوي: ممالك النوبة في العصر المملوكي، اضمحلالها وسقوطها وأثره في انتشار الإسلام في سودان وادي النيل 648-923هـ /1250-1516م مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2007م، ص 12. انظر أيضًا

- Leo Reinisch: Egypt and Abyssinia, The Geographical Journal, Vol.9, No.3, Mar., 1897, p.36.

2 - المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، 4 أجزاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1986م، ج1، ص422.

3 -ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1922م، ص25.

4 - أغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1975، ص38.

5 - ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الجزء الثاني، ص214، أبو الفدا، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس،1840م، ص153.

كذلك وصف ابن فضل الله العمري (700-749هـ/1301-1349م) الحبشة بأنها "بلاد متسعة"[1]. كما قام أيضًا بتحديد موقعها جغرافيًا بقوله: "إن أول بلادهم من الجهة الشرقية المائلة إلى بعض الجهة الشمالية بحر الهند واليمن... والجهة الغربية إلى بلاد التكرور وما يلي جهة اليمن"[2]، وقد أخذ كل من القلقشندي (756-821هـ/1355-1418م) والمقريزي (764-845هـ/1364-1442م) نفس تحديد العمري تقريبًا، أما القناني فقد حددها بأنها المنطقة الواقعة شرق إفريقيا إلى الجنوب الغربي للبحر الأحمر، أى أنها المنطقة المقابلة لدولة اليمن[3].

كما بدأ السير وليم بدج Budge كتابه بالنوبة، على أساس أنها جزء من إثيوبيا، كما حددها جغرافيًا بأنها كل البلاد التي تقع بين النيل والبحر الأحمر، ومن شمال النوبة إلى ما بعد خط الاستواء، إلا أن حدودها اختلفت بسبب كثرة النزاعات والحروب من وقت لآخر[4].

كما أشار إلى موقع الحبشة أيضًا العديد من الرحالة الأجانب، فقد كتب ماركو بولو عن جغرافية بلاد الحبشة حيث ذكر أنها قطر فسيح الأطراف يسمى بالهند الوسطى أو الثانية[5].

---

1 - ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق أيمن فؤاد سيد، دار الاعتصام، القاهرة، 1974م، ص30.

2 - ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الرابع، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزايمة ويوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة،الطبعة الأولى، 2001م، ص46.

3 - أحمد الحفني القنائي: الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان، المطبعة الأميرية، مصر، 1321هـ، ص ج، ابن منظور: لسان العرب، ج2، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ص 753، 754.

4 - Budge :op., cit.,pp.121-122.

5 - وليم مارسدن: رحلات ماركو بولو، ترجمها إلى العربية عبد العزيز جاويد، مكتبة الأسرة، 2004م القاهرة، الجزء الثالث، ص84. ولد ماركو بولو في 15 سبتمبر 1254م وهو يعد من أشهر الرحالة في العالم في العصور الوسطى، إذ انطلق مع أبيه وعمه من مسقط رأسه مدينة البندقية في إيطاليا إلى أرض الصين، وعمل في خدمة قبلاي خان إمبراطور الصين، كما سافر إلى أجزاء من العالم لم يزرها أحد من الأوربيين قبله، فبالإضافة إلى رحلاته إلى مقاطعتي شانسي Shansi وشينسي Shensi الواقعتين في شمالي الصين، سافر أيضًا متوغلًا في الشمال إلى منغولية، وزار قره قورم Karacorum عاصمة

وفي مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ازدادت المعرفة الجغرافية عن منطقة الحبشة وذلك من خلال شهادة بعض رجال الدين القساوسة الأحباش الذين زاروا أوروبا فضلًا عن بعض الكتاب والرحالة البرتغاليين الذين طافوا بالحبشة لعدة سنوات. فقد كتب أليساندرو زورزي Alessandro Zorzi عن أرض القديس جون Prester John's[1] أنها تمتد تقريبًا حتى مقديشو وبها ما لا يقل عن مائة وعشرين مملكة[2].

أما عن الرحالة البرتغاليين، فلدينا الأب فرانسيسكو ألفاريز Francisco Alvarez الذي طاف بالحبشة لمدة تجاوزت خمسة وعشرين

المغول السابقة. ووصل إلى سيبيريا. كما زار مقاطعة يونان Yunnan ومن هناك إلى شمال مينمار (بورمة). وقام برحلات بحرية تجارية لمصلحة الخان الأعظم إلى أقاصي الهند. لجلب التوابل والعطور والمجوهرات وخشب الصندل والأبنوس. ومنها إلى جاوة وسومطرة وجزر نيكوبار وسيلان ومالابار.

وبعد أن أمضى ماركو بولو سبعة عشر عامًا في خدمة قبلاي خان مع أبيه وعمه. قرّر في سنة 1292 العودة مع أسرته إلى البندقية. فأذن لهم قبلاي خان بذلك. وبعد مضي ثلاث سنوات من عودته، بعد رحلة دامت أربعة وعشرين عامًا، يذكر أنه كان ذا موهبة أدبية، مكّنته من تسجيل رحلاته على نحو يختلط فيه جمال الأسطورة بالملاحظة العينية. في كتاب سُمّي «رحلات ماركو بولو» أو «المليون». ولا يُعرف بصورة واضحة منشأ العنوان الشعبي «المليون». ولا توجد حتى اليوم نسخة أصلية موثّقة من هذا الكتاب مع وجود نحو 140صيغة مختلفة من الكتاب في أكثر من عشر لغات. وقد توفي في 8 يناير 1324 في البندقية. للمزيد انظر حسين محمد فهيم. «أدب الرحلات». سلسلة عالم المعرفة. رقم 138 (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. 1989م. أغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي. المرجع السابق. ص ص 45-62.

1 - برستر جون: هو اسم كان يطلق خطأ في البداية علي الإمبراطور المسيحي الذي كان يحكم بعض أجزاء آسيا الوسطى، ثم قالت أسطورة أخرى إنه ملك مسيحي سوف يظهر من المغول ويحارب المسلمين وينتصر عليهم وقد أطلق عليه اسم "برسبيتر" لأنه كان دائمًا ما يحمل الصليب إلى أعلى مثلما يفعل الأساقفة. ولكن هذا الاسم أطلق خطأ على الإمبراطور الحبشي وظل ملازمًا له حتى بدايات العصور الحديثة. انظر:

- Manoel de Almeida: Some Records of Ethiopia 1593-1646, Trans,. And Ed.by C.F. Beckingham& G. W. B Huntingford, Hakluyt Society,N. Y. 1990,

2 -O.G.S.Cra Wford: Ethiopians itineraries Circa 1400- 1524, including those collected by Alessandro Zorzi at Venice in the years 1519-24, Cambridge,1985,pp.25-29.

عامًا منها ست سنوات كاملة في بلاط ملك الحبشة لبنا دنجل (1520-1526م). وذكر الأب ألفاريز أن مملكة الحبشة امتدت من سواكن حتى مملكة دنقلة الإسلامية[1].

كذلك ذكرها الرحالة دوارتي باربوسا Duarte Barbosa الذي زار منطقة القرن الإفريقي في الفترة 1512-1515م، ووصف الحبشة بأنها عالم عظيم جدًا وأرض واسعة. معتقدًا أن منطقة السودان كانت ضمن حدود الحبشة[2].

ومن المحاولات الأكثر دقة التي اهتمت بتحديد جغرافية الحبشة، تلك المحاولة التي حددتها بأنها ذلك الجزء المواجه لجزيرة العرب على الساحل الغربي للبحر الأحمر، ويحدها البحر الأحمر من الشرق، وممالك النوبة المسيحية[3] من الشمال والغرب، والهضبة الاستوائية من الجنوب، وبمعنى آخر يمكن اعتبارها بأنها المنطقة الوسطى التي تقع بين سودان وادي النيل غربًا والنوبة شمالًا والبحر الأحمر شرقًا، وأغلب هذه البلاد - باستثناء الجزء الصحراوى الشرقي - يفصلها عن بعضها البعض سلاسل من القمم العالية التى يصل ارتفاع بعضها إلى نحو 9000 قدم فوق سطح البحر، في حين يصل أقصى ارتفاع لجبالها لنحو

1- Francisco Alvarez: The Prester John of the Indies translated by C.F. Beckingham and G.W.B Huntingford , Cambridge ; Hakluyt Society, 1961,p.29

2- Duarte Barbosa: A Description of the Coasts of East Africa and Malabar in the Beginning of the Sixteen Century, London,1966, pp.87-91.

3 - اليعقوبي: المصدر السابق، ص191، البلاذري، فتوح البلدان، الطبعة الثانية، القاهرة،1932، ص ص331-333، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، نشره محمد مصطفى زيادة، الطبعة الثانية، لجنة التأليف والترجمة القاهرة، 1979، ج1 ق2 ص608، سبنسر ترمنجهام، الإسلام في السودان، ترجمة فؤاد عكود، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001، ص 74، 83، كروباتشيك: النوبة من نهاية القرن الثاني عشر حتى فتح الفونج في بداية القرن السادس عشر، المجلد الرابع، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، 1988، ص ص400- 407. انظر أيضًا:

- L.Dudley Stamp: Africa Astudy In Tropical Development , John Wiley , sons, 1nc,New york1948 ,p. 54 see also Budge: op, cit., pp.103-104

14000 قدم، وهي بمثابة حواجز يصعب التغلب عليها، ويحيط بهذه الهضبة العالية صحارى جرداء منخفضة، كانت بمثابة حصن طبيعي يحميها من الأخطار الخارجية. وترتب على هذه الطبيعة أن عاش أهل الحبشة في جزائر منعزلة تعوق الجبال العالية اتصال بعضهم بالبعض[1].

أما عن تضاريس الحبشة فإنها تتميز بعظم ارتفاع هضابها، فهي أعلى هضاب قارة إفريقيا؛ إذ يصل متوسط ارتفاعها إلى 2500 متر فوق سطح البحر، وهناك قمم تعلو على أربعة آلاف متر، وهي أعلى ما تكون في الشمال والشرق، ويرجع ارتفاعها إلى الطفح البركاني الذي يغطي معظم الهضبة[2].

ورغم ذلك فلا تعتبر الحبشة إقليمًا جبليًا بل هضبة مرتفعة مستديرة الشكل، وليست سلاسل جبال، فهي أقاليم عالية في الغالب مستوية السطح، وإن كان هناك مناطق امتازت بعلو جبالها وهي التى تقع في وسط الهضبة المترامية الأطراف كالجزر القائمة وسط البحار[3].

وهذه الجبال والهضاب يتخللها أنهار متعددة، ومن أهمها السوباط في الجنوب الغربي، بينما نجد في الغرب النيل الأزرق الذي يمد النيل الرئيس بحوالي 80% من مياه الفيضان، والذي يبدأ من بحيرة تانا ويتعرج في وسط الهضبة وتأتيه روافد عدة جدًا، وفي الشمال نهر عطبرة وهو أهم روافد النيل الذي يمد مصر بفيضانه، وتنصرف مياه الهضبة في الجنوب الشرقي نحو المحيط الهندي في نهر جوبا ونهر وبي شبيلي[4].

1 - R.S. Whiteway: The Portuguese Expedition to Abyssinia in (1541-1543), second series, the Hakluyt Society, London, 1961, p.xxxii.

2 - حسن محمد جوهر: إثيوبيا، دار المعارف، القاهرة، 1964م، ص ص 129-130.

3 - راشد البراوي: الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961م، ص18.

4- Budge: op. cit., pp. 141-142.

وتتخلل الهضبة عدة أودية عميقة وشقوق هائلة تكونت بفعل الاضطرابات التي تعرضت لها القشرة الأرضية، كما ترجع إلى عوامل التعرية بسبب أمطار الصيف الغزيرة، وقد ترتب على عملية التعرية ظهور تلال تشبه المخروطات المتقطعة يطلق عليها اسم الأمبا "Ambas"[1].

ولا شك أن لطبيعة بلاد الحبشة الجبلية - السابق وصفها - آثارًا إيجابية كبيرة على تاريخ وطابع سكانها من الأحباش وذلك على عدة أوجه مختلفة من أهمها:-

1- أثرت هذه التلال في تاريخ الملوك الأحباش إذ كان يأوي إليها الملوك وأتباعهم خلال أوقات الغزو، فقد هرب إليها الإمبراطور لبنا دنجل (964-947هـ/1508-1541م) أثناء صراعه مع الإمام أحمد بن إبراهيم[2].

2- أودع ملوك الأحباش هذه التلال والمعاقل كنوزهم وثرواتهم، كما أودعوها المغضوب عليهم من قبل هؤلاء الملوك المعارضين لحكمهم[3].

3- إن من بين هذه المعاقل الجبلية ما اتخذه ملوك الأحباش مكانًا للإقامة الجبرية لجميع الأبناء الذكور من الأسرة الحاكمة فيما عدا أبناء الإمبراطور القائم على العرش، وذلك تجنبًا لعدم قيام ثورات مناوئة لحكمه[4].

1- Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia (1270-1527), Oxford, Clarendon press, 1972, p.282.

2- Alvarez: op, cit., p. 231.

3 - عرب فقيه: تحفة الزمان وفتوح الحبشة، نشرة رنيه باسيه، تحقيق محمد شلتوت، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ- 1974م، ص200-202.

4- Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea The Rise and Decline Of The Solomonic Dynasty and Muslim–European Rivalry in the Region, Gainsborough House, London, E11.Rs, England, 1980 ,p.21.

4- إن قمم جبال الحبشة الكبيرة المستوية وطبيعية الجبال وسرعة جريان الماء في الأنهار وعمقها جعلت الحرفة الأساسية للسكان هي رعي الماشية على سفوح الجبال الخضراء لمدة طويلة في السنة. لذا كان دأبهم التنقل بالقطعان، والاستقرار هناك قليل لا يدوم إلا عندما يتزل المطر فيحل وقت بذر الحبوب. كما هيأت هذه الطبيعة الجو المناسب لزراعة المحاصيل، وبذلك وفرت لأهلها نوعًا من الاكتفاء الذاتي، لذا كانت الحياة الاجتماعية بدوية تعتمد على كثرة الترحال على حساب الثبات والاستقرار[1].

5- تعد هذه الهضاب والجبال بجوانبها الشديدة الانحدار بمثابة حماية طبيعية للبلاد من أي عدوان أجنبي خارجي. فلا توجد دولة سواء في العصور القديمة أو الوسطى استطاعت احتلال الحبشة. لذلك فلا عجب أن نجد الأحباش يتفاخرون لقرون عدة بأنهم شعب لم يقهر[2]. كما أكد ذلك القلقشندي بقوله عن الأحباش بأنهم "كثيرو العدد وبلادهم لم تتعرض لغزو خارجي ولم يملكها غيرهم ويتبعها أحد عشر إقليمًا"[3].

ورغم ذلك فقد كان لهذه الطبيعة بعض الآثار السلبية ومنها:

1- Richard Pankhurst: The Ethiopians , Blackwell, Cambridge , London , 1998, pp.7-8.

2 - Charles F. Rey: Unconquered Abyssinia as it is to-day: an account of a little known country, its peoples & their customs, considered from the social, economic & geographic points of view, its resources & possibilities, & its extraordinary history as a hitherto unconquered nation, London, 1923,p 35.

3 - القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الجزء الخامس، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د.ت، ص 302، انظر أيضًا:

- Ernest.W.Luther: Ethiopia today, first published, Oxford University press, 1958.p.1.and David Anderson: Michael Brett: The Journal of African History, Cambridge University press, Vol.29. No1.1988. pp.6-7.

1- كثيرًا ما تعذر على الملوك بسط سلطانهم على المقاطعات البعيدة التي تفصل بينها الحواجز الطبيعية. فعندما يعلن أحد النبلاء أو الأمراء رفع راية العصيان ويعتصم بهذه الجبال، يصعب على قوات الإمبراطور أن يخضعه لسلطانه. لذا فقد ظلت بعض العشائر المتمردة على السلطة المركزية تحتفظ باستقلالها لفترات طويلة[1].

2- أقام العديد من الأحباش على أقصى هذه المرتفعات والقمم هاربين من الوديان حيث تشتد حرارة الجو. وهو الأمر الذي عانوا فيه صعوبة المواصلات عبر هذه الوديان. كما أن هذه الطرق لم تكن آمنة بشكل كافٍ في وجود عصابات الشفتا (قطاع الطرق)، فظل الأحباش في عزلة عن العالم الخارجي. يحيط بهم أجناس لا يدينون بدينهم، فحملهم هذا على الحذر من كل ما هو أجنبي، وهو الأمر الذي أدى إلى أن يظل السكان بعيدين عن كل تطور في الفكر أو في وسائل المعيشة[2].

وإذا كانت تضاريس الحبشة قد تركت آثارًا بعضها إيجابي والآخر سلبي على السكان الأحباش. فقد كان للمناخ أيضًا على الأحباش تأثيرًا كبيرًا بارتفاع السطح مما يساعد على تلطيف الجو. كما يعد عاملًا فعالًا في سقوط الأمطار بغزارة على كثيرٍ من الجهات، وقد أدى التفاعل بين هذه العناصر إلى تقسيم بلاد الحبشة إلى ثلاثة أقاليم طبيعية لكل منها خصائصها. وهي على النحو التالي:-

1- أقليم القلة (Kolla-Qolla)

يشمل الأراضي المنخفضة حتى ارتفاع 1800متر. ويتميز بارتفاع درجة الحرارة ويقل فيه جريان الرياح. كما ترتفع أيضًا نسبة الرطوبة. وهذا المناخ يعد مناخًا مداريًّا صحراويًّا قاسيًا في حرارته ورطوبته[3].

1- Trimingham J S: Islam In Ethiopia , oxford, 1952, pp.24-25.

2- Budge :op., cit.,p.120.

3 - فيليب رفلة: الجغرافيا السياسية لإفريقيا، مع دراسة شاملة للدول الإفريقية سياسيًا واقتصاديًا وطبيعيًا، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، 1966م.

وقد أثر هذا الجو على شخصية السكان من الأحباش. فلا شيء أقسى على الحياة البشرية من اجتماع الحرارة والرطوبة. مما يعوق أي تقدم لإنماء أي حضارة، الأمر الذي يفسر ندرة سكان هذا الإقليم وتفرقهم الشديد وامتهانهم لمهنة رعي الإبل والأغنام[1].

2- إقليم ديجا (Dega)

وهو على النقيض من الإقليم الأول. فهو يشمل الأراضي التي يزيد ارتفاعها إلى أكثر من 4500 متر، ومناخها معتدل إذ يصل متوسط درجة الحرارة به إلى 16 درجة مئوية، الأمر الذي أتاح إمكانية زراعة المحاصيل التي تحتاج إلى جو معتدل لنموها خاصة القمح والشعير والفول والفاكهة[2].

يذكر أنه رغم أن انخفاض درجة حرارة هذا الأقليم قد أدت إلى إقامة بعض السكان الأحباش فيه. إلا أن هذه الأقامة لم تكن بالكثافة المعهودة، وذلك على اعتبار أن انخفاض كثافة الهواء يجعل من العمل والإقامة أمرًا شديد الإرهاق[3].

3- إقليم ويناديجا Woina Dega

يعد هذا الإقليم وسطًا بين الإقليمين السابقين من حيث الارتفاع (1800-4000م) أو من حيث متوسط درجة الحرارة (22 درجة مئوية)

ص339، ممتاز العارف، الأحباش بين مأرب وأكسوم، منشورات المكتبة العصرية، بيروت،1975م، ص ص 24-25.

1- G.W.B Huntingford: The Historical Geography of Ethiopia From the first Century AD to 1704, London, British Academy, 1989, pp. 102-107. see also Budge: op., cit.,p.120.

2 - فتحي محمد أبو عيانة: جغرافية إفريقيا، دراسة للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987، ص 506.

3 - فتحي محمد أبو عيانة: المرجع السابق، ص 506.

إضافة إلى كمية الأمطار: أي إن مناخه شبه مداري ويشمل مناطق هضبة الحبشة[1].

ويعرف هذا الإقليم باسم "مرتفعات الكروم - النبيذ"؛ نظرًا لأنه يتمتع بأخصب الأراضي الزراعية لزراعة الكروم، كما يزرع فيه القطن والبن والذرة الرفيعة والزيتون، ومن الملاحظ أن هذا الإقليم هو أكثر أقاليم الحبشة من حيث الكثافة السكانية[2].

ثالثًا: قيام الدولة السليمانية[3]

يتناول هذا القسم من الدراسة ظهور الدولة السليمانية في الحبشة على يد (يكونو أملاك)Yekuno Amlak (669-684هـ/1270-1285م) وذلك من خلال إلقاء الضوء على الجوانب التاريخية التالية:

أ- ظهور الديانة النصرانية

أشار العديد من الباحثين إلى أن دخول الديانة النصرانية إلى الحبشة كان في حوالي عام 350 ميلادي، (حوالي منتصف القرن الرابع

---

1 - المرجع السابق، ص 507.

2- G.W.B Huntingford: op., cit.,p.107.

3 - تنسب الأسرة السليمانية إلى سيدنا سليمان -عليه السلام، وتقول الأسطورة إن ماكيدا ملكة سبأ قامت بزيارته حيث أعجب بها وتزوجها وحملت منه ثم عادت إلى قومها وأنجبت ابن حكيم، وقد شب الغلام في رعاية أمه إلى أن كبر وأراد أن يزور أباه، فأرسلته إليه حيث فرح به سليمان كثيرًا وغير اسمه إلى منليك وعلمه حكمته، ولما صمم على أن يعود إلى أمه وقومه، تمكن أن يأخذ من أبيه تابوت العهد الذي كان سليمان يحفظ فيه الألواح الإلهية التي كتبها الله للنبي موسى -عليه السلام، ثم عاد به إلى الحبشة ليحكمها ومعه أسباط إسرائيل ومنه تسلسل ملوك الحبشة منذ القرن العاشر قبل الميلاد حتى القرن العاشر الميلادي حين اغتصب العرش منها أسرة أخرى حكمت البلاد حوالي أربعة قرون حتى تمكن يكونو أملاك من طردها في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وإعادة الأسرة القديمة إلى عرشها ممثلة في شخصه. انظر مجهول: سيرة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم 99 لاهوت، ورقة 3، زاهر رياض، العصر الأول من الأسرة السليمانية في الحبشة من يكونو أملاك إلى زرء يعقوب وعلاقة المسلمين بالمسيحيين بوجه خاص (1268- 1468م)، رسالة دكتواره غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 1955م، ص34.

الميلادي) بعد أن اعترف بها الإمبراطور (عيزانا) Ezana. وفي الواقع فإن انتشار النصرانية في الحبشة جاء بصورة مغايرة عن انتشارها في كثير من البلدان المسيحية، فبينما انتشرت النصرانية في معظم البلدان المسيحية في اتجاه أفقي: أي بين الطبقات الفقيرة والمعدمة في المجتمع دون غيرها من الطبقات، جاء انتشارها في الحبشة بصورة عكس ذلك تمامًا، فقد اعتنقها الإمبراطور والطبقات العليا أولًا ثم انتشرت بين الطبقات الفقيرة بعد ذلك، الأمر الذي أدى إلى سرعة انتشارها دون أي اضطهاد يذكر، كما أدى أيضًا إلى التشدد والتعصب في أخذ تعاليمها[1].

ورغم هذا الانتشار السريع للديانة النصرانية، وهذه البداية القوية لظهورها، إلا أنها سرعان ما تعرضت لكثير من المؤثرات التي أضعفت من قوتها، وبصفة خاصة ما يتعلق بتعرض هذه الديانة لتأثير اليهودية وبعض التأثيرات الوثنية[2]. فقد كان ليهود الفلاشا أثرٌ كبير في أفكار الأحباش السياسية والدينية[3]، الأمر الذي أدى إلى ضعف تأثير

1 - يقول المقريزي في هذا: "الحبشة قوم يدينون بالنصرانية من قديم الأزل، ويتبعون مذهب اليعقوبية، وهم يتشددون في ديانتهم تشددًا كبيرًا" انظر المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف، القاهرة، 1958م، ص2.

2 -Sven Rubenson: Some Aspects of the Survival of Ethiopian Independence During the Perios of the Scramble for Africa, University College of Addis Ababa Review , Vol, 1961, p.69.

3 - للمزيد من التفاصيل عن يهود الفلاشا انظر الجزء الثاني من هذا الكتاب، ومن بين هذه المؤثرات السياسية التي رسخها اليهود الأحباش قصة سيدنا سليمان وملكة سبأ والتي سماها الأحباش (ماكيدا). كما ربط الأحباش بين ابن سليمان الحكيم وبين منليك مؤسس الأسرة الملكية في الحبشة. أما عن المؤثرات الاجتماعية، فقد احتفظت الديانة النصرانية في الحبشة ببعض التقاليد اليهودية القديمة، فقد اعتبر الأحباش يومي السبت اليهودي والأحد المسيحي من الأيام المقدسة والمحبب فيها الصلاة والعبادة، كما استمرت عادة التفريق بين الحيوانات الطاهرة والنجسة، وكذلك فكرة تدنيس الأشخاص الذين يخالطون نساءهم وهن في فترة الحيض، والأكثر من ذلك أنهم قاموا بنقش صورة إبليس أعلى بعض الكنائس والأديرة وذلك لكي يتذكر الرجال بخبث النساء وأفعالهن القبيحة التي تشبه أفعال الشيطان بالإضافة إلى عادة ختان البنات والبنين، فضلًا عن عادة الذبح عند تأسيس إحدى الكنائس الجديدة إذ يتم ذبح أي من

النصرانية على السكان الأحباش وتسرب الكثير من المعتقدات والخرافات للمجتمع الحبشي، وهكذا فقد تحولت الديانة النصرانية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب معقدة مليئة بالشكوك والشبهات، بعد أن كانت تعاليم المسيح الأولى بسيطة سامية لا تعقيد فيها[1].

وهناك العديد من الظروف والمؤثرات التاريخية التي أدت إلى ضعف تأثير هذه الديانة، الأمر الذي مهد الطريق أمام ظهور الإمبراطور (يكونو أملاك) واستيلائه على الحكم 669هـ/1270م. ومن أهم النتائج المترتبة على ضعف تأثير الديانة النصرانية بالحبشة ما يلي:

1- بداية انتشار الإسلام وسيطرة المسلمين على التجارة والاقتصاد:

في ظل الظروف السابقة بدأ انتشار الإسلام تدريجيًا في الحبشة يحمله إليها التجار. وقد تمثلت هذه الظروف في ضعف ملوك أكسوم الذين كانوا أضعف من أن يقوموا بحماية عاصمتهم، فضلًا عن ضعف الكنيسة الحبشية وعجزها عن القيام بأداء رسالتها الروحية وهو ما خلق فراغًا روحيًا عاش فيه الشعب الحبشي[2]. وهو الأمر الذي أدى بدوره إلى انتشار الإسلام، وقيام المسلمين بتأسيس العديد من السلطنات والإمارات الإسلامية في القرن الثالث الهجري/ التاسع

الحيوانات مثل الثور أو الماعز، وأخيرًا عادة تعدد الزوجات والتي حرص عليها الأحباش متأثرين ببعض العادات الوثنية القديمة والتي استمرت في الحبشة طيلة العصور الوسطى وبدايات العصر الحديث، وللمزيد حول هذا الموضوع انظر صادق المؤيد: رحلة الحبشة، تعريب رفيق عظيم، القاهرة، 1908م، ص 187، حسن محمد جوهر، المرجع السابق، ص93، وانظر أيضًا:

- Budge: op, cit, pp 193-194, see also Jones and Elizabeth Monroe: op, cit, P.39

1- يوسف أحمد: الإسلام في الحبشة، مطبعة حجازي، القاهرة، 1354هـ/ 1935م، ص19، فتحي غيث، المرجع السابق، ص 70.

2 -زاهر رياض: تاريخ إثيوبيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1966، ص ص 60-61.

الميلادي [1] حيث كانت تدفع إتاوات سنوية لملك الحبشة، حتى تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي [2].

وقد شغلت هذه الإمارات الإسلامية مساحة كبيرة من بلاد الحبشة آنذاك، إذ كانت الأراضي التي سيطر عليها المسلمون تفوق في مساحتها تلك التي سيطر عليها الأحباش المسيحيون، وأن هذه الرقعة الإسلامية أحاطت البلاد من الجنوب والشرق، فضلًا عن إحاطة الإسلام بها من ناحية السودان من الشمال والغرب، وهو الأمر الذي أدى إلى حرمان مملكة الحبشة النصرانية من الاتصال بالعالم الخارجي إلا عن طريق هذه السلطنات الإسلامية [3].

وهكذا شجعت الظروف التي أحاطت بالمملكة الحبشية آنذاك على سيطرة المسلمين على نواحي التجارة والاقتصاد وعزل المملكة الحبشية عن العالم الخارجي، بل إن ضعف ملوك الزغاويين أدى في كثير من الفترات إلى طمع العديد من الممالك الإسلامية في الاستيلاء على بعض

---

1 - تشير المصادر التاريخية إلى "أن إمبراطور الحبشة (كان) تحت يده تسعة وتسعون ملكًا وهو لهم تمام المائة"، وأن من بينهم سبعة فقط ذائعي الشهرة إلى الدرجة التي ذاعت معها شهرتهم بالمصادر والمراجع المختلفة، وهي (أوفات – ودوارو – وأربيني – وهدية – وشرحا – وبالي – ودارة)، وقد أحاطت هذه الممالك الإسلامية بإفريقية الشرقية بصفة عامة، ومن أجل هذا الوضع الجغرافي نعتها القلقشندي بمنطقة "الطراز الإسلامي"؛ لأنها على جانب البحر كالطراز له، وعن تفاصيل هذه الممالك انظر، العمري: المصدر السابق، ص40-45، القلقشندي، المصدر السابق، جـ4، ص 325-329، كرم الصاوي: المرجع السابق، ص 6، يوسف أحمد، الإسلام في الحبشة، مطبعة حجازي، القاهرة، 1354هـ-1935م، ص23-24، محمد عبد الله النقيرة: انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ للنشر، الرياض، 1402هـ/ 1982م، ص 208- ص 210، رجب عبد الحليم، العلاقات السياسية، ص 17- ص 28، إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص 33.

2- David Robinson: Muslim Societies in African history, Cambridge university press, New York,2004,p.26

3 - Trimingham: op. cit, pp.62-65.

أجزاء الحبشة [1]، في الوقت الذي ضعفت فيه الديانة النصرانية وتدهورت العلاقة بين ملوك الزغاويين وبين رجال الدين النصارى، ما أدى إلى خلو منصب المطران لفترات طويلة في البلاد، وهو الأمر الذي أدى إلى اعتراف الكنيسة في بعض فترات تاريخها بأن حكم هذه الأسرة الزغاوية للحبشة (329-669هـ/940-1270م) [2] يعد حكمًا غير شرعي [3].

2- ضعف الأسرة الزغاوية وانقسامها الديني:

لم تكن الأسرة الزغاوية أكثر قوة من البيت الأكسومي السابق الذي كان يحكم الحبشة قبلها، تلك الأسرة التي اعتلت العرش في ظل تعدد المؤثرات اليهودية والوثنية على الديانة النصرانية للمملكة، وليس أدل على ذلك من أن أول ملوكهم، وهي الملكة (جوديت _أستر) – Judaith

---

1 - يذكر العديد من الباحثين أن الأسرة الأجوبة لم تستطع إقامة ما يعرف "بالوحدة الوطنية في الحبشة" ولا حتى في عاصمتهم نفسها، فقد كان هناك نزاع دائم بين أفراد البيت الملكي على العرش. انظر:

-Harold G.Marcus: A History of Ethiopia , university of California, press,2002, p.16.

2 - هي الأسرة التي حكمت الحبشة قبل مجيء الأسرة السليمانية، ويختلف كل من عبد المجيد عابدين وراشد البراوي وEdward Ullendorff في بداية حكمها، حيث يذكرون أنها تمكنت من الاستيلاء على حكم الحبشة عام 532هـ/ 1137م، وهو يختلف بذلك عن جميع المراجع التي بين أيدينا، كما أن هناك اختلافًا آخر بين الباحثين على عدد ملوك هذه الأسرة، فبينما يشير البعض أنهم كانوا أحد عشر ملكًا تذكر القوائم الملكية لتلك الفترة أنهم كانوا تسعة فقط، وهم Djan Germe – Djan Seyum – Pantadem – Pantaw- Yemrehana – Na'akueto La'ab – Lalibala – Arbe – Yetbarak. إلا أن أتفاقًا عامًا بين معظم الباحثين على أن مدة حكم الزغاوة كانت ثلاثة قرون وثلاث وأربعون سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. للمزيد انظر عبد المجيد عابدين: بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947م، ص 66، راشد البراوي، الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961م، ص 51، كذلك:
Budge:(E.A.W): A History Of Ethiopia , Nubia & Abyssinia , London ,1928, p.277 see also Edward Ullendorff, The Ethiopians an introduction to country and people , London, oxford university ,Press Newyork.toronto,1965 , p.64.

3- Sergew Hable Selassie: Ancient and Medieval Ethiopian History to 1270, Addis Ababa, 1972,pp. 285-286. see also Budge: op, cit, p.274

Esther (329-370هـ/940-980م)[1]، كانت على الديانة اليهودية، و قد جاءت من منطقة سمين Semenai مع قبائل الأجاو والتي يدين أغلبهم باليهودية، ودمرت هذه الملكة الكثير من الكنائس والأديرة المسيحية، كما قامت باضطهاد رجال الدين من الرهبان، وملاحقة النصارى في كل مكان[2]، ما أدى إلى قيام العديد من الباحثين بمحاولة حذف اسم الملكة (جوديت) من قائمة ملوك الزغاوة نظرًا للأعمال التخريبية الكبيرة التي قامت بها[3].

وقد أشارت العديد من المراجع المتاحة إلى أن الملكة (جوديت) لم تكن وحدها من ملوك الزغاوة التي تدين باليهودية، فقد أشار بعض المؤرخين إلى أن عدد ملوك الزغاوة كان أحد عشر ملكًا، بينما أشار آخرون إلى أن عددهم تسع ملوك فقط؛ إذ زادت مدة حكمهم جميعًا على ثلاثة قرون. وقد قام بعض الباحثين بتقسيم هؤلاء الملوك إلى قسمين من حيث الديانة، إذ يشار إلى أن عدد ملوك القسم الأول

---

1 - جوديت: يشير بعض الباحثين أنها كانت من العائلة السليمانية القديمة، استطاعت الوصول إلى الحكم بمساعدة بعض قبائل الأجاو وذلك بسبب موقفهم المتشدد من عدم ترشيح النساء للحكم، وقد ساعدتها ظروف البلاد في الوصول إلى العرش إذ اشتد التنافس بين اثنين من الأمراء على الوصول للحكم وراح كل منهما يدعم موقفه بتأييد العديد من رجال الدين، مما جعل جوديت بعد وصولها للعرش تزداد في اضطهاد رجال الدين المسيحيين بل وقتل ونفي الكثير منهم، فضلًا عن إحراق جميع الكنائس وإلحاق جميع أنواع الخراب بها، وتعقب المسيحيين في كل مكان، في حين يشير بعض الباحثين إلى أن هذا كان بسبب تعصبها للديانة اليهودية، وبسبب ذلك وضعها الأحباش بالاشتراك مع الإمام أحمد الجران في قائمة وحوش التاريخ الحبشي، وعلى الرغم من ذلك فقد استطاعت حكم البلاد طيلة أربعين عامًا حققت فيها نوعًا من الاستقرار والسلام. للمزيد انظر:

- Paul B. Henze: op. cit , pp. 53-56 & - Knud Tage Andersen: The Queen of the Habasha in Ethiopian History,Tradition and Chronology, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 63, No. 1. (2000), pp.39-41.

2 - Budge: op. cit, p277.

3 - Coulbeaux: op. cit, p. 72.

والذي يبلغ خمسة ملوك كانوا يدينون جميعًا بالديانة اليهودية، أما القسم الثاني فكان عدد ملوكه ستة ملوك كانوا يدينون بالديانة النصرانية[1].

3- اضطراب الأحوال السياسية أواخر حكم الزغاوة وظهور يكونو أملاك:

أدى اضطرب الأحوال السياسية أواخر حكم الزغاويين إلى كثرة النزاع بين أفراد هذا البيت للوصول إلى العرش، ومن أمثلة هذه الصراعات التي كانت بين (نيكوتولاب) Na'akueto La'ab[2] وابن عمه

---

1 - Charles F. Rey: op, cit, p.86

2- نيكوتيا لاب Na'akueto La'ab هو أحد أمراء الأسرة الزغاوية في لامتا، ومعنى اسمه "فلنشكر الله"، وهو ابن الملك (كيدس حربا) Kedus Harbe شقيق الملك (لاليبالا) وأميرة Galla التي تخلت عن عبادتها الوثنية لتتزوج من أحد المسيحيين، كان نيكوتيا لاب يعيش حياة الفوضى واللهو في شبابه، حتى قام بزيارة رسمية إلى جنوب الجزيرة العربية (اليمن)، إلا أنه اتجه إلى القاهرة سرًا، ويقال إنه تعلم هناك الكثير وتأثر بالإسلام، حتى قيل إنه اعتنق الديانة الإسلامية، وقد أشار بعض الباحثين إلى أنه كان يحب الأميرة (جوديت) ابنه عمه الملك (لاليبالا)، إلا أنها كانت تكن له كراهية شديدة، وتقول بعض الأساطير الحبشية إن الملكة Masqal Kibra زوجة الملك (لاليبالا) أقنعت زوجها بالتنازل له عن العرش، ولكنه بعد أن استمر ثمانية عشر شهرًا في الحكم أساء جنوده معاملة الأهالي خاصة فقراء الفلاحين، وطالت هذه الإساءة ابنتها (جوديت) أيضًا، لذا عدلت الملكة عن رأيها وأقنعت زوجها ثانية أن يسحب منه الحكم مرة أخرى، ويشك العديد من المؤرخين في هذه الرواية ويقولون إنها مجرد مبرر لاستيلاء (نيكوتيا لاب) على العرش لفترة قصيرة، عندئذ أخذ في إثارة الناس للثورة ضد عمه، إلا أنه فشل في نهاية الأمر وانتزع منه (يتبركا) العرش، وبعد فترة قصيرة استطاع الوصول إلى الحكم، إلا أنه فشل أيضًا في الوصول إلى قلب حبيبته التي فضلت الانتحار على الزواج منه، فحزن حزنًا شديدًا، وترك حياة اللهو والتزم بتعاليم الدين المسيحي، إذ تتلمذ على يد القديس (تكلا هيمانوت) في دير دبر ليبانوس، وأنشأ كنيسة قرب مدينة لاليبالا، وشيئًا فشيئًا ازداد نفوذ القديس عليه إذ كان يوجه الملك سياسيًا، وكان (تكلاهيمانوت) يريد إعادة الأسرة السليمانية إلى العرش بعد أن أعلن أن ملوك الزغاوة مغتصبون للعرش، لذا أقنع (نيكوتيا لاب) بالتنازل عن العرش لصالح (يكونو أملاك)، وقد توفي في عام 1270م بعد أن تنازل عن الحكم بفترة قصيرة. انظر:

الملك (يتبركا) Yetbarak[1] إذ كان الأول ابن الملك (حربا) والذي أطاع به الملك (لاليبالا) (585-622هـ/1190-1225م)، إلا أن الملك (لاليبالا) أخذ ابن الملك (حربا) - (نيكوتولاب)- ليتربى معه في القصر مع ابنه (يتبركا)، وقد أعطي للأميرين حكم بعض المقاطعات المحلية. غير أن (نيكوتولاب) طمع في استعادة عرش أبيه المفقود، فقام بجمع بعض مؤيديه وقام بثورة عارمة في العديد من المقاطعات المختلفة. لذا قام الملك (لاليبالا) بإرسال إحدى الكتائب العسكرية في تيجري حيث دارت معركة بين الطرفين، انتهت بهزيمة (نيكولولاب)، إلا أنه بعد وفاة الملك، ازداد الصراع بين الأميرين واستطاع (نيكوتولاب) هزيمة (يتبركا) في البداية، وربما تولى العرش لفترة قصيرة، إلا أن (يتبركا) نجح في النهاية في استعادة عرش أبيه[2].

- Perruchon: Notes Pour L'histoire d'Ethiopie. in Revue Semitique et d'epigraphi ancienne, pp.50-1. see also G.W.B. Huntingford ,The Wealth of King and the End of the Zague Dynasty, Bulletin of the School of oriental and African Studies, 28, 1965,pp.6-9.

1 - يتبركا Yetbarak: هو أحد أمراء الأسرة الزغاوية وهو ابن الملك لاليبالا الذي خالف التقاليد الملكية وأعطى التاج لابن أخيه نيكوتيا لاب بدلًا من ابنه يتبركا، وتشير الأحداث إلى قيام الحروب بين الاثنين للتنازع حول العرش. وعلى الرغم من هزيمة يتبركا في كثير من المعارك التي دارت بينهما، إلا أنه استطاع الوصول إلى الحكم، وتشير المصادر الحبشية إلى أن يكونو أملاك قتله وحذف اسمه من قائمة الملوك الأحباش. انظر:

-G.W.B. Huntingford: op, cit., pp. 8-11& Richard Pankhurst , op.cit., p.53 and Taddesse Tamrat , op, cit., p.62.

2 - Perruchon: op, cit., p.67& Coulbeaux: op, cit, p. 79.see also Taddesse Tamrat , op, cit., p.62.

- اختلف الكتاب الأوربيون في أمر هذه القصة، فقد ذكر البعض منهم مثل كولمبس أن الملك لاليبالا كان له والدان هما يتبركا ونيكوتولاب، بينما ذكر البعض الآخر أن الأخير كان ابن شقيق لاليبالا، وتربى في القصر الملكي، وقد طلبت زوجة لاليبالا من زوجها أن يتنازل لابن أخيه عن العرش لأن ابنه كان ما زال صغيرًا، ورغم تردد الملك في البداية إلا أنه وافق في النهاية، وبدأ نيكوتولاب في حكم الحبشة، واستمر لمدة ثمانية عشر شهرًا أساء فيها أمور حكمه للبلاد، كما فرض الكثير من الضرائب على الشعب، وأساء جنوده معاملة الأهالي والنبلاء، حتى اشتكت زوجة الملك من سوء المعاملة التي امتدت إليها

من هنا بدأت قصة ثورة (يكونو أملاك) على أخر ملوك الأسرة الزغاوية، إذ كان قائدًا عسكريًا محنكًا، فقد كان أبوه رئيسًا لخدم ملك إحدى مقاطعات أمهرة في منطقة سيجورات Sagarat. وقد تربى (يكونو أملاك) في قصر هذا الملك و تلقى الكثير من التعاليم الحربية والدينية، وعندما بلغ سن الشباب اشترك في النزاع القائم بين (نيكوتولاب) و(يتبركا)، إلا أن هزيمة نيكوتولاب أدت إلى إلقاء القبض عليه من قبل الملك (يتبركا) وأودعه السجن، ويقال إنه استطاع الهرب عن طريق أحد رجال الدين الذي يدعى (أيوسيس- مو) Iyasus Mo'a[1] رئيس دير دبر حيق Dabra- Hayq[2].

شخصيًا، وهنا استدعاه الملك وأخذ منه التاج، ووافق الأمير الشاب على هذا القرار وعاش تحت طاعة عمه حتى موته، وحكم من بعده ابنه يتبركا، إلا أن نيكوتولاب استطاع الوصول إلى العرش مرة أخرى.

1 - أيوسيس- مو Iyasus Mo'a: ولد في قرية دهنيز Dahnaz في بيجامدار Bagemdir من عائلة مسيحية، عاش حياته الأولى في هذه المدينة حيث استطاع تحصيل بعض العلوم الدينية المبدنية، وتشير قصة حياته إلى الكثير من المبالغة، ولكن الحدث المهم في حياته هو سفره إلى تيجري عام 1241م، وفيها انضم إلى دير دابر دامو Dabra Damo حيث أمره القديس يوحنا رئيس الدير بكثير من الأعمال الشاقة، واستمر يقرأ ويتعلم ويعمل في هذا الدير مدة سبع سنوات، ثم سافر جنوبًا واستقر حول بحيرة حيق Hayq، وتعد هذه الرحلة نقطة تحول لتاريخ الرهبنة في الحبشة، إذ عاش حياة النسك والرهبنة في كنيسة القديس بطرس وبولس هناك، وقد لاحظ إياسيوس أن كثيرًا من السكان يعيشون حولها، وأنهم على استعداد لتعلم تعاليم الديانة النصرانية، لذلك أقنع بعض رجال الدين بفتح مدارس لتعليم روح الديانة، ونجح في افتتاح أول مدرسة عام 1248م، وقد انضم كثير من السكان إلى هذه المدرسة التي تعد من أوائل مدارس الرهبنة في الحبشة، كما استطاع تأسيس عدة مدارس أخرى، يذكر أنه كان من بين تلاميذ هذه المدارس القديس (تكلاهيمانوت) في شوا الذي كان له دور مهم فى إرساء تعاليم الرهبانية في الكنيسة الحبشية. انظر:

-Steven Kaplan: " Iyasus Mo.a and Takla Haymanot, A Note on Hagiographic Controversy" Journal of Semitic Studies 31, 1, 1986,p 47.

2- Taddesse Tamrat: The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, in Journal of Ethiopian Studies, VIII, no.1, 1970.pp.65-69.

ب- وسائل (يكونو أملاك) للوصول إلى العرش:

اتخذ (يكونو أملاك) العديد من الخطوات التنفيذية للوصول إلى العرش، فلم يترك وسيلة متاحة له سلمية كانت أو حربية لتنفيذ مخططه، ومن أهم هذه الوسائل: حركة (يكونو أملاك) المناهضة للزغاوة، وتحالف (يكونو أملاك) مع رجال الدين، وفيما يلي إشارة موجزة لكل من هاتين الوسيلتين:

1- حركة (يكونو أملاك) المناهضة للزغاوة:

كما سبقت الإشارة من قبل، فإن ضعف سلطة الزغاوة في المملكة الحبشية عامة، وفي العاصمة لاستا خاصة، أدى إلى كثرة النزاع بين أفراد البيت الزغاوي نفسه على تولي الحكم، فضلًا عن ثورة كثير من الأمراء المحليين على هذه الأسرة ومهاجمتهم العاصمة ما أدى إلى هروب الأسرة الزغاوية منها. ويبدو من سير الأحداث أن (يكونو أملاك) كان أحد أبرز القادة العسكريين لأحد الملوك المتنازعين على العرش: إذ استطاع حشد بعض الجنود تحت قيادته، وربما يكون قد اشترك في الأحداث بنوع من الخديعة وهو إظهار الولاء لـ(نيكوتولاب) حتى يتخلص من أعدائه على عدة مراحل. وقد استطاع (يتبركا) هزيمة (يكونو أملاك) وسجنه والقضاء على معظم فرقته العسكرية، إلا أن هذا الأخير استطاع الهرب من سجنه[1].

وتشير معظم المراجع المتاحة – خاصة الأجنبية - إلى أهمية الدور الذي قام به إقليم شوا في عملية انتقال السلطة إلى (يكونو أملاك). فقد استطاع حث هذه الجماعات الصغيرة التي تعيش معزولة إلى خروجها من المناطق التي يسيطر عليها غير المسيحيين. فاستطاع تجنيد فرقة عسكرية من سبع ممالك من إقليم شوا وهي Wagda- Dinbi- Mugar-Waj-Warab-Silalish- Mwal وقد أسقط السير (وليم بدج)

1 - Perruchon: op. cit., p.52.

المملكة الأخيرة من اشتراكها مع (يكونو أملاك). وقد استطاع الدخول بهؤلاء الجنود إضافة إلى فرقته العسكرية الأصلية وشكلوا معًا قوة عسكرية كبيرة، ودخل بهم في ثلاث معارك مع (نيكوتولاب) حتى استطاع الانتصار عليه[1].

2- تحالف (يكونو أملاك) مع رجال الدين:

أدى ضعف تأثير الديانة النصرانية في عهد الأسرة الزغاوية - كما سبقت الإشارة - إلى ضعف الكنيسة في البلاد، لدرجة أدت إلى خلو منصب المطران لفترات طويلة استمرت أحيانًا أكثر من ثمانين عامًا، فعجزت الكنيسة عن رعاية الشعب ومباشرة شؤون رعاياها الدينية، ما أدى إلى وجود فراغ روحي عاش فيه الشعب الحبشي طوال هذه الفترات. فساءت العلاقة بين رجال الدين وملوك الحبشة، وبلغت ذروتها إلى الحد الذي وصف فيه القديس (تكلاهيمانوت)[2] رئيس دير

1 -David Buxton:The Abyssinians, Camelot press, Colorado, first Published, London,1970., pp. 65-69.

2 - ولد في عام 1215م، ويرجع أصله إلى عائلة كهنوتية عتيقة، يقال إنها تنحدر من سلالة اللاويين، وقد استقرت هذه الأسرة في مقاطعة شوا حيث كان والده (ساجاز أب أو عطيه الله) يعمل كاهنًا في إحدى الكنائس، ومن هنا تلقى (تكلا) تعاليمه الدينية الأولى واستطاع حفظ المزامير والعهدين القديم والجديد، وأشيعت حوله المعجزات أثناء طفولته، لذلك جعله أبوه شماسًا عن طريق الأسقف المصري الذي يدعى (كيرلس Qerilos).
واختلفت المراجع التاريخية في تحديد تاريخ وفاة القديس (تكلاهيمانوت)، فيذكر الدكتور زاهر رياض أنه توفي في عهد الإمبراطور (يكونو أملاك) وهو بذلك فقد سندًا رئيسًا له في حكم البلاد، بينما يذكر مؤلف البلاط في عهد الإمبراطور (عمدا صهيون الأول) أن هذا القديس مات عام 1282م، لكن العديد من المراجع التاريخية وكتب الكنيسة تؤكد أنه مات عام 1313م في عهد الإمبراطور (ودم أعد) بمرض الطاعون، للمزيد انظر: مليكة حبيب يوسف، يوسف حبيب: القديس (تكلاهيمانوت) الحبشي، مطبعة دون بوسكو، (د.ت)، ص ص 5-42. إيرس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثاني، الطبعة الثامنة، مكتبة كنيسة مار جرجس، الإسكندرية، 2006، ص ص 241-243. أيضًا:
- Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia ,pp.160-162.

عبر البيانيين Debre Libanos[1] حكم الزغاويين بأنه "وصمة عار وجريمة للتعصب". واعتبر أن حكمهم البلاد حكم "غير شرعي"[2]. أما أرجع العديد من رجال الدين سقوط هذه الأسرة إلى الغضب الإلهي[3].

1 - انتقل إلى هذا الدير أسس على يد رجل مسيحي يدعى (البيانيين) أو أمن، ... السلطة في الدير الملكي البلاطي، وكان قبل ذلك يطلق عليه ... Debre Libanos وكان مركزا مهما للرهبان الأرثوذكس في الحبشة في ... يسكن به العديد من غير المسيحيين، لذا قيل إنشاء هذا الدير من الملك ... الملوك، إلا أن زعيم السلطة بلغ على الشك، وقد احتله القسيس (تكلاهيمانوت) ... عقرا الرئيسة التي يعيش إلى الدير كان في المنطقة التي يسيطر عليها المسلمون، لذا كانت الظروف لا تسمح بإنشاء مجتمع الرهبنة في هذه المنطقة، لكن (تكلا) ... كثير من المسيحيين من هذه المنطقة إلى الجنوب، لذا عمل على إنشاء مركز لتعليم المسيحيين أمور دينهم بشكل صحيح أصبح الدين الرسمي المسيحي ودفع عجلة التعليم ونشر المسيحية بين غير المسيحيين خاصة الوثنيين، وفي هذا الدير تقع ضريح القسيس (تكلاهيمانوت) أكثر القساوسة الحبشة شهرة، لذا يقصده الحجاج الأحباش من كل مكان، وقد عانى من الدمار أثناء حروب الإمام (أحمد بن إبراهيم) في 31 يوليو 1531م. للمزيد انظر: ... المصدر السابق، ص 174-175، مجدي عبد الرازق سليمان، النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصري الإمبراطورين (زرء يعقوب 1434-1468م) وابنه (بعد ماريام 1468-1478م) ترجمة ودراسة تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة، 1998م، ص 83، محمد جاد الله علي عبد الحميد، العلاقات المصرية الحبشية في العصر المملوكي (648-923هـ/ 1250-1517م) رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2011م، ص 98. انظر أيضا:

-Chris Prouty and Eugene Rosenfeld: Historical Dictionary of Ethiopia and Eritrea, second edition, Scarecrow Press, Lanham & London, 1994, pp.84-85. Taddesse Tamrat , op.cit., pp.169-174, see also Richard Pankhurst , The Ethiopian., p. 266.

2- James Bruce: Travels to Discover the Sources of the Nile Edinburgh Vol.III., London, 1890,p.79,Edward, op.cit.,p.10, Roland oliver, op.cit., p.185.

- (المقريزي: السلوك، ج1، ص 816، ضريحة العلكي، المرجع السابق، ص83، أنتوني سوريال، ص21. وعلى الرغم من اعتبار الكنيسة أن حكم الزغاوية البلاد حكم غير شرعي، إلا أنها احتوت أيضا أحد ملوكهم وهو الملك (لاليبلا) من القديسين نظرا لأعماله تجاه الكنيسة. انظر:

- Manfred Kropp: Der Siegreiche Feldzug Des Königs AMDA-SEYON Gegen Die Muslime In Adal Im Jahre 1332 N.CHR, Louvain, In Aedibus E. Peeters, 1994, p3.

وهكذا ظهر تيار شديد المعارضة داخل الكنيسة الحبشية، بل وفي الأسرة، ضد حكم الزغاويين، ما دفع رجال الدين الأحباش إلى البحث عن شخصية تعيد لهم مجدهم القديم، ولذلك بدأت الكنيسة تنشر من الدعاية والشائعات ما يعيب حكم الزغاوة ويقلل من مكانتهم أمام الشعب؛ إذ ادعت أن أصول الزغاوة ترجع إلى الملكة (جوديت) اليهودية التي ارتكبت الأعمال الوحشية في البلاد، وأنزلت بالمسيحيين أشد أنواع الاضطهاد وقتلت رجال الدين. كما ذكرت أن العديد من ملوك هذه الأسرة لم يكونوا كلهم من معتنقي الديانة النصرانية[2].

وفي مقابل ذلك بدأت الكنيسة أيضًا في دعم موقف (يكونو أملاك) من ذكرها لنسبه الذي ينتمي إلى آخر ملوك السليمانيين القدماء Dil Na'ad قبل أن يغتصب الزغاوة حكم البلاد. لذلك فإن أصوله ترجع إلى نبي الله سليمان الذي أنجب من الملكة - ماكيدا - ابنة (منليك الأول)، الذي أصبح ملكًا على الحبشة من قبل والده ونقل ميثاق العهد من بيت

1 - يشير بعض الباحثين إلى أن ملك الحبشة (ولم يذكر اسمه ولا تاريخ حكمه) حاول تجاوز الصدام بينه وبين الكنيسة، لذلك أرسل إلى بطريرك الإسكندرية لتعيين مطران جديد لكنيسة الحبشة، وذلك بحجة أن المطران الحالي كبير السن ضعيف البنية والشخصية ولا يستطيع تصريف أمور الكنيسة، غير أن البطريرك السكندري رفض طلب ملك الحبشة بحجة أن قانون الكنيسة لا يجيز تعيين مطران لرعاية كنيسة ما لم يشغر منصبه بالوفاة.
على أن هذا الرأي يخالف في الحقيقة ما ذهب إليه كثير من الباحثين في التاريخ الحبشي، وذلك نظرًا لخلو منصب المطران أساسًا في الحبشة قبل أن يتولى (يكونو أملاك) الحكم منذ عام 1250م وهو الأمر الذي أدى إلى وجود تيار شديد المعارضة داخل الكنيسة الحبشية تجاه ملوكها. انظر عبد العزيز عبد الغني حسنون: أهل بلال جذور الإسلام التاريخية في الحبشة، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 1415هـ/1995م، ص 169، سيف الإسلام بدوي بشير: البلاط الإثيوبي والزعماء المسلمون بالحبشة حتى 1525م، مجلة دراسات إفريقية، عدد 24، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، ديسمبر 2000، ص 187. انظر أيضًا:
Roland Oliver:The Cambridge History of Africa, vo1 3, Cambridge UN, PRESS ,1977,p. 132.

2 - Basil Davidson: African in History Themes and Outlines, First Published London, 1968, p.56.

المقدس إلى الحبشة عندما زار أباه هناك. وهو بذلك يعد مؤسس السلالة الملكية في الحبشة[1].

ومن هنا أدرك (يكونو أملاك) أهمية دور رجال الدين في الحبشة، فاتفق مع القديس (أياسيوس) على إزاحة حكم الزغاويين من البلاد[2]، والذي بدوره أقنع به أحد تلاميذه القدامى وهو القديس (تكلاهيمانوت)، إذ اتفق معه أن يكون في مقابل هذه المساعدة أن ينصب (تكلاهيمانوت) رئيسًا للرهبان الأحباش، وأن يكون منصب رئيس دير دبر ليبانوس وقفًا عليه وسلالته يتوارثونه من بعده، على أن يكون ذلك الدير هو حلقة الاتصال بين المطران المصري والأكليروس الحبشي، وقد استطاع الأخير أن يتوصل إلى اتفاق مع (نيكوتولاب) آخر ملوك الزغاوة - بعد أن انتصر عليه (يكونو أملاك) في أكثر من معركة - وينص الاتفاق على:

- أن يتنازل (نيكوتولاب) عن حكم البلاد لمصلحة (يكونو أملاك).
- أن يحتفظ (نيكوتولاب) وذريته بملكيته وملكية عائلته وهي ولاية لاستا، وأن تكون هذه الولاية معفاة من الضرائب فضلًا عن إعفائها من جميع أنواع الخدمات العامة.
- أن يحتفظ (نيكوتولاب) بلقبه الملكي "نجوست".

---

1 - David Buxton: Travels in Ethiopia, Second edition, London, 1957, p.135.

2 - تشير السجلات الملكية الخاصة بـ(يكونو أملاك) إلى أن القديس (أياسيوس) رئيس دير دبر حيق أدى دورًا مهمًا في حياته، وذلك أثناء حروبه مع (يتبركا) الذي استطاع القبض عليه وإلقاءه في أحد السجون، إلا أن (يكونو أملاك) استطاع الهرب بمساعدة القديس (أياسيوس)، بل إنه آواه في دير دبر حيق، وذلك بعد أن تنبأ له رجال الدين بأنه سيصبح الملك، وبعد شفاعة والدته له لإنقاذه من التعرض للقتل، ويعتقد بعض الباحثين أن دور هذا القديس في حياة (يكونو أملاك) يعد أكبر من الدور الذي قام به القديس (تكلاهيمانوت). للمزيد انظر:

- Coulbeaux: op. cit, p. 84 See also G.W.B Huntingford: The Historical Geography of Ethiopia.p.74.

- أن يكون لـ(نيكوتولاب) عرش ذهبي مماثل لعرش الإمبراطور.
- أن يحتفظ (نيكوتولاب) ببعض المزايا الخاصة بالملوك الأحباش مثل احتفاظه بالطبول والإشارات الملكية المحلاة بالفضة.
- أن يترك (يكونو أملاك) ثلث أراضي المملكة الحبشية لرئيس أساقفة البلاد "أبونا" ليصرف منها على الكنائس والأكليروس والأديرة والرهبان.
- عدم جواز قيام الإمبراطور بتعيين أحد الأحباش رئيسًا للأساقفة في البلاد[1].

وإزاء هذه المساعدة فقد كافأ الإمبراطور (يكونو أملاك) القديس (تكلاهيمانوت) بأن أضفى عليه لقب "إنشجي" (رئيس الأكليروس الوطني)[2]، ورفعته الأسرة السليمانية إلى مرتبة القديسين فيما بعد.

---

1 - ظلت الحبشة لا ترسم مطرانًا حبشيًا لها إلى أن طلب الإمبراطور (يؤانس الرابع 1872-1889م) من قداسة الأنبا كيرلس الخامس بطريرك الإسكندرية الثاني عشر بعد المائة (1874-1927م) أن يرسم أربعة أساقفة لإثيوبيا، وفي 31 من شهر مايو 1929م أيام البطريرك (يؤنس 1928-1942م) وافق المجمع المقدس على رسامة الأنبا كيرلس "أبونا" للحبشة ورسامة أربعة أساقفة من الأحباش لأول مرة في التاريخ. وفي 31 من شهر يناير 1951م أيام البطريرك الأنبا يوساب الثاني (1946-1956م) تم رسامة مطران للحبشة له حق رسامة الأساقفة وهو الأنبا باسيليوس الحبشي وهو أول مرة في تاريخ الحبشة. للمزيد انظر مليكة حبيب: القديس (تكلاهيمانوت) الحبشي، ص 13-14.

2 - لقب أنشجي Echege: هو اللقب التقليدي الذي حصل عليه آباء دير ليبانوس في شوا بداية من القرن الثالث عشر الميلادي واكتسبوا به السيطرة علي كل الأديرة، ويعد المنصب الديني الثاني من حيث الأهمية في المملكة السليمانية، وهو منصب حديث ليس له نظير في الكنيسة المصرية ولا الكنائس الأخرى، فقد استحدثه (يكونو أملاك) وأسبغه على (تكلاهيمانوت) جزاء المساعدات التي أداها له. فلا بد وأن يكون شاغله إثيوبي ويعين فقط من قبل الإمبراطور، وهو رئيس لجميع رجال الدين الأحباش، ويقوم باختيار المتقدمين للتعيين في وظائف رجال الدين. كما يقرر الأساليب التي يجب اتباعها في الاحتفالات الدينية، وفي البداية احتل المرتبة الثانية بعد المطران (الأبون)، وهو الرئيس الإداري للكنيسة والمشرف على كل الأديرة، وممثلوه في المقاطعات يدعون (ليق كاهنات) أي رؤساء الكهنة ويسيطرون على رجال الإكليروس من غير الرهبان. (بينما كان هناك

وأُلِّفت في حياته كتبٌ ضخمة أُدُّعي فيها أنه من نسل (صادوق) الكاهن الذي أرسله (سليمان) مع ابنه (منليك الأول) ليكون كاهن مملكته الجديدة. كما أُحِيطَت سيرته بمختلف الأساطير التي ترفع قيمته[1] يذكر أن الكنيسة المصرية وافقت على اعتباره قديسًا وذكرت اسمه ضمن قائمة القديسين الذين تضمن السنسكار القبطي تاريخ حياتهم. كما لم ينس الإمبراطور أيضًا أن يقدم ثلث أراضي الدولة هبة للكنيسة كما سنشير لاحقًا[2]. وهكذا استطاع (يكونو أملاك) الحصول على تأييد الكنيسة في صراعه مع آخر ملوك الزغاوة.

وقد أشار بعض المؤرخين إلى وسيلة أخرى لتمكينه من العرش. وهي التحالف مع المسلمين للحصول على السلاح. لذلك يشير عدد من الباحثين إلى أنه استطاع عقد اتفاق مع أحد التجار المسلمين في أوفات الذي يدعى (عمر والي أسمع)[3] بموجب هذا الاتفاق يمد هذا التاجر

نائب للأشجي يدعى صاتي) وقد جعل هذا اللقب (أتشيجي) وما يتبعه من حقوق حقًا مكتسبًا لرئيس دير ديرالبانوس. وقد أملته جنسيته ولغته لكي يصبح الرئيس الفعلي لرجال الدين. فتدريجيًا أصبح الرقيب الحكومي المعين على المطران المصري وأعماله. وكان الأتشيجي قريبًا جدًا من الإمبراطور الحبشي باعتباره المستشار الأول وقسيس البلاط. ومن سمو مكانته سمح له الإمبراطور جلاديوس بركوب فرسه الخاص. وقد ألغي هذا المنصب بعد تعيين مطران إثيوبي عام 1950م حيث كان الأنبا (باسيليوس) أول مطران إثيوبي للكنيسة الإثيوبية بينما كان المطران الأنبا (كيرلس) آخر مطران مصري لمزيد من التفاصيل انظر الحبجي. سيرة الحبشة.ص43 من النص. زاهر رياض. تاريخ إثيوبيا. ص190. محمد خليفة حسن. نصوص من الحوليات الملكية الإثيوبية. المركز القومي للترجمة. الطبعة الأولى. القاهرة.2007م. ص370. والجزء الثاني من هذا الكتاب. كذلك:

-Edward Ullendorff: op. cit , p. 103 see also Jones and Monroe, op. cit, p.51.

1 - زاهر رياض: العصر الأول من الأسرة السليمانية في الحبشة من (يكونو أملاك) إلى (زرء يعقوب) وعلاقة المسلمين بالمسيحيين بوجه خاص (1268- 1468م). رسالة دكتواره غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية. القاهرة، 1955م، ص27

2 - مجهول: سيرة (تكلاهيمانوت) الحبشي. مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 99 لاهوت، ص 63.

3 - تفسر بعض المصادر الحبشية اسم "ولسمع أو أسمع" بأنه اسم يُنسب إلى رئيس قبيلة الجماعات الإسلامية التي هاجرت من الجزيرة العربية. لأنهم أحفاد قاتل علي بن

(يكونو أملاك) بالرجال والمال والذخيرة التي تمكنه من الإغارة على أكسوم. وذلك في مقابل مساعدة (يكونو أملاك) له في الانفراد بحكم أوفات والقضاء على سلطنة شوا الإسلامية وضمها إليه[1].

مما سبق يتضح تضافر عوامل عدة أدت في مجملها إلى إحكام سيطرة (يكونو أملاك) على الحكم. ومن ثم أصبحت له اليد العليا في إعادة الأسرة السليمانية إلى العرش من جديد بعد سنوات طويلة من سيطرة الزغاوة على البلاد[2].

أبي طالب كرم الله وجهه. وهم في نظر المسلمين "غير مسلمين": لذا فقد دعوا باسم Wallasma التي تعني "لا إسلام" "Walla Islam" أي الخارجين عن الإسلام. ويرى بعض الباحثين أن اللفظ مركب من كلمتين بمعنى "الوالي السامع" أو المطيع لأنه من قبل الملك. للمزيد. مجدي عبد الرازق سليمان محمد: المرجع السابق. ص29.

1 - تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى وجود بعض الشكوك حول صحة هذه الرواية التي ذكرها الدكتور زاهر رياض في رسالته للدكتواره. فمن ناحية لا توجد أية تفاصيل عن هذا الاتفاق إلا في كتابات عدد محدود من الباحثين. ومن ناحية أخرى فإن هذه الكتابات لم تستند إلى أي مصادر أو وثائق تاريخية تؤيد صحتها. الأمر الذي يفسر في النهاية تعالي أصوات المشككين في صحة الرواية مقارنة بأولئك الذين يعتقدون في صحتها. ولمزيد من التفاصيل حول هذه الرواية انظر المقريزي. الإلمام. ص 7-8. زاهر رياض. العصر الأول من الأسرة السليمانية. ص 24-25. رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في إفريقيا الشرقية حتى قدوم البرتغاليين. دار النهضة العربية. القاهرة. 1999م. ص ص 81-83.

2 - Manfred Kropp: op., cit., p.1.

الباب الأول

النظام السياسي في الحبشة العصور الوسطي.

الفصل الأول : نظام الحكم.

الفصل الثاني : الصراعات الداخلية .

الفصل الثالث : مظاهر النظام السياسي.

الفصل الرابع : المناصب السياسية.

الفصل الأول

نظام الحكم في الحبشة العصور الوسطى

1) سلطة الإمبراطور
2) تبعية الممالك الإسلامية لسلطة الإمبراطور
3) وراثة العرش (دور جبل أمبا جيشن في الحكم)
4) دور الأباطرة وقيادات الجيش ومجلس الأوصياء في اختيار ولي العهد
5) دور النساء في البلاط الملكي
6) دور المطران والكنيسة في الحكم
7) عودة العاصمة الثابتة على يد (زرء يعقوب)

النظام السياسي

يبدأ المدخل الطبيعي لدراسة تاريخ الحبشة في العصور الوسطى باستعراض أحوالها في أقصى مراحل قوتها وعظمتها، وليس معنى هذا أن تاريخ الحبشة في العصور الوسطى يبدأ بداية دقيقة من هذه المرحلة، وإنما نستهدف من هذا العرض أن يساعدنا على فهم الأسس والعوامل التي رسمت التاريخ الحبشي في العصور الوسطى.

- نظام الحكم في الحبشة العصور الوسطى:-

1- سلطة الإمبراطور

تمتع أباطرة الحبشة بنفوذ كبير في بلادهم. فقد كان الإمبراطور يمسك بكل خيوط السلطة في يده، فهو رأس الحكم ونظامه وصاحب الأمر والنهي في كل الأمور سواء التنفيذية أم القضائية أم الروحية. إذ يستند حكمه إلى حق إلهي ورثه بتسلسل عن (منليك الأول) طبقًا للأسطورة المعروفة[1]. ولهذا أصبح لقبه (الأسد الخارج من سبط يهوذا – المختار من الله). كما كان القصر مصدرًا لجميع السلطات وفيه تتجمع كل سلطة[2] وهو المسؤول عن إدارة كل شؤون المملكة، وهو قائد الجيش في الحروب، وبمعنى آخر كان هو الحاكم الفعلي في البلاد. وقد اعتمد هؤلاء الأباطرة في حكمهم على جملة مأثورة هي "من أطاع فقد نجا ومن عصا فقد هلك". وقد نفذ هؤلاء الأباطرة هذا المبدأ كلما أمكن لهم تحقيق ذلك، ولم يكن هذا إلا بناءً على قانون الملوك (Fetha Nagast) وهو يعني نظرية الحق المقدس[3] في الحكم. كما ذكر كتاب

---

1 - سوف يتم الإشارة إلى هذه الأسطورة في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

2 - Trimingham: op. cit.pp. 65- 72.

3 - نظرية الحق المقدس أو التفويض الإلهي: اعتقد الأباطرة الأحباش أن حكمهم مستمد من الله سبحانه وتعالى، فهم يقولون بنظرية الحق المقدس في الحكم، وهي نظرية الفرس القديمة حينما اعتقدوا أن حكمهم مستمد من الله تعالى، ونتيجة احتكاك الفرس بالعديد من الشعوب بهم، انتشرت هذه النظرية في العديد من بقاع الأرض. ويتضح لنا

(كبرانجشت) أيضًا أنه "ليس من المستحب أن يلعن الملك فإنه مسيح الرب"[1]. كما أشار ابن العسال في القرن السابع الهجري/ القرن الثالث عشر الميلادي إلى هذه القواعد عندما كتب عن سيدنا موسى قوله: "أيها الحكيم سوف تجلس على كرسي الملوك لأن الله قد اختارك". كما قيل في ذلك أيضًا: "من كان يقاوم هذه السلطة، فهو يقاوم مرسوم سلطة الله، ومن يقاوم يتقاضى لنفسه الإدانة". وذلك لأنه خادم الله، لذا يجب أن يلتزم الجميع بأوامره[2].

وقد عاش الأحباش على ذلك منذ القدم، فشخص الإمبراطور له منزلته السامية التي لا يجوز انتهاكها، وسلطاته لا تقبل الجدل نظرًا لأنه من سلالة الزواج الذي تم بين (ماكيدا) و(سليمان)، فهو إذن من نسل الأنبياء. ففي شأن مجد الملوك عرفنا أن "ملك الحبشة يعظم، لأنه

من خلال النصوص والمصادر الحبشية نظرة الأباطرة الأحباش إلى روحية الحكم، فالإمبراطور يقول صراحة إن الملوكية تفويض من الله تعالى له، كما يذكر العديد من مؤرخي البلاط الملكي أن الله اختار الملك وميّزه عن عباده، ومعنى ذلك أن الأحباش أسبغوا على حكمهم صبغة إلهية –دينية–روحية فالاختيار واقع من الله تعالى، فالأباطرة يحكمون الأحباش بتفويض من الله، وما على الناس إلا الطاعة والاحترام والتنفيذ. انظر:

- Perruchon: Les chroniques de Zar.a ya.eqobe et de Baeda Maryam, Rois d
Ethiopie de 1434 A 1478, Paris, 1893,p.124.

1 - هذه الفكرة مأخوذة من سفر الجامعة 10:30، إذ يقول: لا تسب الملك حتى في فكرك ولا تسب الغني في مضجعك، فطير السماء ينقل الصوت وذو الجناح يخبر بالأمر. للمزيد انظر مجدي عبد الرازق سليمان، كبرانجشت (جلال الملوك)، النص الحبشي في تاريخ إثيوبيا القديم حتى ظهور المسيحية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 117. انظر أيضًا:

- Edward Ullendorff: Ethiopia and the Bible, London,1955,p.7-8.

2 -Peter L. Strauss: The Fetha Nagast, The Law of the Kings, translated from the Ge'ez by Abba Paulos Tzadua, Carolina Academic Press, Second Printing, USA, 2009, pp. 5-8 See also J.Vanderlinden, An Introduction to the Sources of Ethiopian Law From the 13th to the 20th Century, (J.O) Journal of Ethiopian Law, 277,1966,p.104.

ملك صهيون، وهو البكر من ذرية سام، ومقام الرب أيضًا في صهيون، وهناك يحطم قوة كل أعدائه وكارهيه"[1].

ولم يختلف جوهر نظام الحكم في الحبشة – خلال العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية - كثيرًا، فبرغم اختلاف العصور وتعاقبها إلا أن سلطة إمبراطور الحبشة لم تتأثر. فالإمبراطور دائمًا هو رأس الدولة وهو المسؤول عن إدارة كل شؤونها استنادًا إلى كونه ابن الإله الأكبر، وبالتالي فهو أيضًا الكاهن الأكبر والقاضي الأعظم، وهو قائد الجيش الذي يمثل أباه في قيادته للجنود، وعند البحث في أصل ملوك أكسوم تشير الروايات المتاحة إلى انتماء هؤلاء الملوك إلى أسرة ملكية واحدة، فضلًا عن كون كثير من الملوك من أبناء الملوك السابقين. علاوة على ذلك تشير بعض الأساطير إلى أحقية الابن الأكبر في وراثة عرش أبيه[2]، كما يشير البعض الآخر منها إلى تطلع الابن الأصغر في أحيان كثيرة إلى الاستيلاء على الحكم[3].

وبعد دخول الديانة المسيحية إلى البلاد، تعاظمت مكانة الملك بالنسبة للكنيسة، فأصبح الرئيس الأعلى لها والمهيمن على شؤونها. ومع رسوخ تعاليم الديانة المسيحية في نفوس الملوك أخذت النظرة إلى أسلوب الحكم تتغير شيئًا فشيئًا، فازداد الحديث عن الرحمة بالرعايا والأمل في الرخاء. وفي هذا الصدد يذكر بعض الباحثين أن الرجال

1 - هذه الفقرة مأخوذة من سفر يوحنا (24:21-25) وقد وجد العديد من الباحثين أوجه كثيرة للتشابه بين قانون الملوك الحبشي وبين القانون الروماني القديم وللمزيد، انظر مجدي عبد الرازق سليمان، كبرانجشت، ص 243.

3- Roland Oliver: op. cit , p.143 see also Elspeth: op. cit , p.94.

4- Sergew Hable Selassie:op, cit.,p.18 see also Lewis: Islam In Tropical Africa, London,1980,p.47.

فوزي عبد الرازق مكاوي، المرجع السابق، ص 168-171، يوسف أحمد، المرجع السابق، ص27-28.

المحيطين بملك أكسوم، والذين كانوا أصحاب نفوذ عنده، هم رجال الدين، والذين طالما لعبوا دورًا بالغ الأهمية في تسيير أمور الدولة[1].

وبصفة عامة يمكن القول أن تاريخ أكسوم منذ النصف الأول من القرن السابع وحتى بداية حكم الأسرة السليمانية الجديدة في أواسط القرن الثالث عشر، كان يتلخص في ضعف السلطة المركزية، وزيادة قوة الأمراء المحليين، وانتشار الفوضى، واضطراب الأمن[2].

ونظرًا لطبيعة الأراضي الجبلية في بلاد الحبشة، فلم تقم هناك دولة متحدة ذات حكومة مركزية، فقد عانت الحبشة طويلًا من الانقسام بين عدة حكومات ما أدى إلى انتشار العزلة والتفرقة واستقلال سكان كل جزء بأنفسهم، ما ترتب عليه في النهاية عدم استقرار الأمن ما لم تقم حكومة قوية، كما انتشرت الفوضى وقامت الحروب والمنازعات، إذ كانت تستمر هذه الحروب لفترات طويلة حتى يحسم الأمر بانتصار الطرف القوي على الضعيف وإخضاعه لسلطاته[3].

2- تبعية الممالك الإسلامية لسلطة الإمبراطور

لم تقتصر سلطة الإمبراطور ونفوذه على مستوى المقاطعات المنتشرة في جميع أرجاء المملكة الحبشية فحسب، بل امتد هذا التأثير ليشمل السلطنات الإسلامية أيضًا، والتي كانت في ذاك الوقت تحت سلطة إمبراطور الحبشة[4]. إذ كان يلقب "بملك ملوك الحبشة"

1 -Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia (1270-1527) , Oxford, Clarendon press, 1972, p.54.

2- عبد المجيد عابدين: المرجع السابق، ص 145-147.

3- Francisco Alvarez: The Prester John of the Indies translated by C.F. Beckingham and Huntingford G.W.B, Cambridge ; Hakluyt Society, 1961, p.54.

عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، جذور الإسلام التاريخية في الحبشة أو أهل بلال، الطبعة الأولى، القاهرة، 1415هـ/ 1994م، ص 225.

4 - Otto Jaeger and Ivy Pearce: Antiquities of North Ethiopia, Brockhaus, Stuttgart, 1970, p.65

Neguse Nagast صاحب أمحرا Amhra[1]، وذلك على اعتبار أن هذا الإمبراطور كان يسيطر – ولو من الناحية النظرية فقط – على ممالك عديدة يحكمها ملوك تابعون له. ففي منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي كتب ابن فضل الله العمري عن سلاطين المسلمين في الحبشة بقوله: "إنهم كلهم تحت سلطان ملكهم الأكبر المسمى بلغتهم (الحطي)"، كما أشار إلى طريقة توليتهم العرش بقوله: "وجميع ملوك هذه الممالك وإن توارثوها لا يستقل منهم ملك إلا من أقامه صاحب أمحره، وإذا مات الملك منهم، ومن أهله رجال قصدوا جميعهم صاحب أمحرة، وبذلوا المقدرة في التقرب إليه، فيختار منهم رجلًا يوليه... وهم كالنواب له"[2].

وهكذا كان تعيين الملوك المسلمين في السلطنات الإسلامية بيد إمبراطور الحبشة، وإن كان الحكم فيها وراثيًا، إلا أن التعيين كان لا بد أن يتم بموافقة الإمبراطور[3]. فقد أشار القلقشندي إلى ذلك بقوله: "وجميع ملوك هذه الممالك وإن توارثوها لا يستقل منهم بملك إلا من

1- Jones and Monroe: op. cit , p.63.

2 - العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص 45.

3- السيد فؤاد شكر الله: لبنا دنجل إمبراطور إثيوبيا، دبلوم غير منشور بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 1961، ص 21-22 ويمكن التدليل على ذلك من خلال الإشارة إلى الاتفاق الذي عقده يكونو أملاك مع آخر ملوك الأجويين (تكويتا لاب) عن طريق القديس تكلاهيمانوت، فقد نص هذا الاتفاق على أن يحتفظ هذا الملك بولايته "لاستا" وأن يحمل لقب "نجوس" ملك وأن يجلس على عرش ذهبي مماثل لعرش الملك الحبشي، وتكون له شارات ملكية مصنوعة من الفضة وكذلك سنان رمحه، على أن ذلك لم يمنع من الاعتراف بأنه مجرد تابع للإمبراطور نفسه، ولذلك ليس من المبالغة في الاعتراف بأن تسمية هذه الأجزاء "بممالك" أو تسمية حكامها "بملوك" إنما هو من قبيل المجاز فقط كما كان الأمير المحلي يقيم قصره على نمط مشابه للقصر الملكي. للمزيد من التفاصيل، زاهر رياض، الإسلام في إثيوبيا، ص 122، كرم الصاوي، المرجع السابق، ص 24.

Sergew Hable Selassie: op, cit., p.124 see also Taddesse tamrat: op. cit., pp.11-15.

إقامه صاحب أمحرا...."[1]. وإمعانًا في المزيد من السيطرة على هؤلاء الملوك، فرض عليهم أباطرة الحبشة عدة أحكام تزيد من ولائهم للبلاد[2].

وقد لجأ ملوك الأحباش إلى عدة أساليب لفرض سيطرتهم على الممالك الإسلامية، وضمان تبعيتها لهم. ومن أهم مظاهر تبعية الممالك الإسلامية لإمبراطور الحبشة ما يلي:

أ- فرض الإتاوات

لجأ ملوك الأحباش إلى فرض إتاوات عينية ومالية على بعض ممالك الزيلع الإسلامية، ولقد ذكر القلقشندي في هذا الصدد "أن عليهم (أي المسلمين) قطائع مقررة، تحمل إليه في كل سنة من القماش والحرير والكتان، مما يجلب إليهم من مصر واليمن والعراق"[3]، علاوة على ذلك فلقد كان ملوك الزيلع يدفعون إتاوات مالية لإمبراطور الحبشة كدليل على تبعيتهم وخضوعهم له خاصة في أوقات المحن والهزائم[4].

وإمعانًا في إخضاع المسلمين وإذلالهم وضمان تبعيتهم، فقد فرض على ملك هدية أن يقدم سنويًا – فوق الإتاوة – إحدى بناته لإمبراطور الحبشة لتصبح من زوجاته أو جواريه، وذلك اتقاء للتخريب والحروب. وفي هذا الصدد ذكر عرب فقيه أنهم يفعلون ذلك اتقاء للحروب ويقول:

---

1 - القلقشندي: المصدر السابق، ج 4، ص332، المقريزي، المصدر السابق، ص 8.

2 - ومن ضمن هذه الأشياء فرض إتاوات عينية ومالية عليهم، ومساعدة الإمبراطور الحبشي في حروبه ضد أعدائه، ومنع المسلمين من استعمال أدوات الحروب، فضلًا عن استضافة الإمبراطور أثناء تجوله في البلاد لتفقد أحوالها، وللمزيد من هذه التفاصيل انظر محمد أحمد محمد علي بهنساوي: الفن الحربي في الحبشة في عهد الأسرة السليمانية (669-948هـ/1270-1543م) رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2009م، ص ص 30-35. انظر كذلك

- John Cameron Grant: The Ethiopian A narrative of the Society of Human Leopards, Paris,1901,p.38.

3 - القلقشندي: المصدر السابق، جـ4، ص 332- 333

4- Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p.54.

"وحكم علينا أن نعطيه البنت والمال، ونعطيه مخافة أن يقتلنا ويخرب مساجدنا، وإذا أرسل الذي يتقبل البنت والمال أخرجنا له البنت على السرير، ونغسلها ونكفنها بثوب، ونصلي عليها، ونحسب أنها ميتة ونعطيها له، فإنا وجدنا آباءنا وأجدادنا يفعلون ذلك"[1].

ولقد كان الامتناع عن دفع الإتاوة كفيلًا باتهام حاكم المملكة الممتنع بالخيانة العظمى، ما يعرضه لعقوبات قاسية تصل لحد الإعدام[2]. ولذلك كانت معظم الممالك الإسلامية بهضبة الحبشة في منطقة القرن الإفريقي تداوم على دفع الإتاوة لملوك الحبشة[3]، ولما كانت سلطنة أوفات الإسلامية[4] هي أقوى هذه الممالك[5] لتزعمها حركة الجهاد، فقد أطلق على ملكها "ملك كل المسلمين"[6]، فعندما كانت

ص 281.هذا وقد ذكر بعض الباحثين أن الملكة هيلانة
1 - عرب فقيه: المصدر السابق، وهي مسلمة عربية يقال لها رومنا (رمانة)، حيث تزوجها الملك هي ابنة أحد ملوك هدية والدها له عندما ثار عليه أحد الطامعين، وأطلق الحبشي زرء يعقوب عرفًا بجميل وولاء عليها لقب هيلانة نسبة إلى أم الإمبراطور قسطنطين الذي اعترف بالديانة المسيحية في الإمبراطورية الرومانية وذلك بموجب مرسوم ميلان الشهير 313م، وقد حاولت في بداية الأمر أن تشد من أزر المسلمين وذلك بمحاولة التوفيق بين ملوك عدل والأحباش، إلا أنها سرعان ما انقلبت عليهم، وخاطبت الدول الأوربية لمساعدتها في محاربتهم، وكان لها أثر كبير في إدارة الشؤون السياسية والدينية في الحبشة لفترة طويلة حتى توفيت عام 1525م (كما سنرى). لمزيد من التفاصيل انظر: بدر السيد بدر نصار، رحلة الحسن بن أحمد الحيمي لشرق إفريقية في القرن السابع عشر وظروفها التاريخية، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1978، ص 91.

2 - ت. تامرات: المرجع السابق، ص 437.

3 - يذكر أنه من الأسباب الرئيسة لقيام الأحباش بحملات على ممالك المسلمين رفض بعضهم دفع الضرائب، فيذكر أن سبب حملة عمدا صيون على فاسليس Vassals كان بسبب رفضها دفع الضرائب. انظر كرم الصاوي: المرجع السابق، ص 24.

4 - عرفت هذه السلطنة قديمًا باسم بلاد الأحباش والأعفار الزيلع، وهي تشمل ما يعرف حاليًا بجيبوتي وإرتيريا أي أنها كانت تسيطر على مدخل البحر الأحمر من ناحية الجنوب الغربي وتقابل بلاد اليمن، مما جعلها أقوى مملكة إسلامية في منطقة القرن الإفريقي لرخائها الاقتصادي. للمزيد عن هذه السلطنة انظر رجب محمد عبد الحليم، العروبة والإسلام، ص89-134.

5 - Roland Oliver: op. cit , p. 143.

6 - Richard Pankhurst: op. cit , p.74 see also Lewis: op. cit , pp.59-61.

تمتنع عن دفع الإتاوة وتستقل عن إمبراطور الحبشة كانت تتعرض لأعنف الحروب وأشدها قسوة وهو ما اعتبر أحد الأسباب الرئيسة التي أدت إلى قيام الحروب ين الفريقين في منطقة الزيلع[1]. ولم يكتف إمبراطور الحبشة بفرض الإتاوة على الممالك الإسلامية بل لجأ إلى العمل على إضعاف تلك الممالك.

ب- المعسكر الإمبراطوري

ومن مظاهر ولاء الممالك الإسلامية لإمبراطور الحبشة استضافة المعسكر الإمبراطوري الذي يشمل آل بيته وحاشيته وخدمه وكبار مسؤولي دولته ورجال الدين (على رأسهم المطران والقساوسة)، في أنحاء مختلفة من المملكة، وقد فرض على هذه الممالك أن تقدم كل ما لديها لاستضافة هذا المعسكر والذي لقب بالمعسكر الإمبراطوري[2]. ولما كان هذا المعسكر يقام غالبًا في المناطق التي تشهد أوقات الجفاف وما يتبعه من ذلك قلة المحاصيل الزراعية. فلقد كان على المسؤولين أن يبذلوا جهودًا كبيرة لتقديم المساعدات والإقلال من الأضرار الناجمة عن الجفاف وقلة المحاصيل[3].

ج- مساعدة الإمبراطور الحبشي في حروبه

وامتدت مظاهر ولاء ملوك الممالك الإسلامية للإمبراطور الحبشي وإظهار الخضوع له. بتقديم المساعدة له بالمال والرجال والسلاح في حروبه التي يشنها على الخارجين عليه والثائرين على حكمه. فما تكاد تعلن الحرب حتى يقوم الإمبراطور بتعبئة جيشه وضم جيوش الممالك التابعة له وعلى رأسهم قوادهم وفرسانهم للمساعدة في حروبه[4].

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 28.

2- Budge: op. cit. p. 291.

3 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 302.

Ronland Oliver: The African Middle Age 1400-1800, p.47.

4- Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p.46.

د- منع المسلمين من استعمال عدة الحروب

ولكي يضمن الإمبراطور الحبشي إخضاع المسلمين لسلطانه وإبعادهم عن القتال والحروب، حظر عليهم استخدام بعض أدوات الحرب وخاصة الخيول، خوفًا من تفوقهم العسكري ومحاولتهم الاستقلال عن الدولة[1]. حتى أن عرب فقيه قد ذكر في هذا الصدد: "حكم على آبائنا المتقدمين وحكم علينا ألا نلبس عدة الحرب، ولا نمسك السيف، ولا نركب خيولنا بالسروج إلا على متن ظهورها"[2].

ورغم ذلك فلم تُعط هذه الممالك الإسلامية أهمية لهذا الحظر الذي فرضته عليهم ملوك الأحباش، وذلك نظرًا لبعد السلطة المركزية عن ممالكهم، ما مكنهم من محاربة الأحباش والانتصار عليهم في بعض الحروب، خاصة تلك التي قامت في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

مما سبق يتضح مدى سعي الأباطرة - وبشتى الطرق - لإحكام سيطرتهم على الممالك الإسلامية وإخضاع ملوكها لسلطانه، وعلاوة على ذلك فلقد كان الإمبراطور يعمد إلى استمالة بعض الزعماء المسلمين في السلطنات المختلفة (وخاصة في إمارات هدية وأوفات ودوراو وعدل)، وذلك لمساعدته في تنفيذ سياسته في المنطقة[3]، حتى أن عمدا صيون الأول Amda Seyon I (714-745هـ/1314-1344م) قد جعل المسلمين تحت أمرائه وزعامة كل من هو صديق أو موالٍ له من أسرة عمر والي أشمع، وذلك بغرض التأثير على سير مجريات الأمور في هذه المملكة[4].

1 - القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص325.

2 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 281.

3 - Roland Oliver: op. cit , p.147.

4- سيف الإسلام بدوي بشير: البلاط الإثيوبي والزعماء المسلمون بالحبشة حتى عام 1525م، في مجلة دراسات إفريقية. العدد الرابع والعشرين. ديسمبر2000،ص 190.

ورغم كل محاولات البلاط الحبشي لإحكام السيطرة على ربوع المملكة الحبشية بشتى الطرق السالف الإشارة إليها، إلا أن موقف المسلمين من هذا التسلط لم يكن سلبيًا. فقد بذلوا الكثير من المحاولات الرامية إلى الفكاك من تبعية ذلك الإمبراطور[1]. إلا أنه كثيرًا ما كانت هذه المحاولات تبوء بالفشل، إما بسبب طابعها الفردي[2]، إذ وصف القلقشندي هذا الأمر قائلًا: "وهم مع ذلك كلمتهم متفرقة وذات بينهم فاسدة"[3]، أو بسبب محاولة البعض من حكام تلك الممالك التقرب للإمبراطور الحبشي خاصة أنه "إذا مات منهم ملك ومن أهله رجال قصدوا جميعهم سلطان أمحرا، وتقربوا إليه جهد الطاقة، فيختار منهم رجلًا يوليه، ... فهم له كالنواب، وأمرهم راجع إليه"[4].

على أية حال لقد أبرزنا مظاهر خضوع وتبعية الممالك الإسلامية للإمبراطور الحبشي، وموقف هؤلاء الملوك من هذا التسلط الحبشي، فإنه يتبقى الإشارة في هذا الصدد إلى أمرين ربما يسهمان في التدليل على عمق هذا الخضوع وجذور هذه التبعية أولهما: هو استعانة ملوك

1- كانت هذه الثورات كثيرة، لدرجة أنه لم يخلُ حكم ملك حبشي إلا وقامت فيه بعض الثورات من جانب بعض الحكام المسلمين، وكان أكثرها في عهد كل من عمدا صيون الأول، ولبنا دنجل، وقد واجه هؤلاء الملوك هذه الثورات بمنتهى القسوة والوحشية "فعندما تمرد يايكا إجازي Igzi-Ya,ibika فإن الملك عمدا صيون تمكن من إسقاطه وعزله، علاوة على أنه قام بتعيين رجال ليسوا من نسل أدم، وكان يطلق عليهم هلاستيوتت Halastiyotat وهي تعني أفراد من أصل وضيع"، وللمزيد: انظر كرم الصاوي: المرجع السابق، ص 10 وما بعدها.

2- Paul B. Henze: op. cit , p.66.

3- المصدر السابق، جـ4، ص 332، كذلك

Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p. 56.

4- نفس المصدر والصفحة. وقد اتبع حكام معظم هذه الممالك سياسة غير حكيمة أضرت بمصالح البلاد خاصة في بداية القرن السادس عشر الميلادي، تمثلت في تقربهم لملوك الحبشة أثناء صراعهم على السلطة وعدم اهتمامهم بشؤون الإمارة، مما ترتب عليه الفوضى وفقدان الأمن وسيطرة قطاع الطرق (الشفتا) وضياع الحقوق وانتشار العادات الاجتماعية السيئة كشرب الخمر انظر عرب فقيه، المصدر السابق، ص 5-6.

الحبشة بعصابات قطاع الطرق (الشفتا) وذلك لضرب المسلمين في بلاد الزيلع، فضلًا عن الاستعانة بهم داخل مملكة الحبشة نفسها، وذلك للتغلب على الأمراء الطامعين في كرسي العرش[1].

أما الأمر الثاني: فهو يتعلق بتلك الرسالة التي أرسلها زرء يعقوب Zara Ya'kob (838-873هـ/ 1434-1468م) إلى سلطان مصر الظاهر جقمق[2] (842-857هـ/1438-1453م): "المحب الصادق زرء يعقوب... ملك سلاطين الحبشة، وصاحب النواب بالمملكة الحبشية... وأنتم حفظكم الله ليس يخفى عليكم ما في بلادنا الواسعة من المسلمين تحت حكمنا، ونحن لهم ولملوكهم مالكون)[3].

3- وراثة العرش (دور جبل أمبا جيشن في الحكم)

أشار العديد من الرحالة الأوربين بأن عادة "سجن الأمراء الملكيين" ظهرت منذ منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي في الحبشة، نتيجة ظهور مشكلة الصراع على العرش بين أبناء الملوك، ولكنها اتسعت بشكل أكبر في بداية حكم الأسرة السليمانية[4] يتضح ذلك أن مؤسسها يكونو أملاك بنى دارًا محصنة في جبل "أمبا جيشن Amta Gyuechen" (الذي عُرِفَ باسم جبل الملك)، وذلك بغرض حجز جميع

---

1 - زاهر رياض: الشفتا في إثيوبيا في العصور الوسطى وأثرهم في تاريخ البلاد السياسي والاقتصادي، بحث في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد 19، العدد الثاني، ديسمبر، 1957، طبعة 1961م، ص 218، رجب محمد عبد الحليم: موقف الحبشة من ممالك الزيلع الإسلامية في العصور الوسطى، أعمال الندوة الدولية للقرن الإفريقي من 1- 7 يناير 1985 بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، الجزء الثاني، ص 632.

2- Paul B. Henze: op. cit, p.70.

3 - السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، 1315هـ، القاهرة، ص 67، جرجس فام ميخائيل، السلطان جقمق وحالة مصر في عصره (1438-1453م) رسالة ماجستير غير منشورة بآداب القاهرة، 1969، ص 53، منى إبراهيم عبد الرحمن، السفارات الأجنبية في مصر على عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة بآداب القاهرة، 1395هـ- 1975م، ص 90.

4 - Taddesse tamrat: op.cit., p. 282.

أعضاء الأسرة الحاكمة من الذكور مثلهم في ذلك مثل الرجال المنفيين، وذلك لمنع أي محاولة من جانبهم لاغتصاب العرش[1]. وهكذا أصبح من المتعارف عليه في هذه الفترة أن يقوم الإمبراطور السليماني بمجرد توليه العرش بسجن جميع إخوته وأعمامه وكل من يرى فيهم علامة ثورة من أقربائه ويسجنهم جميعًا في هذا الجبل[2].

وقد قام الإمبراطور يكونو أملاك بتجديد هذه العادة الملكية فور توليه حكم البلاد، فأعاد الأذهان لشهرة جبل الملوك مرة أخرى، لكنه ازداد شهرة بعد أن وضع فيه الإمبراطور (زرء يعقوب) جزءًا من الصليب المقدس، لذا أطلق على هذا الجبل في عهده لفظ "جبل الصليب" Masaqal Amba أو عرش الصليب Manbara Masaqal. وقد أحضره (زرء يعقوب) على ظهور 88 جملًا و100 بغل، وكان ذلك أحد الاسباب الذي رفع به (زرء يعقوب) إلى مرتبة القديسين بعد موته[3].

ولم يكن اهتمام (بئيد ماريام) أقل من اهتمام أبيه بشأن ذلك الجبل، فلم يكتف (ماريام) باستمرار تلك العادة، بل أكد على ضرورة ألا يبقي خارج هذا الجبل إلا الابن البكر وولي عهد الإمبراطور فقط، كما أعلن أن ذلك لا بد وأن يتبع إلى الأبد لكل أبناء الأباطرة وجميع الورثة، وإلا فسوف يقومون بالاستيلاء على أجزاء من البلاد[4]. يذكر أن الحبشة بدأت في التخلي عن هذه العادة في نهاية حكم الإمبراطور (ناؤود)[5].

---

1 -Budge: op. cit. pp. 287-288.

2- ت. تامرات: المرجع السابق، ص 432. حمدي السيد سالم: الصومال قديمًا وحديثًا،الطبعة الأولى،1965م، ص 392، زاهر رياض: تاريخ إثيوبيا، ص 74.

3- David Buxton: Travels In Ethiopia, U. S. A, Frederick A. praeger. Inc. publishers,1967,p. 68.

4- Almeida: Some Records of Ethiopia 1593-1646, pp.97-102.

5 - Taddesse Tamrat: The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, pp.87-117.

أما عن حياة الأمراء فوق هذا الجبل، فقد كانت توجد في قمة الجبل منازل مبنية من الحجر والطين والقش والخشب، وقد وعدهم بعض الأباطرة بتخصيص ثلث عائدات الإمبراطورية لهم - وإن كان ذلك مبالغًا فيه، إلا أنه تم إعطاؤهم بعض الأراضي - التي كانت تقع بالقرب من الجبل - لزراعتها وتخصيص عائداتها لصالحهم، وكانت تجمع الإيرادات ويرسل إليهم منها ما يحتاجونه من طعام وملابس وهدايا قيمة وأي شيء يحتاجونه، وهكذا كان الإمبراطور شديد الاهتمام بإرسال المال الوفير والهدايا النفيسة إليهم[1]، كما كان يتكفل بإمدادهم بأقواتهم. كما سمح الإمبراطور (إسكندر) بإرسال بعض النبلاء للعمل لصالح هؤلاء الأمراء كوسطاء تجاريين[2].

ورغم المزايا التي تمتع بها هؤلاء الأمراء، إلا أنهم كانوا مقيدين بقيود عدة، فقد كان يحرم عليهم إقامة أي علاقات سياسية أو اجتماعية حتى يظلوا في عزلة دائمة، و كانوا لا يرحلون من الجبل إلا بأمر الإمبراطور، كما حرم عليهم إرسال أي رسائل إلا بعد فحصها ومراجعتها من قبل قادة الحراس، وإن كانت ترفع – أحيانًا - إلى الإمبراطور. وهكذا كانت الحياة تنتهي بهؤلاء الأمراء داخل هذا الجبل، لدرجة أن أغلبهم كان يتجه إلى الدراسات الدينية والأدبية[3].

---

1 - اختلفت العائدات المالية التي كانت ترسل إلى هؤلاء الأمراء من فترة إلى أخرى على حسب ظروف المملكة الاقتصادية وظروف الحروب التي كانت تمر بها. ففي عهد لبنا دنجل الذي تميز عهده بانتصار المسلمين عليه، لم يكن يرسل لهؤلاء السجناء إلا أقل القليل، لدرجة أنه رفعت عنهم الحراسة وأصبحوا طلقاء ونزل هؤلاء الأمراء وصعدوا حسب أهوائهم من وإلى الجبل. إلا أنها عادت مرة أخرى –الحراسة- في عهد الإمبراطور فاسيلدس Fasiladas (1632-1667م)، وقد اختار هذا الإمبراطور لهذه المهمة جبلًا آخر هو جبل ويحنا Wehni.انظر:

- Almeida: op. cit.pp.99-100.

2 -Ibid, pp. 100-101.

3 - كان زرء يعقوب في هذا الجبل قبل أن يتولى العرش، كما حدث عقب وفاة الملك إسكندر بن أدماس (883-898هـ/ 1478-1492م) أن زحفت قوة من الجيش الحبشي نحو

ويصف بعض الرحالة هذا الجبل بأنه كان مستدير الشكل يبدو من أعلى على شكل صليب. ويرتفع حوالي 3250 مترًا فوق سطح البحر. وهو محاط بالعديد من الممرات لدرجة أن من يريد الصعود إلى أعلاه كان عليه السير على أقدامه لمدة نصف يوم للوصول إلى قمته، وذلك نظرًا لشدة انحداره. فضلًا عن أنه يضيق مساره جدًا كلما اتجهنا إلى أعلى. ومع أن الأبقار والثيران كانت تصل إلى قمته، إلا أن ذلك كان يتم عن طريق ربطها بالحبال وجرها عن طريق عدد كبير من الرجال الأشداء[1].

ورغم انحدار الجبل ومساراته الضيقة، إلا أنه و للمزيد من السيطرة على أمرائه، تم تحصينه - الجبل - بعدد كبير من حرس القوات الملكية، إضافة إلى عدد من كبار قادة الجيش الملكي. ويبلغنا الأب (ألفاريز) أن ربع سكان البلاط الملكي هم من حراس جبل الملوك، وهؤلاء الحراس وقادتهم يسكنون بمفردهم، ولا يسمح لأحد بالاقتراب منهم ولا يذهبون إلى أي إنسان، مثلهم في ذلك مثل الأمراء الملكيين الذين حرموا من إقامة أي علاقات اجتماعية، وذلك حتى لا يعلم أي إنسان أسرار هذا الجبل، وحتى عندما كان يريد قائد منهم الاجتماع بالإمبراطور كان لا بد أن يتم هذا بعيدًا عن كل الناس حتى خاصته؛ إذ تقف جميع المناقشات التي تخص أمور الدولة عندما يتحدثون في هذا الأمر[2].

قلعة جشين بجبل الملوك وولوا شقيقه الملك ناوؤد (900-914هـ/1494-1508) لصغر سن ابن الملك السابق عمدا صيون الثاني (898-899هـ/1492-1493م). انظر

-Taddesse tamrat: op.cit., p 269 see also Jones and Monroe ,op. cit, pp.11-72.

1- Alvarez: op. cit., pp 237-238.

2- Alvarez: op. cit.pp 140-141.

ወበይእቲ ፡ ወ*ርኃ ፡ የካቲት ፡ አመ ፡ ሰኑዩ ፡ ተሰዕረ ፡ ወተበር
በረ ፡ ግሸን ፡ አምባ ፡ ነገሥት ። ወተረክበ ፡ በሀየ ፡ ብዙኅ ፡ ወ
ርቅ ፡ ወብዙኅ ፡ ልብሰ ፡ ሐሪር ፡ መዛግብተ ፡ ንጉሥ ፡
ዘተዘግበ ፡ 'እመንግሥተ ፡ ይኩኖ ፡ አምላክ ፡ እስከ ፡ መንግሥተ ፡
ልብነ ፡ ድንግል ። ወካልእነሰ ፡ መዛግብተ ፡ እልቦ ፡
ዘየአምር ፡ ዘእንበለ ፡ እግዚአብሔር ፡ ባሕቲቱ ። ወአሚሃ ፡ ወርቅ ፡

وهكذا تم تحصين هذا الجبل خوفًا من أن يتسلل الثائرون أو الطامعون في العرش إليه. فقد أُقيم حوله ثلاثة أسوار متتابعة الأمر الذى يصعب معه الانتقال من سور إلى آخر إلا باستخدام سلالم خشبية، خاصة في ظل وجود طريق ضيق لا يتسع إلا لفرد واحد على الأكثر لوعورته وشدة انحداره[1]. ونظرًا لشدة حراسة هذا السجن الملكي ولوعورته وشدة انحداره، فشلت قوات الإمام أحمد بن إبراهيم[2] عندما حاولت السيطرة عليه فى الفترة بين عامي 1531-1532م. إلا أنه استطاع اقتحامه في هجومه الثالث عام 946هـ/ 1540م في عهد (لبنا دنجل) ونهب كل ما فيه من ذهب وفضة وأموال... إلخ. كما نجح في قتل معظم هؤلاء الأمراء[3].

1 - Jones and Monroe: op. cit , p.5.

2 - أشهر قواد المسلمين الذين حققوا عدة انتصارات علي نصاري الحبشة حتى استطاع الوصول إلى قلب الهضبة الحبشية وقد تتبع الإمبراطور لبنا دنجل حتى استنجد الأخير بالبرتغاليين، وقد قتل الأمام أحمد في معركة صمبر كوري عام 1542م وللمزيد انظر محمد أحمد محمد علي بهنساوي، الفن الحربي في الحبشة، ص 104.

3 - وفي شهر يكاتيت دمرت "جيشن" ونهبت، وهو جبل الملوك، وهنالك اكتشف الذهب والحرير بكميات كبيرة، فضلًا عن كنوز الملوك التي تراكمت منذ عهد يكونو أملاك حتى عهد لبنا دنجل، وكنوز أخرى الله وحده يعلمها. انظر:

- Manfred Kropp: Op. Cit , pp.19-20 see also Roland Oliver: The Rise of The Solomonic Dinasty, The Cambridge History of Africa, Vol. 3 , Cambridge University Press, 1977,p.96

ورغم الدور الذي أداه هذا الجبل في استقرار المملكة. والذي يعد أحد العوامل الرئيسية التي أسهمت في الحفاظ على وحدة المملكة وقوتها، إلا أنه واجه بعض الانتقادات، إذ أشار بعض الباحثين إلى أن عادة حجز الأمراء الملكيين في أمبا جيشن أدت إلى ضعف المملكة المسيحية. لأن هذا الأجراء لا يتفق مع أساس التربية السليمة لإمبراطور المستقبل، ولأنه يؤدي إلى ضعف طموحاته أثناء إقامته فوق هذا الجبل. فقد يتعود على حياة التعاليم الدينية، كما أنه قد لا يعرف شيئًا عن إدارة شؤون المملكة ولا كيفية التعامل مع كبار المسؤولين أو حتى كيفية ممارسته الأعمال التجارية، لذلك كان لا بد أن ينشأ هؤلاء الملوك في المعسكرات الإمبراطورية وسط كبار مسؤولي الدولة ومتخذي القرار، حتى يستطيع حين يصبح إمبراطورًا أن يدير شؤون الحكم. كما كان لا بد أن يسمح الإمبراطور برؤيته على الأقل لجنوده وشعبه ليشعر الشعب بالهدوء والطمأنينة[1].

ورغم الانتقادات التي وجِّهت إلى أمبا جيشن من قبل العديد من المؤرخين، إلا أنه حدَّ من نشاط هؤلاء الأمراء في أن يشاركوا بأي دور في النزاع القائم على العرش. وعند موت الملك كان يوجد خارج هذا السجن أبناؤه فقط في حماية جيش أبيهم، إذ أن بعضهم حظي بالرعاية السياسية وتأييد قادة الجيش وسارت الأمور في كثير من الأحيان لصالحهم. فضلًا عن أن كبار مسؤولي المملكة كانوا يشاركون في أعمال هؤلاء الأمراء، وذلك بدعم من أمراء الجيش وبعض رجال الدين، إضافة إلى رجال البلاط الملكي. ويؤيد ذلك (زرء يعقوب) نفسه، فعندما نقرأ

وشهر يكاتيت هو الشهر السادس في قائمة الشهور الحبشية، وهو يوافق الفترة من 28 يناير حتى 28 فبراير في الشهور الإفرنجية. انظر أيضا إبراهيم محمد حسن، الإمام أحمد بن إبراهيم الصومالي وفتوح الحبشة، رسالة ماجستير غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 1972م، ص43.

1- Bruce: op. cit pp.262-263.

سجلات حياة القديسين يقول (زرء يعقوب) في أول ظهور له بعد توليه الحكم: "إن قوات من أقاربي ثارت لي لاستعادة عرش والدي"[1].

وعلى ذلك يمكن القول إنه بفضل الموقع الحصين للجبل، والإجراءات المتخذة لحراسته، وتسليح الحراس بأحداث الأسلحة من مدافع وبنادق وغيرها، كل هذه العوامل جعلت من جبل الملوك حصنًا منيعًا لا يجرؤ على غزوه الثائرون ولا يقوى الطامعون على اقتحامه. لذلك اعتُبر أحد العوامل الرئيسة التي أسهمت في الحفاظ على وحدة المملكة وقوتها[2].

وهكذا يستمر الإمبراطور في الانفراد بسلطة الحكم، ويستمر الجبل في منع أي وريث من المطالبة بحقه المشروع في الحكم، وفي حالة وفاة الإمبراطور دون ترك أي وريث من أبنائه المباشرين، فكان يتم اختيار أحد أمراء جبل الملوك ليحكم البلاد[3]. ونظرًا لما كان يعانيه الإمبراطور الجديد في سجنه من قسوة الحياة، والعزلة، والحرمان من العلاقات الاجتماعية، وعدم وجود أي ملاذ اللهم إلا الاستغراق في دراسة الدين المسيحي، لذا فلقد كان الإمبراطور الجديد بمجرد اعتلائه للعرش تظهر عليه علامات غلظة القلب، وجفاء الطباع، وشدة التعصب للديانة المسيحية، والتعالي على الشعب إلى درجة ظهوره أحيانًا بمظهر الإله

1- Edward Ullendorff: The Ethiopians an introduction to country and people, p.168 see also Taddesse Tamrat , The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, p. 87.

2 - Jones and Monroe: op. cit , p.79

3 - كانت عملية اختيار الوريث عندما يموت الملك الحبشي دون أن يترك أولادًا ذكورًا يتم عن طريق مجلس خاص يضم أعضاء أعلى من ضباط البلاط الملكي وبعض النبلاء المهمين ورؤوس الكنيسة والملكة الأم واحتمال اشتراك الزوجة الرئيسة للملك المتوفى، وبالرغم من جميع هذه الإجراءات الوقائية، فقد كان يحدث عادة صراع على السلطة بين الفئات الحاكمة المختلفة في البلاط وبعض حكام المقاطعات المسيحيين. للمزيد انظر:
Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea pp.44-45.

ووكيل الرب في توزيع الرزق على العباد[1] وإن كانت المصادر الحبشية تؤكد أن بعض الملوك الأحباش تميزوا برقة القلب[2].

4- دور الأباطرة وقيادات الجيش ومجلس الأوصياء في اختيار ولي العهد:

لم يضع أباطرة الأسرة السليمانية نظامًا معينًا ثابتًا في حياتهم لاختيار ولي العهد الحبشي، يلتزم به أفراد البيت السليماني من بعده. وبناءً على ذلك تعددت طرق اختيار ولي العهد في المملكة الحبشية ما بين إرادة كبار قادة الجيش، وبين ما يمكن أن نطلق عليه "مجلس الأوصياء". فضلًا عن تولية الإمبراطور لأحد أبنائه للحكم أثناء حياته.

أ- اختيار الأباطرة الأحباش لولي العهد

وضع (يكونو أملاك) نظامًا معينًا لاختيار ولي العهد التزم به معظم أباطرة السليمانيين من بعده، وقد تأثر في وضعه لهذا النظام بطبيعته البدوية القائمة على النظام القبلي السائد آنذاك لدى الأحباش؛ إذ يتولى القيادة أقواهم وأشجعهم، يدين الكل له بالولاء والطاعة. مثلما حدث عندما تولى هو عرش الأحباش، خاصة في ظل انشغاله الدائم في حروب مستمرة مع المسلمين[3].

---

1 - Jones and Monroe: op. cit , pp.26-34.

2 - "عندما يتحدثون إليه (يقصد الإمبراطور جلاوديوس) قائلين إن فلان الفلاني أحد عبيدك افترى على مملكتك وعلى عرشك. فيهذب لسانه ويرد قائلًا: ماذا أقول فهو يعرف أن أقواله ستجمع يوم الدين. ولما كانوا يأتون إليه بوشاية ويقولون له: إن الأقربين يطلبون الحكم فيقول مالي ومالهم". وهذا النص مترجم من الحوليات الملكية الحبشية التي تسجل الأحداث التي تقع في عصور ملوك الحبشة، وهي مخطوطة موجودة في مكتبة بودليان ومسجلة في كاتلوج " دلمان" تحت رقم 19.

-W. Conzelman: chronique de Galawdewos roi d Ethiopie,texte ethiopian, Libraire Emile Bowllon,Paris,1895,p.59.

ترجمة منال عبد الفتاح محمود عبد الله: النص الملكي في تاريخ الحبشة في عصر الإمبراطور جلاوديوس (1540-1559م) ترجمة ودراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب - جامعة القاهرة، 1418هـ/1998م، ص 1، 19.

3-Budge: The Book of the Saints of the Ethiopian church, II, Olms, 1976, p.454.see also Jones and Elizabeth Monroe: op. cit, P.35

وعندما تولى (يكونو أملاك) العرش أدرك خطورة هذه المشكلة على أولاده وأحفاده فيما بعد، لذا اهتم بإعادة تقليد أسلافه من ملوك الحبشة القدامى بحجز الذكور من أبناء الأسرة الحاكمة فيما عدا أبناء الإمبراطور القائم في جبل أمبا جيشن[1] لمحاولة منع الصراعات بين أمراء البيت الحاكم على العرش، فقد جاء هو نفسه نتيجة الصراعات الدموية على العرش بين (نيكوتو لاب) وابن عمه (يتبركا)[2]. لذلك فقد عهد ببعض المناصب القيادية إلى أكبر أبنائه سنًّا من الذكور، وكان ذلك تقليدًا قديمًا سار عليه معظم ملوك الحبشة فيما بعد، كما عهد إليه أيضًا بولاية العهد من بعده، وكان من الطبيعي أن يكون الابن الأكبر له من الأولوية في وراثة العرش أكثر من إخوته الصغار، وذلك بتوليه بعض المناصب السياسية المهمة في الدولة التي تؤهله فيما بعد للحكم، لذا أعطى (يكونو أملاك) ابنه (يجيبا صهيون) بعضًا من هذه المناصب[3].

ورغم ذلك فلم يكن الأخ الأكبر في رسوم تعيين الإمبراطور الحبشي في ذلك العصر هو المعيار الأوحد لاختيار ولي العهد، بل كان عليه أن يمتلك من القوة والشجاعة ما يؤهله إلى ذلك. فلم ينظر ابن (يكونو أملاك) خليفته (يجيبا صهيون) (684-694هـ/1285-1294م) إلى المملكة الحبشية إلى أنها إرث يقسم بين أبناء الإمبراطور، فمن الطبيعي أن

---

1 - يقول ألفاريز أن أول من فكر ووضع أول سجن ملكي هو الملك "يمرها Yimrha" حيث فعل ذلك بأمر إلهي وذلك لوقوع العديد من مشاكل الخلافة على العرش بين أبناء الأسرة الأجوبة ووقوعها أكثر من مرة في عهد معظم الحكام، كما كان أول من فكر في بناء كنيسة على هذا الجبل هو الملك "لاليبالا". أما عن تنظيم "جيشن" كسجن ملكي فربما ترجع إلى الاضطرابات التي سادت بعد وفاة (يكونو أملاك) انظر:

Hiob Ludolf: A New History of Ethiopia, the University of Michigan, (U.S.A) 1984, pp. 195-197.

ولوصف جبل أمبا جيشن والمزيد من التفاصيل حول دوره في المملكة الحبشية انظر:

-Alvarez: op. cit , pp. 237-248, Almeida , op , cit ,pp.97-102

2 -G.W.B. Huntingford ,The Wealth of King and the End of the Zague Dynasty, p.21.

3- Paul B. Henze: op. cit , p.60

يؤدي استمرار تطبيق هذا المبدأ إلى تفتيت البلاد. ثم إلى زوالها نتيجة لتقسيمها بين الأبناء ثم تقسيم كل قسم بين أبناء الأبناء وهكذا، إذ كان لدى (يجبيا صهيون) خمسة أبناء ولم يكن مستعدًا إلى تمزيق مملكته فيما بينهم، كما أنه كان غير قادر على ترشيح أحدهم على العرش ليكون خلفًا له، لذا ابتدع نظامًا فريدًا لم يتبعه أيٌّ من ملوك الحبشة من قبل، إذ قام بكتابة ما يشبه الوصية بأن يتولى كل واحد من أبنائه الخمسة العرش لمدة سنة واحدة وأن لا ينازعه أحد من إخوته الإمبراطور أثناء هذه السنة[1]، وقد التزام جميع الأبناء بوصية أبيهم فيما عدا الابن الخامس الذي يُدعى (سابا أسجد) Sab'a Asgad الذي لم يصبر حتى نهاية فترة حكم أخيه الرابع (جين أسجد) Djin Asgad فتآمر مع أصدقائه للزج بإخوته جميعًا في أمبا جيشن، ولكن الإمبراطور (جين أسجد) علم بهذه المؤامرة وألقى بأخيه وجميع أشقائه في السجن الملكي وانفرد بالحكم لفترة قصيرة، حتى ثار عليه عمه (ودم أرعد) (699-714هـ/1299-1314م) واستولى على الحكم وانفرد به[2].

وهكذا اختير (ودم أرعد) لهذا المنصب لما تحلى به من قوة الشخصية والبطولة، فالتف حوله كبار رجال البلاط وقادة الجيش، وتعاهدوا على أن يحفظوا هذه الأسرة التي شيدها جده (يكونو أملاك) وأن يدينوا له بالطاعة والاحترام. ولم تكن هذه الفكرة غريبة عن الحاكم بوصفه صاحب السلطة المطلقة في المملكة، والذين رأوا فيها أيضًا أنها تعد ملكًا لجميع الأسرة الحاكمة[3].

كما تشير المصادر الحبشية إلى دور الإمبراطور في تعيين ولي العهد، فحين مرض الإمبراطور (زرء يعقوب) مرضه الأخير قام باستدعاء كبار

1- Elaine Murray Stone: A Saint and His Lion, The Story Of Tekla Of Ethiopia , Paulist Press , 2003, p36.

2- Trimingham: op. cit.pp. 65- 72.

3- Paul B. Henze: op. cit , pp.60-61.

رجال الدين خاصة (العقابي ساعات) وكبار رجال البلاط الملكي، كما تم إلقاء القبض على بقية الأمراء الذين كانوا حاضرين في البلاط، وأعلن عن تولي أكبر أبنائه العرش بمباركة الإمبراطور نفسه، بعد أن أعلن أمام الناس أن توليته لـ(بئيد ماريام) لم تكن برغبة شخصية منه، بل بأمر من الرب الذي أمره أن يملكه عليهم[1].

وتدل هذه الأحداث على قوة الإمبراطور حتى وهو على فراش الموت، هذه القوة التى يستطيع معها أن يفرض كلمته وأن يولي من يريد، وهكذا تمكن (زرء يعقوب) من إخماد كل المحاولات التي من شأنها دخول كبار موظفي البلاط في منازعات حول خليفته القادم، فضلًا عن ما يمكن هؤلاء الموظفين من إخماد أية حرب أهلية يمكن أن تندلع عقب موته مباشرة، ومن الطبيعى أن يكون هذا الأمر سهلًا على الإمبراطور عندما يكون له ولد قوي قادر على السيطرة والزعامة والتحكم في أمور الدولة[2].

أما في الحالات التي كان يتوفى فيها الإمبراطور دون ترك وريث ذكر، كانت القوات الملكية - فور موت الإمبراطور - تسرع إلى السجن الملكي لاختيار الأمير الشاب الذي يتولى عرش المملكة، والذي غالبًا ما يكون أخو الإمبراطور السابق[3]. ويلاحظ أن انتقال الحكم من عائلة حاكم إلى شقيقه كان يعد حادثًا مهمًا في البلاد يستلزم إحضار هذا الأخ من فوق جبل الأمراء "أمبا جيشن" ليتوج بدلًا من الإمبراطور الراحل[4].

ب- دور قيادات الجيش في اختيار الإمبراطور:

1 - يا شعب إثيوبيا: الملك بنيد ماريام ليس بارداتي، بل أمر ني الرب أن أملكه من أجلكم" انظر:

-Perruchon: Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Bae'da Maryam, pp.108-109, 168.

2 - Ronland Oliver: The Cambridge History of Africa , pp. 163-164.

3 - Taddesse tamrat: op.cit., p. 282.

4 - زاهر رياض: مظاهر العلاقات، ص 53.

لعب الجيش دورًا في تعيين الإمبراطور الحبشي خاصة في العصر الثاني، فرغم كون (زرء يعقوب) أصغر سنًا من (حزبانان Hezba Nan 833-835هـ/1430-1433م) إلا أنه كان منافسًا قويًا له، ورغم ذلك كان لـ(حزبانان) مناصروه ومؤيدوه من كبار قادة الجيش الذين حسموا الصراع لصالحه عام833هـ/ 1430م[1]، وتظهر أيضًا قوة كبار قادة الجيش في تلك الفترة عقب موت الإمبراطور (حزبانان 835هـ/ 1433م فقد تأجج الصراع في المملكة الحبشية بين ثلاث فرق رئيسة، بين الجيش الذي كان مواليًا لعائلة (إسحاق)، والمسئوولين في بلاط الإمبراطور السابق الذين نجحوا في وضع ابنه الأكبر "مهركانان-سروي إياسيوس" Sarwe Iyasus-Mehreka Nan عام 1433م في السلطة، غير أنه مات سريعًا فجاء بعده أخوه "بادل تان-عمد إياسوس" Amda Iyasus- Badel Nan أوائل 836هـ/1434م، و كان لا يزال طفلًا، مما قوى شوكة الفرقة الثالثة في الصراع وهم مؤيدو (زرء يعقوب) ومناصروه خاصة بعد أن انضم إليه بعض فرق الجيش لينجحوا في تنصيبه على العرش[2].

كما نجح الجيش أيضًا في صعود الإمبراطور (ناؤود) إلى الحكم بعد أن مات (عمدا صهيون الثاني 898-899هـ/1492-1493م)[3]، فقد كان هناك انقسام في البلاط الملكي بين معسكرين، معسكر أنصار عائلة (عمدا صهيون الثاني) بزعامة (تكلا كرسيوس)، ومعسكر أنصار عمه (ناؤود) بزعامة (زا سليوس)، وقد اندلعت الحروب الأهلية بين المعسكرين امتدت إلى عدد كبير من المقاطعات الحبشية، واستمرت هذه الحروب الأهلية طيلة ستة أشهر كاملة، تمكن خلالها (تكلا كرسيوس) من هزيمة (زا سليوس)، وسجن معظم ثوار جيشه، وعاقبهم

1 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 6-7.

2 - Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, pp.279-283.

3 - Taddesse Tamrat: op,cit, p 297

بإفقادهم أبصارهم، ونجح مع قادة الجيش في اعتلاء (ناؤود) سدة الحكم[1].

ج- دور مجلس الأوصياء في اختيار الإمبراطور:

كما كان لمجلس الأوصياء دورًا في تعيين الإمبراطور في حالة موت الإمبراطور دون وريث ذكر أو دون التوصية لمن يخلفه من بعده خاصة إذا كان له عدة أطفال لا يزالون صغارًا، وخوفًا من اندلاع الصراعات بين أنصار الأمراء المختارين والمتنافسين على العرش، لذا دارت العديد من التشاورات بين مسؤولي المملكة الكبار سواء العلمانيين أو الدينيين لترسيخ بعض الشروط الواجب توافرها في تحديد خليفة أو وريث الملك، وهكذا أنشأ ما يمكن أن نطلق عليه "مجلس الأوصياء" الذي يتكون من كبار مسؤولي المملكة الحبشية مثل الملكة الأم وكبار رجال الدين فضلًا عن كبار رجال الجيش والبلاط الملكي، ونتيجة تشاورات ذلك المجلس ترسخت فيما بينهم بعض الشروط الواجب توافرها في تحديد خليفة أو وريث الإمبراطور، وقد اتضحت هذه الشروط من خلال قوائم الملوك المتاحة في هذه الفترة، وتوصف هذه العملية على النحو التالي: "عندما يموت الملك فإن الأسقف، والحكام، وجنرالات الجيش الملكي يفضلون الابن الأصغر عن كبار السن لتولي الحكم". كما كان أمن المملكة المسيحية من الجيران المسلمين والوثنيين عاملًا مهمًا جدًا في اختيار الإمبراطور الجديد عند أعضاء هذا المجلس[2].

1 - Richard Pankhurst: The Ethiopians , p. 36

2- Budge: The Book of the Saints of the Ethiopian church, p. 667, Almeida op, cit, pp 101-102.

ምድር ። ወከኑ ፡ ስንዕዎን ፡ እመ ፡ ንጉሥ ፡ ሮምና ፡
ወዓቃቤ ፡ ሰዓት ፡ ተስፋ ፡ ጊዮርጊስ ፡ ወብሕት ፡
ወደድ ፡ ዓምዱ ፡ እሉ ፡ መላስቲ ፡ ኢይትፈለጡ ፡
በገቢረ ፡ ምክር ፡ ወሥርዓተ ፡ ትእዛዝ ።

لذا فإنه عندما مات (بليد ماريام) و كان أطفاله ما يزالون صغارًا، أصدر مجلس الوصاية قرارًا بتعين ابنه (إسكندر) إمبراطورًا. وكان عمره حين تولى العرش ست سنوات لا يعرف عن شؤون البلاد شيئًا. لذلك قامت أمه الملكة (رومانة Romna) بالوصاية عليه وقد ساعدها في إدارة أمور المملكة (العقابي ساعات تاسفا جورجيس Tasfa Giyoris) وكل من الوزيرين (البحت ودد اليمين) الذي يدعى (أمادا ميكلا Amda-Mikai el) و(البحت ودد اليسار) الذي يدعى (بدالي رد Badla – Re ed)[1].

كما تشير المصادر الحبشية إلى أن تولي ابن الإمبراطور (إسكندر) والذي يدعى (عمدا صهيون الثاني) وهو ما زال طفلًا صغيرًا كان عن طريق ذلك المجلس[2].

1 - "ووالدته رومانه والعقابي ساعات تاسفا جورجيس والبحت ودد أماد ميكلا اتفقوا فيما لا اعتراض بينهم ولا في المداولات ولا في الأوامر التي أصدروها" انظر:

- Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od , rois d'Ethiopie. Texte ethiopien inedit comprenant en outré un fragment de la chronique de Ba.eda- Maryam, leur Predeceddeur, et traduction. In Journal asiatique.ser.9.vol.3. 1894.319-366. Sep.-Dr. Paris, 1894 mit eigner Seitenzahlung. PP.353-354, p.353.

2- "وبالقوة انتقلت الملكية إلى عمدا صهيون الثاني ابن إسكندروحكم ستة شهور ومات في سلام". انظر:

- Perruchon: op ,cit ,pp.356.

ወበጽንዓ ፡ መንግሥቱ ፡ ዓምደ ፡ ጽዮን ፡ ወልደ ፡
እስክንድር ፡ (fol. 78 rº) እስከ ፡ ፮ ፡ አውራኅ ። ወ
እምዝ ፡ አዕረፈ ፡ በሰላም

كما أشارت تلك المصادر أيضًا إلى إصدار مجلس الوصاية قرارًا باختيار الإمبراطور (ناؤود) رغم وجود ابن الإمبراطور (بيند ماريام) الذي يدعى (إنكا إسرائيل) الذي كان له الحق في تولي حكم البلاد[1].

5- دور النساء في البلاط الملكي:

وضعت الديانة النصرانية الكثير من القيود على الزواج الثاني، ووضعت له شروطًا صعبة، إلا أن الأحباش لم يلتزموا عامة بهذه الشروط، ولا سيما حكامهم. فقد كانت من عادة أباطرتهم الزواج بثلاث زوجات على الأقل، وهو الأمر الذي أوجد العديد من المشاكل بين أعضاء الأسرة الحاكمة. كما كانت هذه العادة أحد أهم العوامل التي أدت إلى تفكيرهم في إنشاء السجن الملكي "أمبا جيشن". وذلك لمحاولة الحد من الصراعات على عرش المملكة بين الإخوة غير الأشقاء[2].

ومن التقاليد الحبشية أن وراثة العرش تنحصر في ذكور الأسرة الحاكمة فقط، بينما النساء وسلالتهن يحرمون من التاج الملكي، ولكن يسمح لهن بالإقامة وبحرية الحركة حيثما يرغبن[3]. فلم يجعل أباطرة الحبشة للنساء دورًا في إدارة شؤون الحكم داخل المملكة الحبشية،

1 - وبعد ذلك حكم سيدنا ناؤود ابن بنيد ماريام وأخ إسكندر في شهر حيدر حيث كانت كل البلاد هادئة، وقد قص أحد الكهنة واسمه يوحنا قبل مجيئه ما يلي: "ولقد سمعت صدنا من السماء يقول: ناؤود يحكم ممتدح ومختلف". انظر:

- Perruchon: op ,cit ,pp.363.

2 - محمد علي بهنساوي: الفن الحربي، ص30.

3 -Knud Tage Andersen: op. cit , p.118 see also Budge,op. cit ,pp. 278-288

فقد اعتقدوا أنه إذا تسلطت امرأة على ملك في عهد من العهود نشأ الفساد وأُضيرَ الملك في جلاله ووقاره وحرمته. ولا ينتج عن ذلك إلا النار والشر والفتنة والفساد[1].

ورغم نظرة المجتمع السلبية تجاه المرأة فيما يتعلق بالأمور السياسية. إلا أنه كان لبعضهن تأثيرٌ كبيرٌ في تسيير بعض مجريات الأمور[2]. إذ تشير المراجع المختلفة إلى أن أم الملك (زرء يعقوب) التي تدعى (إيجزا- كبرا Igzi-Kibra) نجحت في إقناع والده بألا يذهب ابنها إلى أمبا جيشن ونجحت في إرساله إلى إحدى مدارس الرهبنة في أكسوم في دير ديرا أباي (Abbay) ليكون تحت عناية أحد أقاربها المتعلمين. ورغم أن أباه مات وهو لم يبلغ الخامسة عشر من عمره. فقد ذهب بعدها إلى أمبا جيشن ليستكمل دراسته بنفسه[3].

وتشير المصادر الحبشية إلى أن الملك (زرء يعقوب) قد خالف هذه القواعد المتبعة منذ عهد أسلافه. فرغم أنه كان لديه من الأبناء الذكور والإناث. إلا أنه فضل أن يعطي بعض المناصب السياسية الكبرى لبناته. بل وبنات أخيه بدلًا من أولاده الذكور[4].

1- Richard Pankhurst: The Ethiopian Royal Chronicles, Oxford university press, London, 1967, pp.2-3.

2 - تذكر الروايات التاريخية في عصر الزغاوة أن الملكة مسقال كبرا Masqal Kibra زوجة الملك لاليبالا استطاعت إقناع زوجها بالتنازل عن العرش لابن أخيه نيكوتولاب. ولكن بعد حوالي ثمانية عشر شهرًا عندما أساء جنوده إلى الشعب الحبشي عدلت الملكة عن رأيها وأقنعت زوجها مرة ثانية بالعدول عن قراره وأن يسحب منه العرش مرة أخرى انظر:

- Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, pp. 62-63.

3 - Ibid, pp. 289-291.

4 -لم أجد أحدًا قد عين في وظيفة البعت ودد سوى الأختين اللتين تحكمان والمقيمتان في مقر البحت ودد، ومثلهن جميع إخوتي، عينهن أبوهن الملك في كل أرض الحبشة تحت إمرته". انظر:

Perruchon: op.cit.,pp. 13-14.

كما أشارت تلك المصادر برغبة أم الإمبراطور (بئيد ماريام) التي تدعى (صهيون موجسا Siyon- Mogasa) في توليه العرش في حياة أبيه[1]. إذ أرسلت إلى العديد من القديسين ورجال الدين في الصحاري بذلك كما أرسلت إلى بعض حكام المقاطعات لإمداد ابنها بالثوار والجنود. إلا أن مؤامرتها اكتشفت فكان عقابها الجلد حتى الموت[2].

አንቲኒ ፡ ትፈ
ቅዲ ፡ ይንግሥ ፡ ለኪ ፡ ወልድኪ ፡ እንዘ ፡ ሀሎኩ ፡ አነ ፡ ዘርአ ፡
ያዕቆብ ፡ ውስተ ፡ መንበርየ[1] ፡ ወለአኪ ፡ ኀበ ፡ ኵሎሙ ፡ ቅዱ
ሳን ፡ እለ[2] ፡ ሀለዉ ፡ ውስተ ፡ አድባራት ፡ ወማከናት[3]

كما أدت عادة زواج الملوك بثلاث زوجات إلى وجود صراع فيما بينهن على جعل أولادهن الذكور يتربعون على عرش المملكة بعد وفاة الإمبراطور[3]. فقد تصارعت الملكة (رومانة) عندما مات زوجها (بئيد ماريام) مع (العقابي ساعات جورجيس) ومع كثير من رجال الدين على تولية ابنها الصغير (إسكندر) وهو ما تم لها بالفعل. في حين كانت زوجة الملك الثانية التي تدعى (إيرشاجوزيت) تريد تولية ابنها تيودورس إلا أنها فشلت في ذلك. ورغم ذلك إلا أن كلتيهما اختفت من البلاط الملكي بعد

1 -"أنت أيضًا ترغبين في أن يحكم ولدك بينما لا أزال أنا زرء يعقوب فوق عرشي، وأرسلتِ إلى جميع القديسين الذين كانوا في الأديرة وفي (كل) الأماكن". انظر:
- Perruchon:Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.107.see also Budge: A History Of Ethiopia ,p.311.

2 -عندئذ غضب الملك، وأمر أن يعاقبوها ويجلدوها كثيرًا. ومن آلام هذه العقوبة والجلد لأيام كثيرة ماتت ودفنوها سرًا في مكان يدعى مقدس مريم كان قريبًا من دير برهان".

3 - كانت هذه العادة أيضًا تقليدًا قديمًا في المملكة الحبشية، فتذكر الأساطير أن أم الملك عيزانا احتفظت له بالعرش بعد موت والده وساعدها على ذلك بعض رجال الدين المسيحيين. للمزيد انظر فوزي عبد الرازق مكاوي، المرجع السابق، ص 170.

ذلك. فقد آثرت الملكة رومانة الابتعاد عن الحياة عامة إلى دير صغير بالقرب من دير دبر ليبانوس حتى ماتت[1].

- دور (إيليني) في الحكم كوصية على الأباطرة القاصرين:

أشارت المصادر الحبشية إلى أن الملكة (إيليني) (هيلانة)[2] زوجة (زرء يعقوب) الثانية لم تنجب منه، ورغم ذلك كان لها دور رئيس في كثير من الأمور السياسية كوصية على العرش لبعض أباطرة هذه الأسرة. وقد تزوجها الملك عرفانًا لجميل والدها عليه عندما ثار عليه أحد الطامعين واستطاع القبض عليه وتسليمه إلى الملك[3]. فقد كان هذا الزواج سياسيًا بالدرجة الأولى. وقد حاولت (إيليني) أثناء عهد (زرء يعقوب) أن تقوم بتحسين العلاقات مع مسلمي عدل. وأرسلت إلى بعض البلدان الإسلامية ومنها مصر بذلك. غير أن مساعيها للصلح باءت بالفشل[4].

---

1 - Perruchon: op, cit , pp. 174-176.

2 - إيليني أو هيلانة هي ابنة حاكم سلطنة هدية المسلم، وقصة زواجها معروفة؛ إذ ذكرتها كثير من المراجع التاريخية. فالمعروف أن بعض ممالك الزيلع الإسلامية كان عليها أن تدفع إتاوات عينية ومالية إلى إمبراطور الحبشة. وقد ذكر القلقشندي في ذلك: "أن عليهم قطائع مقررة تحمل إليه (الحطي) في كل سنة من القماش والحرير والكتان. وقد درجت عادة أهالي هدية على أداء إتاوة من نوع آخر -فوق الإتاوة السابقة- وذلك بمقتضى معاهدة فرضها حطي الحبشة على هذه السلطنة إذ يقول أهالي هدية في ذلك: "وحكم علينا أن نعطيه البنت. ونعطيه مخافة أن يقتلنا. ويخرب مساجدنا. وإذا أرسل إلينا الذي يتقبل البنت والمال أخرجنا له البنت على السرير. ونغسلها ونكفنها بثوب. ونصلي عليها. ونحسب أنها ميتة ونعطيها له. فإنا وجدنا آباءنا وأجدادنا يفعلون ذلك".. إلا أننا نرى أن هذا الزواج لم يكن زواجًا بالمعنى المعروف بل كانت هذه البنت تجيء إلى قصر الملك كجارية من الجواري التي تضم إلى حريم الملك. للمزيد انظر القلقشندي: صبح الأعشي، ج2، ص 133، عرب فقيه، المصدر السابق، ص 281.

3 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red, p. 54.

انظر أيضًا، بدر السيد بدر نصار: رحلة الحسن بن أحمد الحيمي لشرق إفريقية في القرن السابع عشر وظروفها التاريخية، رسالة دكتواره غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1978م، ص 91.

4- Ronland Oliver: The African Middle Age 1400-1800,university of Cambridge, united kingdom ,press ,2004, p.154.

على أن الدور السياسي للملكة (إيليني) لم يظهر على الأحداث أثناء حياة زوجها، وإنما برز دورها بصورة كبيرة في عهد خلفائه. إذ كانت من أكثر الشخصيات نشاطًا في الحياة السياسية. فرغم أنها لم تعد من زوجات الملك الأربع بعد موت زوجها. فضلًا عن موت أم الإمبراطور قبل توليه العرش، إلا أنها كانت أكثر نشاطًا في تصريف الأمور الدينية والسياسية في البلاد. إذ أصبح لها اليد العليا في تصريف مثل هذه الأمور في ظل خبرتها بإدارة الأمور السياسية. لذا فقد أفرط (بئيد ماريام) في حبها وأصدر قرارًا رسميًا سمح لها بمقتضاه بالاحتفاظ بلقبها القديم Qagn-Baaltehat وهو لقب رسمي يعني "خليفة أو نائب الملك"[1].

ويشير عدد من الباحثين أنه كان لها - إيليني - اليد العليا في نفي أم الإمبراطور (إسكندر) (رومانة) عندما أرادت في البداية تَوَلي الوصاية. كما أصبح بيدها مقاليد الأمور أيضًا في عهده - (إسكندر) - خاصة بعد أن قامت بانقلاب سياسي في القصر الملكي عام891هـ/ 1486م لإزاحة (البحت ودد أمادا تكلا) عن طريقها[2].

وهكذا سيطرت (إيليني) على مجريات الأمور في القصر الإمبراطوري. وأصبحت تحيك المكائد السياسية للاحتفاظ بنفوذها في الحكم. فقد نجحت في التكتم على موت (إسكندر) واستطاعت من خلال مجلس الأوصياء تعيين (عمدا صهيون الثاني) لصغر سنه وحكمت الملكة طيلة

---

1 - "وقد أحب الملك ملكة اليمين المدعوة بايليني برتبتها جدًا، لأنها كانت كاملة أمام الرب في كل شيء بعمل البر والإيمان، وبأداء الصلاة (وتقديم) القرابين، (وبمعرفتها) في الدنيا كذلك بنظام الولائم، وبالشريعة، والعلم بالكتاب(المقدس) (وفن) القول. من أجل هذا كله أحب الملك الملكة إيليني وجعلها كأمه.

Perruchon: op,cit., p. 176

2- Rene Basset: Etudies sur l' Historie de Ethiopie, in J.A (Journal Asiatique) Septieme Serie, Tome xvlll,paris, 1987, p. 174.

فترة حكم هذا الملك[1]. وعندما مات ذلك الإمبراطور، أصدرت أوامرها بإغلاق جميع المنافذ المؤدية إلى جبل "أمبا جيشن" وبذلت أقصى ما يمكن لإبعاد (إنكا-إسرائيل) الابن الثالث لـ(بئيد ماريام) لمحاولة البعض توليه الحكم، واستطاعت إقناع مجلس الأوصياء بقبول (ناؤود) ملكًا على البلاد، وذلك تأثرًا بنبوءة الراهب (جون John)[2].

وعندما مات الملك (ناؤود) الذي كان له خمسة أولاد، استطاعت (هيلانة) اختيار (لبنا دنجل) ملكًا بعد أبيه، وذلك بمساعدة الأب (ماركوس Abuna Marcus)، إذ كانت الوصية على العرش بالاشتراك مع الملكة الأم التي تدعى (ناؤود موجسا Na od Mogassa)، فيذكر النص الحبشي في عهد الإمبراطور (لبنا دنجل) أنه كان يباشر سلطاته متبعًا توجهات أمه فضلًا عن الملكة (إيليني) كما يمتدحها النص نظرًا لدرايتها بأمور البلاد[3].

وهكذا سيطرت (إيليني) على اختيار من يتولى منصب الإمبراطور، على أنه ينبغي أن نذكر أن دورها لم يقتصر على ذلك فحسب، بل قامت بأدوار سياسية مهمة، يكفي أنها استطاعت تأجيل احتلال المسلمين للمملكة عدة سنوات عندما ازدادت قوتهم بتحالفهم مع الأتراك العثمانيين، لذا حاولت البحث عن حلفاء ليقوموا بحماية المملكة

---

1 - وبالقوة انتقلت الملكية إلى Amda-Seyon II ابن إسكندر وحكم (لمدة) ستة شهور ومات في سلام في 29 teqemt" انظر:

- Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od ,p. 356.

2- Perruchon: op,cit., p.363.

3 - وكان يباشر هذا الملك سلطانه متبعًا توجهات أمه الملكة ناعود موجاسا، ومشورة سيدة أخرى وهي الملكة إيليني وعرفت كلتا السيدتان نظام البلاط الملكي ولكن فاقت السيدة إيليني الأروب (الحكيمة) دراية ببواطنه لأنها حضرت ثلاثة ملوك حينما عاشت معسكر بلاطهم وحاز هؤلاء الملوك سورة نابهة (نزلوا منزلة عظيمة)؛ فمن ثم عرفت النظام القانوني للمملكة. انظر:

Manfred Kropp: Dis Geschichte Des Lebna-Dengel. P. 3.

ووجدت ضالتها عندما أرسلت رسالة مع (ماثينو الأرميني) إلى ملك البرتغال والبابا في روما[1].

وبوفاة (إيليني) - في إبريل عام 928هـ/1522م[2] - فقدت المملكة الحبشية السند والعقل المدبر لها، لدرجة أنه شاع في المملكة أن الحبشة بأكملها قد ماتت، "فقد كان يعيش الجميع تحت ظلالها إذ كانت في مقام الأب والأم لهم جميعًا"[3].

6- دور المطران والكنيسة في الحكم:

من المعروف أن دخول الديانة النصرانية إلى الحبشة قد جاء على يد فرومنتيوس Frumentius[4]، والذي عينه البطريرك المصري أثناسيوس كأول مطران في الحبشة، وأطلق عليه اسم الأب سلامة[5]، وهو يعتبر بحق المؤسس الحقيقي للكنيسة الحبشية الأرثوذكسية. ويذكر هنا أنه ما إن دخلت المسيحية إلى الحبشة في القرن الرابع الميلادي[6]، حتى أصبحت الكنيسة الحبشية تابعة للكنيسة المصرية عقائديًا[7] بل إن كيانها ارتبط بوجود المطران المصري[1].

1- Paul B. Henze: Layers Of Time A history Of Ethiopia , Hurst , Company, London , 2000, p. 75.

2 - في حين يرى البعض أنها ماتت عام 1520م، انظر

- Paul B. Henze: op. cit. p. 86.

3 - Alvarez: op. cit.p. 434.

4 - فرومنتيوس: هو تاجر مصري كان هو وأخوه يقومان برحلة في البحر الأحمر حين توقفت سفينتهم على أحد الشواطئ الإفريقية، ولكن الأهالي قضوا على ركابها وأسروا فرومنتيوس وأخاه أيديسيوس وأخذوهما إلى الملك الحبشي عيزانا الذي قربهم إليه، ثم سافر فرومنتيوس إلى مصر حيث قابل بطريرك الإسكندرية، وطلب منه تعيين أسقف يرعى هذه البلد، فعينه أسقفًا على الأحباش باسم الأب سلامة. انظر:

Budge: op. cit. pp.478.

5 - Richard Pankhurst: op. cit , p.70.

6 - Jones and Monroe: op. cit , p.51.

7 - جاء القرار الثاني والأربعون من قرارات مجمع نيقة المقدس عام 325م مؤيدًا ومؤكدًا لتبعية الكنيسة الحبشية للبطريركية المرقسية بالإسكندرية، فذكر أنه لا يجوز للأحباش

ومنذ ذلك الحين صار على المطران أن يقوم بتتويج الإمبراطور وذلك لإضفاء الشرعية على حكمه ولتجنب أطماع الثائرين في مناوئته في أحقيته بالعرش. وكان التتويج يتم في احتفال ديني بكنيسة أكسوم. وبعد إتمام عملية التتويج يهتف أفراد الشعب للإمبراطور الجديد[2].

ويذكر أن الكنيسة الحبشية لم يكن لها دور في دعم الأسرة الأجويين. لخلو منصب المطران لفترات طويلة استمرت أحيانًا لأكثر من ثمانين عامًا. كما اتجه الكثير من الكهنة لأعمال الزراعة[3]. الأمر الذي يفسر بطبيعة الحال سوء العلاقات بين الأباطرة والمطارنة في عهد هذه الأسرة[4].

وقد فطن يكونو أملاك لهذا الأمر وحاول تداركه. فتحالف مع رجال الدين وعلى رأسهم القديس تكلاهيمانوت ووعده بإعادة العلاقات الدينية مع الكنيسة المصرية، وبتحسين حالة الكنيسة لتتمكن من أداء رسالتها الروحية[5].

من هنا أصبح تتويج المطران للإمبراطور ضرورة من ضرورات الحكم[6]. حيث حرصت الأسرة السليمانية الجديدة على هذا التقليد

أن يعينوا أو يختاروا مطرانًا من قبلهم بل ينبغي أن يكون ذلك عن طريق بطريرك الإسكندرية وقد ظلت هكذا حتى عام 1950م. بينما ينفي البعض ويذكر أن قرارات هذا المجمع عشرون فقط. انظر حامد عمار. العلاقات بين مصر والدول الإفريقية في العصور الوسطى. مكتبة الدار العربية للكتاب. القاهرة. 1996م. ص 29. مراد كامل. العلاقات بين الكنيستين المصرية والإثيوبية. مجلة السياسة الدولية – العدد الثامن. السنة الثالثة. 1967، المجلد الثالث. ص 309. زاهر رياض. كنيسة الإسكندرية في إفريقيا. مطبعة الجيش. القاهرة. الطبعة الأولى. 1962، ص 88.

1 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p.24.

2- G.W.B. Huntingford: op. cit ,PP.6-8.

3 - Roland Oliver: op. cit , p. 158.

4 -Sergew Hable Selassie: op. cit., p.34.

5 - أنتوني سوريال عبد السيد: المرجع السابق، ص 11.

6- كانت مراسم التتويج في عهد الأسرة السليمانية في كنيسة الملاك ميخائيل أو القديس جورجيس وتحت صورتهما. حيث يقوم المطران بوضع التاج على رأس الملك مما يكسبه

باعتباره ضمانًا لتأكيد أحقيتها في العرش اعتمادًا على أساس ديني قوي، علاوة على أن إضفاء الشرعية الدينية على الحكم يعد أمرًا من شأنه أن يبعد المنافسين والطامعين عن كرسي العرش[1]. وعلى ذلك فليس بمقدور هذا الإمبراطور أن يحكم أو يضمن طاعة شعبه إلا إذا توَّجه المطران[2]. ليس هذا فحسب بل كان الإمبراطور يحرص على اصطحاب المطران في رحلاته ومواكبه ومعسكراته المتنقلة وحروبه، خوفًا من وصول أحد المنافسين إليه وإجباره على تتويجه. وتأكيدًا أمام الشعب أن هذا الإمبراطور هو الوحيد الذي تؤيده الكنيسة، وأن المطران راضٍ بسياسته وقانع بحكمه[3]. وعلى ذلك صار المطران لديهم – على حد قول القلقشندي: "كالخليفة على دين النصرانية عندهم، يتصرف فيهم بالولاية والعزل، ولا تصح ولاية ملك منهم إلا بتوليته"[4].

ولعل من أبرز الدلائل على أهمية المطران وخطورة الدور الذي يلعبه أنه في حالة حدوث ثورة على أحد الأباطرة وخروج جيش المملكة لسحق هذه الثورة، كان الإمبراطور يصطحب المطران لضمان خضوع الأمراء له ولإلقاء الرعب والفتنة بين صفوف منافسيه[5]. وكان صدور

صفة القداسة، كما يكسب أيضًا خضوع الشعب له. وقد أكدت المصادر الحبشية أن زرء يعقوب هو أول من قام بعمل " شريعة التنصيب" وإن كان ذلك استكمالًا لما فعله آباؤه من قبل. ويقول الدكتور زاهر رياض إنه إذا جاء دور التاج رفعه المطران بنفسه بين يديه وهو يقول "ندعوك يا الله – يا من وضعنا فيك كل ثقتنا. أن تبارك هذا التاج وتبارك حامله الملك –فلان– كي يكون أهلًا لحمله". ثم يقترب من الملك ويضعه بيده على رأسه وهو يقول (ليجعل الله هذا التاج تاج قداسة ومجد). انظر: مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص 25، زاهر رياض، العصر الأول، ص 96-97.

1 -Jones and Monroe: op. cit , p.50.

2 - ولذلك كان الملك الحبشي في كل مرة يطلب فيها المطران كان لا بد وأن يسترضي بلاط القاهرة بالهدايا الرائعة انظر زاهر رياض، العصر الأول، ص90.

Jones and Monroe: op. cit , pp.50 – 51.

3 - Budge: op. cit. p.269.

4 – صبح الأعشى، ج4، ص 308.

5 - Roland Oliver: op. cit , p. 157.

قرار من المطران بحرمان الثائر يعد أمرًا كافيًا لسحق الثورة والقضاء عليها[1]. فقد كان المطران يملك سلاحًا خطيرًا، وهو ما أطلق عليه سلاح الحرمان[2]. والذي بموجبه يحق للمطران عزل الإمبراطور (أو أي أحد) إذا حاول الخروج عن تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية المصرية أو أتى بما يضر بمصالح البلاد أو الشعب[3]. وبموجب نفس السلاح أيضًا لا يحق للشعب الخروج عن طاعة الإمبراطور إلا إذا أمر المطران بذلك. وعلى ذلك فإن مجمل القول أنه كان لرجال الكنيسة سلطة قوية في المملكة الحبشية مرجعها في الغالب هو وضعهم الرسمي في البلاط الإمبراطوري. وقد أجمل القلقشندي القول في المطارنة عندما قال عنهم: "فكانوا هم ملوكهم حقيقة"[4].

ورغم خطورة وأهمية الدور الذي لعبه رجال الكنيسة بصفة عامة والمطران بصفة خاصة، فإن التحالف الذي ربط بين الإمبراطور من جهة والبطارقة والقساوسة من جهة أخرى لم يكن ليخلو من بعض

---

1 - Budge: op. cit. p. 345.

2 - ينقسم سلاح الحرمان إلى قسمين: القسم الأول، هو توقيع عقوبة الحرمان (القطع – الشلح) بطريقة فردية شخصية، أي ضد فرد معين مقصود بالذات Excommunication وعندئذ يصبح هذا الشخص منبوذًا، ومطرودًا من المجتمع المسيحي Societies Christiana فلا يسمح لأحد بالاقتراب منه أو التعامل معه سوى زوجته وأولاده. أما القسم الثاني، فهو عقوبة الحرمان الجماعي التي توقع على مجتمع بأكمله سواء كان هذا المجتمع مدينة أو إقليمًا أو مملكة بأسرها. انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، الجزء الثاني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1991م، ص 12.

3 - المعروف أن عمدا صيون حكم البلاد لمدة ثلاثين عامًا (714-745هـ/1314-1344) قضى نصفها الأول في ملذاته حتى أنه لم يتورع عن معاشرة خليلات أبيه، ولم يتعفف عن اغتصاب أخته، مما أثار عليه سخط رجال الدين حيث اضطربت العلاقات بين الدولة والكنيسة، فهددوه بتوقيع عقوبة الحرمان عليه، عندئذ أفاق مما كان عليه وراعى مصالح الدولة. لمزيد من التفاصيل، انظر:

Paul B. Henze: op. cit., p.64 see also Budge: op. cit. p. 288.

4 - القلقشندي: المصدر السابق، جـ4، ص 309، ت. تامرات، المرجع السابق، ص 435، زاهر رياض، العصر الأول، ص93.

الآثار السلبية على الشعب. فقد ورث رجال الكنيسة بموجب هذا التحالف ثلث أراضي الدولة، ما جعل من الكنيسة تجسيدًا للإقطاع واغتصاب الأرض. وهكذا أصبح القساوسة ملاكًا للأرض باسم الكنيسة، فازداد القساوسة ثراءً في أرض شعب ازداد فقرًا[1]. وأصبحت الكنيسة تحمي مصالح شريحة صفوة المجتمع من رجال الدين. تلك الشريحة التي ربطت مصائرها بالعرش، كما ظلت لا مركزية شأنها في ذلك شأن المملكة الحبشية نفسها[2] أي أن مستقبل الحبشة السياسي والاقتصادي كان مرتكزًا على أساس الديانة النصرانية[3].

أما من جانب الكنيسة فقد أردات الكنيسة بذلك أن تكتسب من القوة ما يمكّنها من تحقيق نفوذها السياسي والاقتصادي. وراحت تبحث بكافة السبل المتاحة لديها ما يمكنها من تحقيق ذلك. فوجدت ضالتها في (يكونو أملاك) لتحقيق طموحاتها ليس أكثر. وقد رأينا كيف قام هذا الإمبراطور بمحاولة تنظيم الكنيسة ضمن نواحي الإصلاح الأخرى التي تعهدها بعنايته. وذلك بوصفه رائدًا أو زعيمًا للشعب المسيحي في الحبشة[4].

وبتنصيب الأحباش ورجال الدين (يكونو أملاك) إمبراطورًا كان يجب عليهم أن ينصاعوا له ويطيعوه جميعًا. ولكن هذا التنصيب والاعتراف لم تكتمل به الحقوق الشرعية للإمبراطور الحبشي لممارسة كافة حقوقه السياسية. فقد كان لا بد من موافقة المطران على هذا التنصيب، أي أن الإمبراطور كان في حاجة ماسة إلى تفويض شرعي من ذلك المطران لحكم البلاد التي تحت يده لكي يُكْسِبَ الأسرة الجديدة شرعيتها في الحكم، حتى ولو كان هذا اعترافًا شكليًا يرضي عنه الناس،

---

1 - ت. تامرات: المرجع السابق، ص 440.

2 - Huntingford: op. cit., p.12.

3 - للمزيد حول هذا الموضوع انظر الجزء الثاني من هذا الكتاب.

4 - Harry Middleto: The church of Abyssinia. London,1928,pp. 49-51.

لذلك بادر (يكونو أملاك) بإرسال رسالتين أولاهما إلى بطريرك الإسكندرية (أثناسيوس الثالث) ليطلب مطرانًا جديدًا. إذ كان هذا المنصب خاليًا منذ وفاة الأنبا (يؤنس) عام648هـ/ 1250م. وذلك لكي يقوم بوظائفه الدينية وليقوم بتتويجه إمبراطورًا على الحبشة ليضفي على حكمه الشرعية الدينية ولإبعاد المنافسين والطامعين عن كرسي العرش[1].

ولم يكتف (يكونو أملاك) برسالته إلى بطريرك الإسكندرية، بل كان عليه أيضًا أن يسترضي بلاط القاهرة بخطاب آخر يستعطف فيه سلطان مصر على أن يسمح للبطريرك بإرسال مطران إلى الحبشة، وعلى ذلك أرسل خطابًا مع مبعوثين إلى السلطان (الظاهر بيبرس) (658-676هـ/1260-1277م) يستأذنه في أن يسمح للبطريرك بانتخاب مطران وتعيينه، وقد انتهج في هذا الخطاب لهجة أقل ما توصف به أنها ذليلة وذلك في سبيل نجاح مسعاه لإعطاء عرشه سندًا ما بعده سند[2].

يذكر أن (يكونو أملاك) لم يرسل الخطابين مباشرة إلى القاهرة، ولم يرسل – كما هي عادة ملوك الحبشة - الهدايا الرائعة إلى كل من البلاط السلطاني والبطريرك، بل اكتفى بإرسال الخطابين إلى الملك (المظفر شمس الدين يوسف بن رسول) (647-692هـ/ 1249-1294م) صاحب اليمن، الذي اكتفى بإرسال مضمون الرسالتين إلى مصر؛ بزعم أنه يتطلب الحصول أولًا على إذن من السلطان بيبرس قبل إرسال رسول (يكونو أملاك) إلى القاهرة، كما حجز مبعوثيه في اليمن واكتفى بوعده إرسال الهدايا في حالة وصول المطران[3]. وقد اتضح ذلك من خلال رد

1- Jones and Morroe : op,cit, pp. 49-50.

2 - سعيد عبد الفتاح عاشور: الظاهر بيبرس، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2001، ص29. كذلك:

- Harry Middleto: op, cit, p.51.

3- محمد عبد العال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (628-923هـ/1231-1517م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، 1980م، ص 356.

السلطان (بيبرس) على (يكونو أملاك) والذي يتضح منه تجاهل السلطان بيبرس الطلب. "فأما المطران فلم يحضر من جهة الملك أحد حتى نعرف الغرض المطلوب، وإنما كتاب المظفر صاحب اليمن"[1].

وعلى ذلك حاول (يكونو أملاك) الاتجاه إلى الإمبراطور البيزنطي (ميخائيل الثامن باليولوجاس)[2] (661-681هـ/ 1261-1282م) وأرسل إليه العديد من الهدايا والمتمثلة في بعض حيوانات الحبشة مثل الزراف وغيره[3]، وذلك نكاية في حكام مصر وإرهابًا للممالك الإسلامية في منطقة القرن الإفريقي عامة، لكن حالة بيزنطة الداخلية لم تكن لتسمح لـ(ميخائيل) بدراسة مثل هذه الأمور في ذلك الوقت[4].

وهكذا بدأ القلق يتسرب إلى أعماق (يكونو أملاك) نظرًا لأن غياب المطران من الممكن أن يضيع عليه كل ما بذله ونجح فيه، وربما يأخذ

1 - القلقشندي: صبح الأعشى، ج8، ص 40.

2 - هو مؤسس سلالة آل باليولوجاس آخر الأسر التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية، ظهرت مواهب ميخائيل الفذة وطموحاته الكبيرة منذ عمر مبكر، تدرج في المناصب حتى حصل على لقب Megas Doux أي الدوق الأكبر. وفي يناير سنة 1260 نصب ميخائيل وليًا للعهد ثم أصبح إمبراطورًا، وقد دخل القسطنطينية في موكب عظيم واتجه إلى كنيسة آيا صوفيا حيث توج إمبراطورًا للقسطنطينية، فبدأ بترميم أحياء العاصمة المتهدمة فعادت إليها الحياة ونشطت التجارة. كما تعهد أسوار القسطنطينية بالإصلاح ليعيد إليها حصانتها وبنى أسطولًا جديدًا لحماية سواحل الإمبراطورية، كما عقد مع البابا جريجوري العاشر سنة 1274 اتفاقية اعترف بتبعية الكنيسة الأرثوذكسية للبابوية. وفي مقابل ذلك حصل على اعتراف البابا بأحقيته في حكم القسطنطينية، وأن يطلق يده في الشرق ولو كان على حساب الإمارات اللاتينية. إلا أن القلاقل الدينية التي سادت في أواخر عصره كانت السبب في ضعف إمبرطوريته. لمزيد انظر زبيدة محمد عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى، القاهرة، د.ت، ص 154.

3- Budge: op, cit, p. 285.

4 - عبد المجيد عابدين: المرجع السابق، ص ص 170-171، رجب محمد عبد الحليم، العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، 1405هـ / 1985م، ص103. انظر أيضًا:

- Budge: op, cit, p. 286.

البعض من رفض البطريرك تعيين مطران ذريعة لظهور رؤوس الفتنة وارتفاع أسهم الأسرة القديمة. لذا لجأ (يكونو أملاك) إلى مطران القدس ليتوسط له عند سلطان القاهرة، لكن هذه المحاولة فشلت أيضًا. وجاء الأمل له من بطريرك أنطاكية السرياني الذي بادر على الفور بإرسال مطران يدعى (ثيودوسيوس) انتقامًا من بطريرك الإسكندرية الذي سبق أن اعتدى على سلطته بتعيين مطران مصري في بيت المقدس عام 1235م[1].

على أية حال فإنه ما إن وصل المطران الجديد حتى أسرع (يكونو أملاك) بطلب منه تتويجه، وبذلك تحقق له ما أراد واكتملت بذلك الحقوق الشرعية لإمبراطور المملكة. إلا أن الأحباش وعلى رأسهم رجال الدين قابلوا هذا المطران بكثير من الامتعاض، وذلك لأنهم ألِفوا بطارقة الإسكندرية من جهة، ولعدم مراعاة هذا المطران للأمانة من جهة أخرى، لأنه اتجه إلى جمع الأموال لنفسه، الأمر الذي زاد من غضب الأحباش ووصل إلى حد الثورة على الإمبراطور. بل إن بعضهم أرسل خطابًا إلى (ثيودوسيوس الثاني) بطريرك الإسكندرية في محاولة منهم لاستصدار قرار بطريركي بحرمان الإمبراطور، لأنه خالف بنود الاتفاق معهم على إعادة العلاقات الدينية مع مصر كشرط من شروط نصرتهم له[2].

وهكذا بذل (يكونو أملاك) أقصى ما في استطاعته لمحاولة إضفاء الشرعية الدينية على حكمه من جهة، ولمحاولة إرضاء كبار رجال الدين من جهة أخرى. فما إن تم تتويجه حتى سارع بالتنازل عن ثلث أراضي الدولة للكنيسة حسب الاتفاق المبرم بينه وبين القديس (تكلاهيمانوت)، وهو الأمر الذي أدى إلى ازدياد هيبة الكنيسة وقوتها الاقتصادية بل

1- Elaine Murray Stone: op. cit, P.35.

2- Harry Middleto: op. cit, p.55.

وتطلعها إلى التدخل في بعض الشؤون السياسية للمحافظة على ما وصلت إليه من نفوذ[1].

ولكن اضمحلال إمبراطورية (يكونو أملاك) الجديدة حرم الكنيسة من حليف قوي، إذ تركها وحيدة في الميدان وسط مظاهر الفوضى الشاملة والأخطار التي بدأت تهددها، إذ لم يبد خلفاء (يكونو أملاك) نفس اهتمامه السابق برعاية رجال الكنيسة ومواردها. وهكذا لم يقتصر هذا التدهور على الكنيسة وحدها، بل امتد إلى بقية الجهاز الكنسي حتى اختلت أحوال الكنيسة بوجه عام في الفترة الواقعة بين أبناء (يجبيا صهيون) Yagbe'u Seyon (684-694هـ/1285 – 1294م) حتى نهاية حكم (ودم أرعد) Wedem Arad (699-714هـ/1299-1314م)[2].

لذلك بدأت الكنيسة تبحث لها عن حليف جديد يعيد لها مجدها ونفوذها في البلاد. فوجدت ضالتها في أحد أبناء (قدامه أسجد) Qedma Asg'ad (696-697هـ/ 1296-1297م) الذي يدعى (عمدا صهيون الأول - Amda Seyon I) (714-745هـ/1314-1344م)، وأعادت سيرتها الأولى معه كما فعلت مع جده (يكونو أملاك). فراحت تدعمه وتنشر الدعاية السياسية السيئة ضد عمه (ودم أرعد)، حتى نجحت أخيرًا في توليته الحكم في حياة عمه[3].

ዓምደ፡ጽዮን፡ገብረ፡መስቀል።

ورغم نجاح الكنيسة في تنصيب من رأته مناسبًا لها - (عمدا صهيون الأول) - من الأباطرة لتحقيق نفوذها الاقتصادي والسياسي، إلا أنه سرعان ما بدأت الصراعات بين الإمبراطور الجديد وبين الرهبان

1-Christine Chaillot : The Ethiopian Orthodox Tewahedo Church Tradition,a brief introduction to its life and spirituality Published Paris , 2002, p.24.

2 - Harry Middleto: op. cit, pp.53-55.

3 -Perruchon: Histoire des guerres d'Amda Seyon, roi d'Ethiopie, in Journal asiatique.ser.8, t.Xiv,1889,pp.271-272.

في بداية حكمه، إذ تشير المصادر الحبشية إلى تعمد (عمدا صهيون) إقصاء العديد من الرهبان عن مناصبهم ونفيهم إلى نواح شتى في المملكة[1]. وذلك بسبب علاقته غير الشرعية مع زوجة عمه[2] التي تدعى (زان مونجسا) Zan Mangasa. بل صارت الأمور أشد تعقيدًا حينما

ዘዙ ፡ ትክሰ ፡ ወበርሉ ፡ ይትከሠለከ ፡ ወይእዜኒ ፡ 'ስማዕ ፡ እግዚአ ፡
ጸሎቶ ፡ ለእመትከ ፡ ወኢትትሀየይኒ ፡ 'እውያት ፡ ልብየ ፡ ወስእ
መስ ፡ በዝንቱ ፡ ኃጢአትየ ፡ ይዕበይ ፡ ወይትለዓል ፡ ምሕረትከ ፡
በምሕረትከ ፡ ተዓደቂ

انتشرت الشائعات بأنه ارتكب جريمة الزنا مع أخته، بل مع الشقيقتين الأخريين له[3]. ولم يغفل النص الحبشي مثل هذه الاتهامات عن الإمبراطور وعشيقته حتى في أواخر أيامه. فنجد أن (زان مونجسا) تتضرع إلى ربها وتدعوه قائلة: "ربي لا تغلق على أبواب رحمتك بسبب خطاياي"[4].

على أن هذا الوضع لم يكن ليسكت عنه المخلصون من رجال الدين، لذا أصدر المطران (مادهينا إيجازي) Madhanina Egzi'e قرارًا بالحرمان ضد الإمبراطور. كما تأهب أربعة من رجال الدين للتصدي

1 - Manfred Kropp: op., cit., p. XV.

2- يشير البعض إلى أنها زوجه أبيه على أساس أنه ابن للملك السابق (ودم أرعد). إلا أن (عمدا صهيون) ذكر أنه ابن (قدامه أسجد) Qedma Asg'ad ويبدو أن هذا الادعاء، كان المقصود منه أن يدفع عن نفسه عار العلاقة غير الشرعية بهذه العاشقة، زوجة (ودم أرعد) انظر:

- Manfred Kropp: op., cit., PP.5-6.

3 -Huntingford G.W.B.: The Glorious Victories of Amda Tseyon, King of Ethiopia, Clarendon Press,Oxford, 1965, P. 5.

4- Manfred Kropp: op., cit., p.8, 39 see also Perruchon, Histoire des guerres d'Amda Seyon, pp. 445-446.

لهذه الأفعال وهم الأب (أندروس) Anorewos رئيس دير دبر ليبانوس والأنشي (فيلوبوس) Filpos والأب (باسيكال ميكال) Basalota Mika'el رئيس دير دبرا Daret فضلًا عن الأب (جورج). ما أثار غضب (عمدا صهيون) فأمر بجلد هؤلاء علنًا أمام الناس لمدة يومين متتالين حتى سالت دماؤهم، وفي اليوم الثالث اندلع حريق هائل في البلاد وصل إلى خيمة الإمبراطور وأدى إلى موت عدد كبير من السكان والحيوانات[1]. ما جعل (عمدا صهيون الأول) يعدل عن قراره وينقلب من النقيض إلى النقيض. فراح يساند الكنيسة ويقف بجانبها، لدرجة أنه بعث برسالة شديدة اللهجة إلى السلطان (الناصر ناصر الدين محمد) (709-741هـ/1309-1341م)[2]: بسبب اضطهاد المسيحيين في مصر، يبلغه فيها أنه سيقوم باضطهاد مماثل لمسلمي الحبشة، بل وحرمان مصر من مياه النيل بتحويل مجراه إلى الصحراء[3].

وهكذا اكتسبت الكنيسة إمبراطورا جديدًا يسعى لتقوية نفوذها واسترضائها بكافة الطرق، إذ بدأ (عمدا صيون الأول) بالاهتمام بأمور الدين، فأكثر من بناء الكنائس والأديرة، فضلًا عن تشجيعه لحركة الترجمة الدينية، حتى عرف عصره بعصر ازدهار الحياة الكنسية في الحبشة وتقديم الأعمال الفكرية والعالمية للكنيسة، ما يعد دليلًا

1 - Perruchon: Histoire des guerres d'Amda Seyon, p.272.

2- الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون: تاسع سلاطين الدولة المملوكية البحرية. لقب بأبي المعالي وأبي الفتح. جلس على تخت السلطنة ثلاث مرات، من 693 هـ 1293 / إلى 694 هـ1294/ ، ومن 698 هـ 1299 / إلى 708 هـ 1309 / ومن 709 هـ / 1309 وحتى وفاته في عام 741 هـ / 1341. من أبرز سلاطين الأسرة القلاوونية والدولة المملوكية. خاض حروبًا ضد الصليبيين والمغول، وحروبًا إصلاحية في الداخل ضد الفساد. شهدت مصر في فترة حكمه الثالثة نهضة حضارية وعمرانية لم تشهدها في عهد أي سلطان آخر من سلاطين الدولة المملوكية.انظر سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1976م، ص 36-44.

3 - Budge: op. cit, p.289.

واضحًا على ازدهار الثقافة آنذاك لما انطوت عليه من ثراء فكري[1]. كما تروي المصادر الحبشية عن قيام حركة قوية لنشر الإنجيل في العديد من الأقاليم النائية في المملكة الحبشية، الأمر الذي أدى إلى تأسيس كنائس وأديرة جديدة في الأقاليم الإسلامية والوثنية[2].

وقد أدى هذا الازدهار الديني إلى تدخل رجال الدين في شؤون الحكم، بل التحكم في مصير الإمبراطور القائم على العرش. إذ تشير كتب سير حياة القديسين الأحباش في عصر الإمبراطور (داود) (784-814هـ/ 1382-1411م) إلى الدور الذي لعبه رجال الدين في هذه الفترة[3]. ففي حياة القديس (ماري) St.Mary استقر رأي كثير من رجال الدين في المقاطعات المختلفة على وجوب تنازل الإمبراطور (داود) عن الحكم لابنه، بل إنهم أرسلوا للإمبراطور بهذا القرار. فما كان من الأخير إلا أن استنجد بـ(العقابي ساعات)[4] الذي يدعى (سيجاقا) Saraqa واستقر الرأي على طلب تدخل القديس (ماري) الذي أقام الصلاة من أجل (داود) ووعده بالاحتفاظ بالعرش طيلة حياته، ما يعد انتصارًا حقيقيًا للكنيسة ويبرز دورها في عطفها على (داود) وإبقائه على

1- Manfred Kropp: op., cit., p. XVI.

2- Manfred Kropp: op., cit., p. XV.

3 -Taddesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval Ethiopian History, in Rural Africana,1970, p.105

4 - عقابي سعات (ساعات): أي حارس الساعة أو القيم على الأوقات، وهو أهم رجال الدين وأكثرهم قدرًا، وهو أحد أرفع المناصب في الكنيسة الحبشية، حيث يلي الأتشجي في الأهمية. فقد كان هو المسؤول عن ترتيبات القصر والأمور الخاصة بالملك، وهو مقيم بصفة دائمة في معسكر الملك للتصرف فيما يجد من الأمور الدينية، فكان له من القوة والتأثير الكثير الذي يتناسب مع منصبه. وقد سمح له بالاقتراب غير المحدود من الملك في عصر زرء يعقوب. ويرى بعض الباحثين أنه كان مسؤولًا عن مراقبة المواقيت الخاصة بجدول أعمال الملك. ورغم علو مكانته في عصر زرء يعقوب، إلا أنه أصبح موظفًا من الدرجة الثانية في عصر لبنا دنجل (1508-1540م). انظر

Perruchon :op , cit , p. 167-168.

العرش[1]. وعلى ذلك فقد سلك دواد طريق سلفه (عمدا صهيون): إذ بذل أقصى ما في استطاعته لإرضاء الكنيسة، فقام بإحضار قطعة من الصليب المقدس من بيت المقدس إلى الحبشة، فأقيمت الاحتفالات الكبيرة في البلاد، كما قام بتحسين العلاقات مع مصر، وأرسل 22 جملًا محملين بالهدايا إلى السلطان (برقوق) في مصر، فضلًا عن أنه نفذ وعده لرجال الكنيسة بتقديم المساعدات المالية لرجال الدين الأحباش المقيمين في أحد الأديرة بالقدس[2].

وهكذا أيقن أباطرة هذه الفترة مدى قوة الكنيسة وسطوتها، فحرصوا دائمًا على إرضائها عن طريق إغداق التبراعات والهدايا عليها بكل ما هو ثمين، بل إننا نجد أن الإمبراطور (تيودورس الأول Tewodros I) (814-817هـ/1411-1414م) أقدم على عمل كبير لم يفعله أحد من أسلافه جميعًا. فقد قام بإلغاء الاتفاق الذي عقد بين (يكونو أملاك) و(تكلاهيمانوت) والخاص بتنازل الدولة عن ثلث أراضيها للكنيسة، و أبدله بأن حدد في كل مقاطعة بعض الأراضي التي تكون ملكًا خالصًا لها، بحيث كانت مساحة هذه الأراضي مجتمعه تفوق ثلث أراضي الدولة[3].

وهكذا أخذت الكنيسة الحبشية تحصل – بصفتها راعية الديانة الرسمية للدولة - على امتيازات خاصة من الحكومة. وأهم هذه الامتيازات حق الحصول على الهبات والإعفاء من الضرائب فضلًا عن

---

1 - وعلى الرغم من ذلك فلم يسلم بعض رجال الكنيسة من بطش الملوك في بعض الأحيان، ومن ذلك الأب (ساندو) Abba Sinoda الذي تنبأ بنهاية سريعة لحكم الملك (حزبا نان) Hezba Nan (833-835هـ/1430-1433م) ومجيء عصر (زرء يعقوب). مما جر عليه غضب الملك، إذ أمر بجلده ونفيه إلى جزيرة داق Daq كما أمر جنوده بقطع يديه وقدمه. انظر:

- Taddesse Tamrat: The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, pp.282-283.

2 - Budge: op, cit, p.300.

3 - Manfred Kropp: op., cit., p11.see also, Budge: op, cit, pp.300-301.

قيام بعض الرهبان بالفصل في المنازعات التي تنشأ بين المسيحيين. ولم يلبث أن ازداد نفوذ الرهبان تدريجيًا في المقاطعات المختلفة بفضل مكانتهم الدينية من جهة، وما جمعوه من صدقات وهبات من جهة أخرى. فأخذت ثروة الكنيسة في الازدياد. حتى امتلكت الأراضي والضياع الواسعة التي قام العبيد بفلاحتها. هذا فضلًا عن الهبات التي أغدقها عليها الأباطرة بسخاء من جهة، والتبرعات التي قدمها الأهالي عن طيب خاطر من جهة أخرى[1].

على أن انتصار رجال الدين استلزم معه قيام تنظيم جديد للعلاقة بين الكنيسة من جهة والدولة والمجتمع من جهة أخرى. ذلك أن الكنيسة أخذت تكسب شيئًا فشيئًا صفة سلطة جديدة منافسة لسلطة الإمبراطور. وهنا نلاحظ أن تدخل الكنيسة في ذلك العصر في الشؤون السياسة أخذ يستفحل بازدياد ضعف المملكة الحبشية واضمحلالها. حتى انتهى الأمر بأن تدخلت الكنيسة في وضع الشروط الواجب توافرها في تحديد خليفة الإمبراطور. إذ فضل كبار رجال الدين في البلاط وضع شروط تتفق مع وجهة نظرهم في أمن المملكة من الجيران المسلمين والوثنيين. ومدى اهتمام الإمبراطور القادم بهم. كما سعت أيضًا خلال سنوات الفوضى التي تعقب موت الإمبراطور للتحرر من سلطان الدولة. ليكون لها كيان خاص مستقل. إلا أن الفصل بين الكنيسة والدولة في المجتمع الحبشي بدا أمرًا غير واقعي في ظل النظام الإقطاعي الذي سنوضحه في الجزء الثاني من هذا الكتاب[2].

7- عودة العاصمة الثابتة على يد (زرء يعقوب):

عاشت المملكة الحبشية لفترات طويلة من تاريخها دون وجود عاصمة سياسية ثابتة. وإن كانت قد اتخذت من أكسوم عاصمة دينية

1 - Harry Middleto: op. cit. p.63.

2 -Ibid. pp. 63-64.

لها. حيث ذهب معظم ملوكها هناك لإجراء مراسيم التتويج. وإقامة مراسم التنصيب[1].

ورغم استقرار البلاد بدون عاصمة سياسية لها. إلا أن هذا الوضع قد تغير منذ تولي (يكونو أملاك) أول ملوك الأسرة السليمانية الحكم. إذ اتخذ من مسقط رأسه مدينة تجولات Tegulet بمنطقة أمهرة عاصمة سياسية للبلاد، وبالتالي تحول مركز الدولة من لاستا إلى شوا في الجنوب، إلا أنها كانت عاصمة اسمية فقط لم تقم بدورها المعروف في إدارة شؤون حكم البلاد واستقرار الملوك فيها. إذ اقتضت حياة الحروب المستمرة لأباطرة السليمانيين ومحاولة السيطرة على ربوع المملكة المختلفة، وخروج هؤلاء الأباطرة باستمرار في جولات تفتيشية لمراقبة تنفيذ تعليماتهم في إقاليم الدولة المختلفة، وليؤكد كل إمبراطور سلطانه ويعاقب كل من يحاول الخروج عن طاعته، وقد عرف ذلك بالقصر الإمبراطوري المتحرك، بمعنى عدم استمرار الإمبراطور في مكان ثابت، مستخدمًا في ذلك خيامًا كثيرة له ولبلاطه. إذ عُدَّتْ هذه الخيام بمكانة العاصمة للملكة[2]. وكان يتجمع السكان من جميع الأعراق في حشود كبيرة حول خيمة الإمبراطور لرفع شكاواهم للإمبراطور، وهو بذلك يجمع التنوع اللغوي والعرقي بين سكان المملكة[3].

1- كانت اكسوم قديمًا هي عاصمة البلاد السياسية والدينية، إذ كان يقيم فيها الإمبراطور في قصره المتعدد الطوابق وتحيط به حاشيته من النبلاء، وكبار رجال الدين، و فيها يمارس سلطاته، فقد كان ذلك القصر مقرًا للحكومة المركزية التي تضم معاوني الملك للقيام بالمهام المختلفة في إدارة شؤون المملكة. للمزيد انظر:
-Stuart Munro-Hay: Aksum, an African civilisation of late antiquity, Edinburgh University Press, 1991. p. 35.

2 - محمد علي بهنساوي: المرجع السابق، ص 138-145. انظر أيضًا:
- Trimingham:op. cit, pp.69-70 see also Taddesse Tamrat, op.cit.,pp.269-275.

3 - Richard Pankhurst: An Introduction to the Economic History of Ethiopia from Early time to 1800, Sidgwick and Jackson LTD., First Edition, London, England, 1961. p. 137.

وقد أدت طبيعة الحبشة الجبلية إلى عدم قيام دولة متحدة ذات حكومة مركزية. فالجبال والقمم العالية كانت بمكانة حواجز تحول دون امتداد سلطة الحكومة المركزية إلى أطراف المملكة. الأمر الذي ساعد على استقلال سكان كل جزء بأنفسهم. لذا عانت الحبشة طويلًا من الانقسام بين عدة حكومات مختلفة. ما أدى إلى العزلة والتفرقة ومحاولات استقلال بعض حكام المقاطعات. ما ترتب عليه عدم استقرار الأمن. ويستمر الوضع على هذا النحو حتى تقوم حكومة مركزية قوية يمكنها إخضاع هذه الدويلات لسلطتها. لكن هذا الإخضاع يظل مرهونًا باستمرار قوة الحكومة المركزية[1].

وعلى هذا النحو أراد (زرء يعقوب) الوصول إلى هذه المركزية وذلك عن طريق إحكام القبض على السلطة. فبعد توليه العرش بفترة طويلة وفي عام 860هـ/ 1456م أعلن على الشعب الحبشي قراره بنقل عاصمة المملكة من تجولات إلى مكان أكثر مناسبة. وكان أمام (زرء يعقوب) العديد من المدن التي كان من الممكن اختيار إحداها لتكون عاصمة للبلاد. فكان في استطاعته مثلًا أن يسير على خطى سلفه (يكونو أملاك) ويجعل من مسقط رأسه مدينة تجولات Tegulet بمنطقة أمهرة في مقاطعة فطجار مقره لحكم المملكة. أو أن يختار دبري أباي وهي التي تلقى فيها تعاليمه الدينية الأولى ومكان وجود أخواله هناك. أو أن يعود إلى أكسوم وهي العاصمة السياسية والدينية العريقة لملوك الحبشة القدماء. التى تحظى بمكانة متميزة دينية في البلاد وهي أيضًا مهد الحضارة الحبشية القديمة. ولكن (زرء يعقوب) فضل أن يقطع صلته بالماضي تمامًا. فترك كل المدن الشهيرة وفاجأ الناس باختياره (دبر برهان) لتكون عاصمة سياسية للبلاد. وتقع هذه المدينة قرب نهر الأواش على الساحل الصومالي. بالقرب من مستوطنة خصبة وبها ماء وفير. وقد أشارت المصادر الحبشية بأن سبب اختياره هذا كان دينيًا في

1- زاهر رياض: تاريخ إثيوبيا، ص22، سيد أحمد العقيد، إثيوبيا ومشروع التكامل بين دول حوض النيل، جامعة النيلين، السودان، 2005م، ص11. انظر أيضًا:
- Ernest. W. Luther: op . cit, p. 2. see also Alvarez, op . cit, p. 54

المقام الأول إذ ظهر في ذلك المكان نور غامض قيل إنه شوهد في السماء لعدة أيام متصلة. وادّعت تلك المصادر أيضًا ظهور السيد المسيح في ذلك المكان لذلك أطلق على هذا الموقع اسم "جبل النور"[1]. ومن ثم بدأ على الفور في بناء مقرٍ جديدٍ لحكمه. حتى أنه أمر كلًا من (الراق مساروتش) (مديري المراسم الملكية) اليمين واليسار وكذلك (الجان مساريه) (حاجب الملك) ألا يرتدوا قمصانهم حتى يتم بناء ذلك القصر[2].

وقبل أن يبدأ في بناء قصره الملكي[3] في هذا المكان المبارك الذي نزل فيه السيد المسيح ثلاث مرات ليضيئه نورًا[4]. أمر عام 861هـ/1457م ببناء كنيسة كبيرة لربه يسوع. كما رأى في بنائها ضرورة لجعل المدينة عاصمة للبلاد. ومن ثم بنى تلك الكنيسة وأطلق عليها "كنيسة دبر برهان"[5].

1 - David Mathew: Ethiopians, The Study of poliry 1540-1934, London Eyer , Spttiswoode, 1940, pp.62-64.

2 - " وأمر البنائين.. وألا يرتدي الراق مساروتش اليمين واليسار قمصانهم حتى يتم بناء القصر، وكذلك الجان مساريه مثلهم لا يرتدون (قمصانهم)، بل يقيمون القصر". انظر:
- Perruchon: op, cit ,p.24.

3 - عن مواصفات ذلك القصر فقد كان يتكون من حوائط من الأعمدة، ولكل حائط منها عشرة أعمدة، وأن يكون ارتفاعه طويل ويكون ذا لون أبيض، ويحيط به سور عالٍ قيل إن ارتفاعه عشرون ذراعًا، وقال البعض الآخر إنه خمسة عشر ذراعًا، كما صنعوا له سورًا آخر يربط ويصل بين قصر الملك وباب كنيسة دبر برهان، أما عن محتويات ذلك القصر فكان يحتوي علي مجموعة من الخيام الداخلية الملكية المنتشرة عبر أجزاء البلاط، لكل منها وظيفة محددة لا تخرج عنها، وقد قام العديد من الباحثين بشرح أهمية هذه الخيام ووظائفها. انظر:
- Richard Pankhurst: A Story in Stones Portugal,s influence on culture and Architecture in the High land of Ethiopia, p36.

4-"ونزل النور مرة ثانية، وثالثة، أثناء القربان، وأثناء الليل بينما كان المنشدون يعزفون (يتعبدون). وقد شاهد هؤلاء المنشدون النور، والملك يقول: أنا أيضًا شاهدت هذا النور علانية وهو يهبط على تلك الكنيسة". انظر
- Perruchon: op, cit , p.72.

5 - "ولهذا السبب خطط ملكنا زرء يعقوب وبني كنيسة بيت كيركوس إلى اليمين من دير برهان". انظر:

ويشير بعض الرحالة إلى أن (زرء يعقوب) لم يكتف ببناء كنيسة وقصر دبر برهان فقط لإقامته وجعله مركز للحكومة[1]، وإنما وضع قائمة لتعمير المدينة بأكملها، فقد شملت قائمة التعمير هذه بالإضافة إلى كل من القصر والكنيسة، بناء ساحة كبرى واسعة كمركز تجاري واجتماعي وثقافي وكافة المرافق الإدارية للحكومة المركزية للبلاد، كما اوصى أيضًا ببناء منازل لاستقبال رجال البلاط والسفراء الأجانب وكبار الموظفين وقادة الجيش، وقد أشرف (زرء يعقوب) بنفسه على هذا التخطيط العمراني الجديد للمدينة[2].

والملاحظ أن (زرء يعقوب) لم يقطع صلته نهائيًا بالمعسكر الملكي المتنقل بين أرجاء المقاطعات المختلفة لتفقد أحوال البلاد، فهناك إشارات كثيرة لمؤرخ البلاط يوضح فيها قيام الملك بزيارات تفتيشية خاطفة يطمئن فيها على أحوال المملكة، إلا أنه كان سرعان ما يعود إلى قصره في دبر برهان ليدير شؤون الحكم وليقوم بتأليف كتبه الدينية[3].

وهكذا نشأت عاصمة سياسية ثابتة للمملكة السليمانية في دبر برهان على يد (زرء يعقوب) إلا أنه يمكن القول إنها انتهت بموته، فبمجرد اعتلاء ابنه وخليفته (بئيد ماريام) سدة الحكم، راح مثل من سبقوه من أجداده وأسلافه ينتقل بمعسكره الملكي من بلد إلى آخر لمراقبة أحوال البلاد، تاركًا عاصمة أبيه وقصره ومركز حكمه، وهذه السمة لم تواكب عصر (بئيد ماريام) فقط، بل لازمت معظم من خلفوه ممن جاءوا بعده، فيؤكد الباحثون على أنه رغم إقامة دبر برهان

- Perruchon: op, cit ,pp.73-74.see also Richard Pankhurst, The Ethiopian Royal Chronicles, Oxford university press, London, 1967, p. 38.

1 - "وبينما كان ملكنا (زرء يعقوب) في دبر برهان قوى كل نظام حكمه". انظر:

- Perruchon: op.,cit., p.73.

2 - Richard Pankhurst: History of Ethiopian Towns, p. 39.

3 -"وظل لمدة عامين ينتقل من أرض فرجو، ويعود إلى دبر برهان، وإلى دبر مطمق، وإلى أماكن أخرى بالقرب منها، وهكذا ظل يذهب ويعود سريعًا". انظر:

- Perruchon: op.,cit., p.79.

كعاصمة سياسية ثبتت فيها مركزية الحكم في عصر (زرء يعقوب)، إلا أن ذلك لم يفض إلى استخدام هذه العاصمة من بعده، بل تلته حكومات ضعيفة قضى الأباطرة فيها مدة قرنين من الزمان أو ما يزيد معظم أوقاتهم في الترحال، ما أدى إلى وجود العديد من الاضطرابات في إدارة شؤون الحكم، والحروب المتصلة، والتمردات الداخلية والخارجية، لذا فقد كانت حياتهم أشبه بحياة البدو القاطنين في خيام، أو أكواخ خشبية حتى يمكن نقلها معهم دون مجهود[1].

1 -W. Conzelman: chronique de Galawdewos roi d Ethiopie,texte ethiopian, Libraire Emile Bowllon,Paris,1895,p.62, see also Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, p. 277.

الفصل الثاني

الصراعات الداخلية الحبشية علي العرش .

واجه أباطرة الأسرة السليمانية خاصة في العصر الثاني لها العديد من الصراعات والثورات الداخلية في البلاد، وذلك نتيجة فترة الاضطربات السياسية التي جاء على خلفيتها الإمبراطور زرء يعقوب Zar'a Y'aqob (838-873هـ/1434-1468م) على عرش البلاد.

كان الصراع الداخلي بين أمراء الأسرة الزغاوية[1] (329-669هـ/940-1270م) أحد أهم العوامل التي أدت إلى سقوط هذه الأسرة، وليس أدل على ذلك من قيام مذبحة كبيرة بين أعضاء الأسرة الحاكمة في دبرا دامو Debra Damo في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وذلك أثناء حكم الملكة (جوديت- أسترا-Esthera)[2] (329-370هـ/940-980م) اليهودية الأصل، وقد استمرت مثل هذه الصراعات والثورات الداخلية في ظل تولي ملوك من ديانات مختلفة على رأس المملكة[3]، لذا أنشأ الملك (لاليبالا-Lalibela)[4] (585-622هـ/1190-1225م) صرحًا

---

1 - سبق التعريف بها.

2- Paul B.Henze: Layers Of Time A history Of Ethiopia , Hurst , Company, London, 2000, pp. 53-56 & Knud Tage Andersen: The Queen of the Habasha in Ethiopian History,Tradition and Chronology, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 63, No. 1. (2000), pp.39-41.

3 - -Charles F. Rey: Unconquered Abyssinia as it is to-day: an account of a little known country, its peoples & their customs, considered from the social, economic & geographic points of view, its resources & possibilities, & its extraordinary history as a hitherto unconquered nation, London, 1923,p 86.

4 - اتخذ الملك لاليبلا لنفسه لقب جبراماسقال (Gebre Mesqel) ومعناها خادم الصليب، وقد عرف عنه حبه للسلام واهتمامه برجال الدين، وقد قام بترميم العديد من الكنائس وبنى أكثر من عشر كنائس جديدة في جميع أنحاء البلاد ما زال بعضها باقيًا حتى الآن، واستعان فيها بعدد من العمال المصريين بالاضافة إلى بعض الهنود، ويقال إنه قبل توليه الحكم نفي بسبب عداوة عمه Tatadim إلا أنه استطاع الهرب وقام بثورة استطاع الاستيلاء بها علي الحكم في عهد أخيه الكبير. لذا يعتقد أنه وصل للحكم بقوة السلاح، ويختلف الباحثون في سنوات حكمه (1189 – 1229م) بينما يذكر آخرون أنها (1180- 1220م) وبينما نجد فريقًا ثالثًا يؤكد أنه كان معاصرًا للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (996-1020م) ولكنهم يجتمعون على أن مدة حكمه كانت أربعين عامًا. انظر

كبير ليحجز فيه أبناء الأسرة الحاكمة لتلافي الصراعات فيما بينهم، وهو ما أطلق عليه "السجن الملكي أو أمبا جيشن" حيث استمر هذا التقليد بين أباطرة الحبشة عامة حتى بدايات العصر الحديث[1].

ورغم وجود هذا السجن الملكي، إلا أن هناك العديد من الإشارات في بطون المصادر الحبشية التي تدل على استمرار وجود مثل هذه الصراعات والثورات في عصر الأسرة السليمانية عامة، تزداد حدتها بصفة خاصة عند اعتلاء كل إمبراطور جديد عرش المملكة الحبشية[2]. فالإمبراطور (أو ملك الملوك) هو رأس الحكم، وهو يرث الحكم عن أبيه، ولكنه لم يكن للابن الأكبر بقدر ما كان للابن الأقوى[3]. وربما يمكن التدليل على صحة هذا الرأي بالإشارة (كما سبق ذكره) إلى فترة حكم يجبيا صيون Yagba soyan (684-694هـ/ 1285 – 1294م) والذي كان له خمسة أبناء اتفق معهم أن يحكم البلاد كل منهم لمدة عام بالتناوب[4]. إلا أن آخر أبنائه والذي يدعى سابا أسجد Sab'a Asgad (698-699هـ/1298-1299م) لم يصبر حتى تنتهي فترة حكم أخيه (جين أسجد Djin Asgad 697-698هـ/1297-1298م)، فدبر مؤامرة للقبض

زاهر رياض، تاريخ إثيوبيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1966م، ص 126 – 127. كذلك

- Jules Perruchon (traduction): Vie De Lalibala Roi D' Ethiopia, Manuscrit Du Musee Britannique, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1892, p.51.

1-A.H.M.Jones and Elizabeth Monroe: A history of Ethiopia, oxford university, at the clarendon press,1974 , pp.26-31.

2- John Cameron Grant: The Ethiopian A narrative of the Society of Human Leopards, Paris,1901,p.38.

3 -Taddesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval Ethiopian History, in Rural Africana,1970, p.105.

4 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea The Rise and Decline Of The Solomonic Dynasty and Muslim – European Rivalry in the Region, Gainsborough House, London, E11.Rs, England, 1980,p. 21.

عليه وإخوته الآخرين، إلا أنه لم يعيش طويلًا[1]. كما أن يجبيا صيون نفسه قد ورث الحكم عن أبيه يكونو أملاك رغم أنه أصغر أبنائه، حيث تمكن من سجن إخوته جميعًا[2]. وفي نفس الصدد أيضًا فقد استطاع ودم بن سيف أرعد Wedem Sayfa Ar`ed (774-784هـ/1373-1382م) أن يأخذ الحكم من أخيه داود Dawit I (784-814هـ/1382-1411م) رغم صغر سنه[3]. وهكذا فإذا اعتلى أحدهم العرش لا يمكنه الاستمرار في الحكم إلا بمقدار قوته وقدرته على المحافظة عليه من الطامعين[4].

ولم يكن موت الإمبراطور هو السبب الوحيد لوجود الصراعات بين أعضاء الأسرة الحاكمة على العرش، بل كان هناك العديد من محاولات اغتصاب العرش بالقوة أثناء حياة الإمبراطور، فهناك ثلاث محاولات لانتزاع الحكم في أوائل حكم الأسرة السليمانية حتى عهد الإمبراطور (دواد)، فأثناء حياة هذا الإمبراطور أشارت مصادر القديسين الأحباش إلى أن القديس (ماري) St. Mary جمع حوله العديد من رجال الدين واستقر رأيهم على وجوب تنازل (داود) عن العرش لابنه (تيودورس)[5]. وقد استعان (دواد) بـ(العقابي ساعات سيجاقا) Saraqa في دبر حيق وبعض قادة الجيش الذين طلبوا العفو والسماح من القديس (ماري) الذي وافق وسامحه بل إنه صلى من أجله، وتتفق تلك المصادر على أن

1 - Budge: op. cit. p. 287.

2- Elaine Murray Stone: A Saint and His Lion, The Story Of Tekla Of Ethiopia , Paulist Press , 2003, p36.

3-Thomas P. Ofcansky and Laverle Berry: Ethiopia A Country Study, Federal Research Division Library of Congress,2004, pp. 24-26 see also Jules Perruchon ,Histoire des guerres d'Amda Seyon, roi d'Ethiopie, in Journal asiatique.ser.8, t.Xiv,1889,p.xx.

4 - العمري، المصدر السابق، ص 42، مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص ص 98-99، زاهر رياض، تاريخ إثيوبيا، ص 131. انظر أيضًا:

Jules Perruchon: Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Ba'eda Maryam, Rois d Ethiopie de 1434 A 1478, Paris, 1893,pp124-125.

5-Taddesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval, p.106

(العقابي ساعات) مات في عام 1403م؛ أي إن هذه الواقعة حدثت قبل هذا التاريخ الذي أدى فيها (العقابي ساعات) دورًا رئيسًا في استقرار المملكة فترة من الوقت. فقد أبقى (دواد) على عرشه ما لا يقل عن سبع سنوات كاملة[1].

وهكذا بدت المملكة الحبشية على شفا هاوية عندما اعتلى الإمبراطور زرء يعقوب عرشها ليقوم بأعظم عملية ترميم في بناء المملكة المتداعي في العصور الوسطى. ويبدو أنه ليس من الواقع في شيء أن نعد زرء يعقوب أول الملوك المصلحين الذين عملوا على إنقاذ المملكة، إذ وجد من الذين تعاقبوا على عرش المملكة الحبشية من أحسوا بخطورة الموقف ورغبوا في الإصلاح. لا سيما الإمبراطور (عمدا صهيون الأول) الذي أطلقت عليه المصادر المختلفة "المؤسس الحقيقي للأسرة السليمانية"[2].

أما عن الصراعات والثورات الداخلية التي قامت في العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية فهي تختلف عما نقرأه في كتب التاريخ المختلفة، فلم تكن ناتجة عن تمرد الشعب بسبب فرض المزيد من الضرائب وسوء الأحوال الاقتصادية وكثرة الحروب الداخلية بقدر ما كانت نابعة من الأطماع الداخلية في الاستيلاء على العرش من قبل أعضاء الأسرة الحاكمة وبعض كبار النبلاء ورجال الدين.

وقد اختلفت الأسباب التي أدت إلى قيام مثل هذه الدسائس تبعًا لأحوال كل عصر. إذ يشير النص الملكي الحبشي في عهد (زرء يعقوب) إلى كثرة الارتعاد والخوف الذي كان في أيامه نتيجة قوة حكمه وقضائه

1 - Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, p. 282-283.

2- Peter Schwab: Ethiopia: politics, economics and society, Published London Pinter,1985, p.211.

تحت ستار الشرعية الدينية[1]، حتى إن كبار القادة حين يدخلون عليه لإلقاء كلمة كانوا يسجدون على ركبهم، ويقبلون الأرض خوفًا وارتعادًا كلما سمعوا صوت الإمبراطور[2].

أما الثورات والتمردات الداخلية التي عاصرت (بئيد ماريام) فقد كانت على العكس من ذلك تمامًا، إذ كانت نتيجة مناخ الحرية الذي جاء به الإمبراطور وأحس به الشعب بعد ظلم مرير إبان عصر أبيه، مما سمح للشعب بعلو الأصوات التي صمتت طويلًا. بينما يشير النص الملكي الحبشي في عهد الإمبراطور (ألكساندر) إلى تطلع بعض رجال الدين إلى إدارة شؤون المملكة[3]، فضلًا عن قيام المنازعات بين كبار مسؤولي المملكة بسبب صغر سن الإمبراطور وعدم درايته بالحكومة وشؤون البلاد[4].

وهكذا ازدادت الصراعات السياسية في ظل صغر سن أباطرة هذه الفترة، ما أدى إلى تطلع بعض رجال الدين إلى التدخل في الأمور السياسية، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسة في فترة حكم (عمدا صهيون الثاني)، والتي اشتهرت – رغم قصرها - باشتعال الحروب الأهلية وإراقة الدماء بين أنصاره وأنصار عمه الإمبراطور (ناؤود) الذي تولى الحكم من بعده، فقد استطاع أحد رجال الدين ويدعى (تكلا كرسيوس) إثارة الشعب ضده، وكادت الثورة أن تهلك البلاد لولا نهايته السريعة[5].

1-"وكان في أيام ملكنا زرء يعقوب خوف عظيم وذعر بين كل أهل إثيوبيا. بسبب قانون حكمه وشدته" انظر:

- Perruchon:Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.4.

2 - "وحين يدخل هؤلاء القادة -حيث يوجد الملك- لإلقاء كلمة، يسجد الجميع بركبهم، ويقبلون الأرض خوفًا وارتعادًا كلما سمعوا صوت الملك " انظر:-

- Perruchon: op, cit , P.33.

3 - Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, p.292.

4 - " وبالنسبة للملك لم يكن يعرف لا الحكومة ولا شؤون الحبشة- لأنه كان وقتئذ طفلًا صغيرًا". انظر:

- Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od , pp.353-354.

5 - " وتآمر مع أصدقائه وقاموا بثورة ضد الملك". انظر :

والملاحظ أن هذه الثورات اختفت تقريبًا في عهد (لبنا دنجل) بسبب انشغال عهده بالحروب مع المسلمين[1].

أما عن أحداث هذه الصراعات والدسائس فسنتناولها بشيء من التفاصيل على النحو التالي:-

1- في عهد (زرء يعقوب 838 – 873 هـ /1434– 1468م):

وضع أغلبية المؤرخين والرحالة (زرء يعقوب) كواحد من أقوى أباطرة الحبشة في العصور الوسطى، إذ لم يوضع أحد مقامه سوى الإمبراطور (عيزانا) كأقوى أباطرة الحبشة، ورغم ذلك فإنه يصعب تصور عدد المؤامرات والدسائس التي قامت في عهده، وقد أورد بعض الباحثين أن سبب هذه المحاولات هو انحراف هؤلاء عن الإيمان الصحيح بالعقيدة النصرانية. لذا أُحِيكَت الدسائس و قامت الثورات من جانب أبنائه وبناته وأزواج بناته، إضافة إلى رجال البلاط، وبعض رجال الدين، وذلك في محاولات عديدة لإقصائه عن عرشه[2]، وذلك على النحو التالي:-

أ- الثورات التي قامت من جانب الأسرة والبلاط الملكي:

رغم أن الإمبراطور أعطى بناته بعض المناصب السياسية والإدارية كحكام لبعض المقاطعات، إلا أنهن أردن التصرف في هذه المقاطعات وكأنها مستقلة عن البلاد، و تشير المصادر الحبشية إلى التمرد الذي قام به البحت ودد (عامد مسقل) الذي دعي فيما بعد باسم (عامد

- Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.364.

1- Manfred Kropp: Die Geschichte Des Lebna-Dengel, Claudius Und Minas, Scriptores Aethiopoci, Tomus 84, Vol 83,84, Lovanii in Aedibus E. Peeters, 1988,, p.5.

2- عرب فقيه: تحفة الزمان وفتوح الحبشة، نشره رينيه باسيه، تحقيق محمد شلتوت، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ- 1974م، ص 132، انظر أيضًا:

-Taddesse Tamrat: op, cit , P.282.

الشيطان) وهو زوج ابنه (زرء يعقوب) التي تدعى (برهان زمدا)، وكانت جريمته الأساسية وشاية وصلت إلى الإمبراطور بأنه يظلم الناس ويتمرد، إلا أن المؤرخ الملكي يروي أن جريمته الأساسية أنه تزوج سرًّا بامرأة أخرى بمساعدة "الصاسرجوبة" (حامل الزينة الملكية) الذي يدعى (أمخا إياسيوس)، فما كان من الإمبراطور إلا أن عقد مجلسًا عسكريًّا وكشف أمام قادته جرائم (عامد مسقل) وانتهى المجلس إلى الحكم عليه بالإعدام، إلا أن مؤرخ البلاط يذكر أنه تم نفيه - (عامد مسقل) - إلى مكان لا يعلمه إلا الإمبراطور، كما تم عقاب بعض رجال الدين الذين ساعدوه على ذلك مثل (النبورايد نوب) - حاكم أكسوم - في دبرا دامو وأعدم معه[1].

وتشير المصادر الحبشية أيضًا إلى أكبر حركة تمرد في عصر (زرء يعقوب) وهو تمرد البحت ودد (إيساياس Isaias) الذي كان أيضًا زوجًا لإحدى بنات الإمبراطور (أدل منجشا) وكان (إيساياس) حاكم منطقة تيجري، وبعد زواجه من ابنة الإمبراطور تم تعيينه في منصب البحت ودد، وقد استطاع إقناع حاكم مقاطعة (جني) بالاشتراك معه في التمرد، ومما زاد من خطورة هذه الثورة انضمام بعض فرق الجيش وقادته مثل (بدل وني) الذي كان رئيس "فرقة الشباب" ورئيس فرقة الجان بلو، و"بدل كفت" رئيس "فرقة الصراوجيت"، وقد أراد هؤلاء المتمردون تعيين بعضهم في مناصب أعلى في الحكومة الإمبراطورية، وإبعاد بعض من وصفوهم بالفاسدين عنها، إذ طلب (إيساياس) أن يكون حاكمًا لمقاطعتي جوجام وجني معًا، وعندما رفض الإمبراطور

[1] - "حين سمع الملك عنه أمر ظلم كثير وتمرد... وقد فعل خطيئة أخرى حين تزوج سرًّا امرأة -وهو زوج لإسرائيلية- وهبه إياها الصاسرجوبه أمخا إياسوي ليتزوجها. وبمجرد أن سمعت زوجته برهان زمدا، أخبرت أباها الملك". انظر:

- Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda Maryam,pp.10-11.see also, J. B. Coulbeaux: Histoire politique et religieuse d'Abyssinie ("The Political and Religious History of Abyssinia"), Paris, 1929, p.138.

طلباتهم. بدأت هذه القوات في إحداث عمليات شغب في أرجاء المملكة. ورغم فشل بعض قادة القصر في التخلص منهم. إلا أن القوات الملكية استطاعت السيطرة عليهم. كما أثيرت ضدهم بعض الدعاية السيئة. فراح مؤرخ البلاط ينسب قيام زعمائهم ببعض الأعمال المنافية للآداب. حيث يشير النص الحبشي إلى أن (بدل وني) قد زنى بامرأة أبيه. كما كان لزوج أخته (حرب سجد) نفس العلاقة معها وكلاهما يعلم[1].

على أن أمر هذه الدسائس والمؤامرت لم تقف عند حد بنات الإمبراطور وأزواجهن. بل امتدت لتشمل أولاد الإمبراطور الذكور. فيحكي (زرء يعقوب) نفسه في كتاب "مصحف ميلاد" عن ولديه (جلاديوس) و(عامد ماريام) اللذين اتجها بمساعدة أميهما إلى السحرة والعرافين وأجبراهم على تقديم القرابين للشيطان. بل وصل الأمر إلى الاتفاق فيما بينهما على أن يأتي (جلاديوس) ببعض مؤلفات أبيه "طومار تصيئت – مصحف برهان" لحرقها. وذلك في مقابل الاعتراف به ملكًا على البلاد. وقد تم الكشف عن هذه المؤامرة وعاقبهما الإمبراطور بالضرب بالسوط فمنهم من عاش ومنهم من مات[2].

كما ثار أيضًا (بئيد ماريام) ابن (زرء يعقوب) بمساعدة أمه. وذلك في السنوات الأخيرة من حكم أبيه بعد أن شعر بطول فترة حكم أبيه ولرغبته الجامحة في تولي الحكم. إلا أن هذه المؤامرة قد تم الكشف عنها أيضًا. و أمر الإمبراطور بربط يدي وقدمي ابنه (بئيد ماريام) وجلده حتى كاد أن يهلك هو وخادمه (محاري كرستوس Mahari Krestos) لولا شفاعة بعض رجال الدين وعلى رأسهم كل من رئيس دير ليبانوس

---

1 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق. ص ص 46-47.

2 -"وفي ذلك الوقت جمع الملك الكثير من الناس، وأطلعهم على عقوبات أولاده ومحاكماتهم القاسية قائلًا: انظروا كيف فعلنا بأولادنا حين أجرموا على الرب، وغيرة له لم نرحمهم". انظر:

- Perruchon:Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.99.

مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص 44.

Dabra Libabos ودير كاسوا Dabra Kaso والأب الرحيم (أبو قير) التابع لدير اندجيبطن فأطلق الإمبراطور سراحه وأنعم عليه بمنحه بعض المناصب الشرفية[1].

وهكذا ذكرت المصادر الحبشية تمرد أولاد وبنات الإمبراطور وذكرت أسماء من تمردوا من أبناء الإمبراطور. إلا أنها لم تذكر أسباب تمردهم بشيء من التفصيل. كما ذكرت عقابهم أمام الناس ليروا بأنفسهم ماذا يفعل الملك بأبنائه من أجل المسيح. إذ يفهم من ذلك اتجاه البعض منهم لعبادة الأوثان أو لدين آخر. وهو الأمر الذي يفضي إلى عقوبة الموت[2].

ب- تمرد بعض رجال الدين:

لم تقتصر تلك الثورات داخل العائلة الملكية فحسب. بل امتدت لتشمل بعض رجال الدين ورؤساء الأديرة الذين أرادوا تنحية (زرء يعقوب) عن العرش وتولية غيره. وقد وصف مؤرخ البلاط هؤلاء "بالرجال الأشرار" الذين يدعون (تعاوق برهان) و(زرء صهيون)[3]. يذكر أن هذا التمرد اشترك فيه بعض حكام المقاطعات وبعض الرهبان مثل الأب (أندروس Abba Indiriyas) رئيس دير دبرا ليبانوس. والملاحظ أن كاتب النص لم يذكر معلومات دقيقة حول هذا التمرد. ربما يرجع ذلك إلى أن الطبيعة السياسية لأعمال الإمبراطور شغلت المؤرخ بما يسجل من مثل هذه الأحداث. فيذكر أن الملك وحده يعرف قصة هؤلاء

1-"وحمل الرسل الذين أرسلهم بئيد ماريام إلى القديسين بشارة هؤلاء القديسين: من دير ليبانوس، ودير كاسو، ومن الأب الرحيم أبو قير التابع لدير إندجيبطن". انظر:

Perruchon:Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.108.

2- مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 48.

3- "وفي ذلك الوقت قام أشرار من الناس يدعونهم: تعاوق برهان، وزرء صهيون بعد أن وضع الشيطان في عقولهم شرًا. فافتروا ظلمًا على هؤلاء الأمراء وغيرهم من الناس" انظر:

- Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.98.

الحقيقية وفضل عدم إعلان التهمة الموجهة لهم سوى أنهم كانوا يعبدون الأوثان. كما أن أمهاتهم كنَّ سببًا في ضلالهم إلى السحر الأسود فضلًا عن ادعائهم باطلًا أن الإمبراطور قام بتجنيد جيش من الجواسيس في أنحاء المملكة يمسكون ببعض أفراد الشعب ليعطوا أنوفهم بمسامير حديدية ويجمعوا دماءهم في أوعية كبيرة ثم يتم غليه وعندما يبرد يدهن به الإمبراطور جسده[1] على أن (زرء يعقوب) قد نفى عن نفسه هذه الشائعات التي وصفها بالبلهاء[2].

ومن خلال سيرة حياة القديسين نتعرف على بعض الطرق التي لجأ إليها الإمبراطور لمعالجة هذه الأزمات. من ذلك مناقشة القديس تكلا هاونريت Abba Takla-Hawaryat لعلاج أمر هذه الإضرابات. وعندما اختلف مع الإمبراطور اختلافًا بيِّنًا. رأى فيه الإمبراطور تطاولًا على شخصه وألقى به في السجن[3]. وهكذا لجأ الإمبراطور إلى سياسة الحديد والنار لقمع هذه الثورات جميعًا. كما أنه لجأ إلى البطريرك والقضاة والمطران المصري: إذ أنه نجح في إقناع البطريرك (يوحنا) لاستصدار وثيقة حرمان من قبل الأب يوحنا (831-857هـ/1428-1453م) "لكل من يحاول عصيان الملك أو أراد تولية غيره على عرش المملكة يكون مطرودًا ومحرومًا بكلمة الرب"[4].

ومنذ ذلك الحين في عام866هـ/ 1462م عاش (زرء يعقوب) يحكم المملكة بيد من حديد طيلة ست سنوات. إلا أنه نتيجة هذه التمردات عاشت الحبشة في هذه الفترة في ارتعاد وخوف من شدة حكم الملك. فقد كان (زرء يعقوب) يقتل من يريد من الناس ويعفو عمن يريد. ويقدر من يريد ويعظمه ما دام قد نفذ مشيئة الرب وأمر الإمبراطور"[5].

---

1 - Coulbeaux: op. cit.p.137.

2 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 48.

3 - Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, p. 241

4 - انظر وثيقة الحرمان في ملاحق في الجزء الثاني من الكتاب.

5 - "وهناك (في دبر برهان) قتل الكثيرين من الناس ونفي البعض حين افتروا على الرب ومسيحه. وقدر الكثيرين وعظمهم، ممن نفذوا مشيئة الرب.. وأمر الملك". انظر:

- Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.73.

2- في عهد (بئيد ماريام) (873-883هـ/1468– 1478م):

رغم شدة حكم (زرء يعقوب) في قمع الثورات التي قامت في عهده. إلا أن هذه الثورات استمرت في عهد خليفته (بئيد ماريام). ولكنها جاءت بصورة مغايرة تمامًا عن ما كانت عليه في عهد أبيه. إذ جاءت في صلب العقيدة المسيحية نفسها. ومن ذلك أنه انتشرت صورة للرسام الإيطالي (فرانسيسكو دي ليون) التي تجسد السيدة مريم العذراء وهي تحمل طفلًا صغيرًا على ذراعها الأيسر كما درجت عليه العادة في أوربا آنذاك. إلا أن ذلك يتعارض مع الاعتقاد الشائع لدى الأحباش عمومًا بأن اليد اليسرى هي علامة الشر بخلاف اليد اليمنى التي تدل على الخير ما أدى إلى قيام الأحباش بثورة اعتراضًا على هذه الصورة[1].

وهكذا دخلت ثورات الحبشة طورًا جديدًا. واختلفت أهدافها. إذ تحولت من الثورة على الحكم إلى المجادلات الدينية والعقائدية. من ذلك أنه احتدم النقاش بين عدد من رجال الدين في البلاط الملكي وبعض الرهبان السريانيين وإخوانهم المصريين حول طبيعة السيد المسيح. فقد رأى فريق منهم أن السيد المسيح من نفس طبيعة الأب لأنه إله ابن إله. بينما رأى فريق آخر بأن طبيعة الابن أقل درجة من طبيعة الأب لأن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن لكنه صنع من مادة فائقة الوصف فجسد المسيح لم يصنع مثل الإنسان العادي من دم ولحم وشرايين... إلخ[2]. وعلى هذا فقد أمر (بئيد ماريام) بالقبض على هؤلاء

---

1 - Budge: op. cit. p.304.

2 - تعد هذه المشكلة من أكبر المشاكل التي واجهت الديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي. إذ قسمت العالم المسيحي إلى قسمين وأثارت البغضاء الدينية والسياسية فيما بينهم لمدة طويلة. ذلك أنه حدث خلاف بين اثنين من رجال الكنيسة بالإسكندرية حول تحديد هذه العلاقة. فقال أريوس -وهو كاهن سكندري مثقف- أن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن. ولما كان المسيح الابن مخلوقًا للإله الأب فهو إذا دونه ولا يمكن بأي حال أن يعادل الابن الإله الأب في المستوى والقدرة وبعبارة أخرى فإن المسيح مخلوق لا إله بمعنى هذه الكلمة المطلق. وإلا فإن المسيحيين يصبحون متهمين بعدم التوحيد وعبادة إلهين. أما أثناسيوس فقال بأن فكرة الثالوث المقدس تحتم بأن يكون الابن مساويًا للإله

وأمر بعقابهم بالجلد والقضبان الحديدية تبعًا لدرجة عقوبتهم كل حسب درجته[1].

على أن أمر هذه المجادلات لم يقتصر على النقاش حول الأمور الدينية فقط، بل امتدت إلى طريقة عمل الإمبراطور ذاته. ومن ذلك أنه أثير جدل واسع عن كثرة تنقلات (بئيد ماريام) بين مقاطعات المملكة كيفما يريد. فقد أوردت المصادر الحبشية أن الإمبراطور يقضي معظم وقته على ظهور الخيل وأهمل المملكة وترك شؤونها الداخلية وبخاصة أمور القضاء، وأن الإمبراطور لا يعيش وفق تقاليد ومبادئ أسلافه، وأنه يلهو كما يلهو الشباب. وانتشرت مثل هذه الأحاديث بين الشعب، وتشير كوليس إلى اشتراك بعض قادة الجيش في هذه الوشايات[2]. وقد أثارت مثل هذه الأحاديث حفيظة الملك وأمر بجمع الناس ومعهم كثير من الرهبان والبيتاقنطاني (قاض من القضاة) و اجتمع الجميع في إحدى قاعات الملك وقال لهم: "وقلتم إن ملكنا لا يقضي يومه في أمر القضاء، وفي شريعة الملك، بل في ركوبه الخيل - هكذا قلتم. لأن هذا التقليد - ركوب الفرس وإطلاق السهام - لم يكن لدى آبائي الأقدمين من قبل". وأمر بتقديم أصحاب هذه الوشايات وإلا قاتلوت الجميع. ورغم إنكار

الأب تماثلا في كل شيء بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه. هذا وإن كانا شخصين متميزين ومن الواضح أن المذهب الأريوسي كان يتفق ومنطق المثقفين لأنه أراد أن يقيم العقائد المسيحية على أساس من المنطق والعقل، في حين كان المذهب الأثناسيوسي يستهويهم ويتمكن عامة الناس من البسطاء الذين يحكمون عواطفهم قبل عقولهم. ولم يلبث أن ساد المذهب الأثناسيوسي في بلاد الغرب اللاتيني في حين أصبحت الغلبة في الشرق البيزنطي للمذهب الأريوسي هذا فضلًا عما نلاحظه من أن معظم المفكرين والفلاسفة والأدباء كانوا أريوسيين موحدين، في حين كانت معظم الطبقات الوسطى والدنيا التي انتمى إليها رجال الدين من الأثناسيوسيين. للمزيد انظر سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوربا العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، القاهرة، 1976، ص ص39-41.

1-Richard Pankhurst: The Ethiopian Royal Chronicles. Oxford university press. London, 1967, p. 45.

2 - Coulbeaux: op. cit., p.166.

الجميع لهذه التهمة إلا أن الإمبراطور أمر بقطع أرجلهم وتم نفيهم إلى عدة أماكن مختلفة[1].

ورغم شدة حكم الإمبراطور إزاء هذه المجادلات، إلا أنها تطورت ووصلت إلى الإمبراطور نفسه. فيذكر النص الملكي أن البيتاصطاني (بكلي) انفرد بالإمبراطور وأخبره بأن الجان مساروتش[2] تمردوا عليه وأرادوا تنفيذ مؤامرة للتخلص من حكمه. وفي اليوم التالي أمر الإمبراطور بإحضار هؤلاء جميعًا لاستجلاء الحقيقة. ورغم أن الجميع أقسم بكنيسة صهيون على نفيه القيام بأي محاولة لإيذاء الملك، إلا أنه أمر بتعليق الجان مساروتش من رقابهم[3].

وهكذا اضطر (ماريام) إلى اتباع سياسة أبيه في مواجهة هذه الثورات التي حيكت ضده. لذلك فقد دخل الرعب إلى قلوب الشعب[4]. والذي ظن في بداية الأمر بأن هذا الملك يختلف عن أبيه بدليل إصداره العفو العام عن جميع المسجونين الذين اعتقلوا في عهد أبيه (زرء يعقوب) وأعادهم إلى ديارهم. إضافة إلى أنه سمح لجميع

---

1 - Richard Pankhurst: The Ethiopian Royal. p.47see also Perruchon., op. cit, p. 128.

2 - الجان مساروتش: جمع مفرد الكلمة (جان مسارية) وهو صاحب المراسم الخاصة بالملك، والمسؤول عن تقديم الأجانب في حضرة الملك". انظر مجدي الرزاق سليمان، المرجع السابق، ص 112.

3 - "وفي اليوم التالي أمر الملك أن يجمعوا جميع الجان مساروتش، وأن يأتوا بهم إلى القصر، وحين أدخلوهم إلى القصر في الفجر أخذوا كل واحد منهم وخنقوه بمفرده. حتى اضطرب وارتعد جدًا كل الذين شاهدوهم. بينما ظلوا معلقين من رقابهم في ذلك اليوم من الفجر حتى الساعة التاسعة". انظر:

- Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, pp.162-163.

4-"ولهذا السبب دخل الرعب في قلب كل الشعب حتى تحادثوا فيما بينهم بأن هذا الملك أشد من أبيه". انظر:

-Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam,p.129.

الناس بارتداء ما يشاءون من الملابس ذات الألوان مختلفة[1]. إلا أنه انتشر بين الشعب الحبشي في ذلك الوقت أن الإمبراطور أشد قسوة من أبيه، ومما دلل على ذلك عقابه للصاسرجوية الذي يدعى (جبرواحد) بحجة استخدامه ضرائب المملكة فيما لا يحق له[2].

3- في عهد (ألكساندر 883-898هـ/1478-1492م):

كانت إدارة المملكة الحبشية في عهد هذا الإمبراطور تتم عن طريق (العقابي ساعات تاسفا جورجيس Tasfa – Giyoris)[3] وكل من الوزيرين البحت ودد اليمين الذي يدعى (أمادا ميكلا Amda- Mikai el) والبحت ودد اليسار الذي يدعى (بدالي رد Badla – Re ed) فضلًا عن وصاية أمه، إذ كان طفلًا صغيرًا[4].

وقد انفرد بإدارة أمور المملكة (أمادا ميكلا) لكونه أكثرهم خبرة وكان ذا قوة كبيرة منذ أيام (زرء يعقوب)، لذلك كانت له اليد العليا في

---

1 -"وفيما بعد نادى المنادي قائلًا: من الآن فصاعدًا ارتدوا جميعكم ما يحلو لكم (من الملابس) سواء (كانت) بيضاء أو حمراء، وأنتم أيها السجناء، يا من كنتم عن قرب أو عن بعد عودوا إلى منازلكم". انظر:

- Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p. 168, see also Richard Pankhurst: op. cit, pp.43-44.

2-"وقد أمر ملكنا ثانية بأن يجعلوا في ملابسه زيتًا ويدهنوه كثيرًا، ويشعلوا نارًا، ويأخذوا ملابسه التي دهنت بالزيت، ويحرقوه مربوطًا مصلوبًا ورأسه إلى أسفل". انظر:

Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p. 165.

3 - أحد أبرز الذين حاربوا البحت ودد أماد ميكلا وقد أنعمت عليه الكنيسة بلقب "Makbiba – Beta – Kristiyan" وهو لقب أعلى من لقب "العقابي ساعات" لكثرة إنعامه على رجال الدين، إذ يرد هذا اللقب في قداس ديني عن طريق القديس تكلا إيسيوس مو. انظر:

- Taddesse Tamrat: The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, in(JES), VIII, no.1, 1970, pp .109-111.

4 - "ووالدته رومانة والعقابي ساعات تاسفا جورجيس والبحت ودد أمادا ميكلا اتفقوا فيما لا اعتراض بينهم ولا في المداولات ولا في الأوامر التي أصدروها". انظر:

- Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.353.

الحكومة أيام (ألكساندر) حتى أن الملكة (رومانه) اختفت تقريبًا من الساحة السياسية في ذلك الوقت، ما أثار حفيظة باقي كبار رجال البلاط، فتعاونوا بقيادة كل من الأب (حسيبو Abba – Hasabo) و(مايمون باسيدك Me eman Basedequs) والأب (أمادوا Abba – Amdu) لإسقاطه، ورغم ذلك استطاع البحت ودد (أمادا ميكلا) القبض عليهم جميعًا، وقام بجلدهم عدة مرات ثم تم نفهم جميعًا، وأثناء سيرهم إلى المنفى لقي بعضهم مصرعه[1].

وهكذا انتصر (أمادا ميكلا) على أعدائه، ولكن بمرور السنوات ازادت المعارضة ضده، خاصة بعد أن أدرك (ألكساندر) حقيقة الأمور، فقد كان محاطًا بالعديد من رجال البلاط الذين نظروا إلى البحت ودد و كأنه عقبة تقف في طريق طموحاتهم، و قد أرادوا وضع حدّ لسلطته، ورغم أن النص الملكي لا يشير على وجه الدقة إلى الأسباب التي أدت إلى سقوطه، إلا أنه من الواضح أن أعداءه عزلوه عن الإمبراطور الشاب وقاموا بالوشاية ضده أكثر من مرة، ما جعل الإمبراطور يصدر أمرًا بالقبض عليه ونفيه إلى مكان مجهول[2].

وتشير المصادر الحبشية إلى أن (أمادا ميكلا) تمكن من تجميع أنصاره مرة أخرى بالتعاون مع بعض فرق الجيش واستطاع الرجوع إلى البلاط، وراح جنوده يخربون في البلاد سلبًا ونهبًا، إلا أن الإمبراطور تمكن من إلقاء القبض عليه وحكم عليه بالإعدام[3].

كما تشير الأحداث أيضًا إلى أن الموت أدرك الملك فجأة وهو فى سن صغيرة فلم يكد يبلغ من العمر اثنين وعشرين عامًا، فأخفت الملكة

---

1 - "ولكن سرعان ما بدأت العداوة بين كل من الأب حسيبو والأب أمادا ميكلا ومأيمون باسيدك ضد البحت ودد أمادا ميكلا عندما أدركوا أنه الحاكم الوحيد لإثيوبيا". انظر:

- Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.353.

2 - Coulbeaux: op. cit,p. 171.

3 - Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.354.

الكبيرة (إيليني) خبر وفاته وأمرت بحفظ جثته خوفًا من محاولة (زا سليوس) اغتصاب العرش. وهو ما يثير العديد من التساؤلات حول هذه الوفاة[1].

4- في عهد (عمدا صهيون الثاني 898-899هـ/1492- 1493م):

على إثر الموت المفاجئ للإمبراطور (ألكساندر) اندلعت الحروب الأهلية في الحبشة. فقد زحف (زا سليوس) بسرعة مع بعض قواته نحو جبل الملوك "أمبا جيشن" في أمهرة. و استطاع أخذ الأخ الأصغر للملك المتوفى و يدعى (ناؤود) وأعلنه ملكًا على البلاد ثم اختفى بسرعة خوفًا من قوات رجال الحرس الملكي[2].

ورغم إعلان (ناؤود) إمبراطورًا على الحبشة. إلا أن مجلس الوصاية بمشاركة الملكة (إيليني) وتأييد أقوى مسؤولي البلاط الذي يدعى (تكلا كرسيوس Takla – Kristos) سارعا بتتويج ابن (ألكساندر) الذي يدعى (عمدا صهيون الثاني)، وهو لم يتجاوز السابعة من عمره. وبذلك انقسم البلاط الملكي في الحبشة بين معسكرين، معسكر أنصار (عمدا صهيون الثاني) بزعامة (تكلا كرسيوس) ومعسكر أنصار عمه (ناؤود) بزعامة (زا سليوس)، وقد اندلعت الحروب الأهلية بين المعسكرين ووصلت إلى العديد من المقاطعات الحبشية، واستمرت هذه الحروب الأهلية ستة أشهر كاملة هي عمر الملك (عمدا صهيون) في الحكم، تمكن خلالها (تكلا كرسيوس) من هزيمة (زا سليوس)، وسجن معظم ثوار جيشه، وعاقبهم بإفقادهم أبصارهم، وقد أعلن الحداد في بعض الكنائس الحبشية نتيجة كثرة عدد القتلى، إلا أن هذا الحداد انتهى بموت الإمبراطور، حتى أن سجل حياة وسير القديسين أعلن ارتياحه لموته وبشر بعهد الخير والسلام بعد أن تولى (ناؤود)[3].

1 - Budge: op. cit.,p.322.

2 - Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, pp.290-293.

3-Richard Pankhurst: The Ethiopians , Blackwell, Cambridge , London , 1998, p. 36

5- في عهد (ناؤود 900-914هـ/1494-1508م):

وهكذا انقلبت الأوضاع في الحبشة بعد موت (عمدا صهيون الثاني)، وأصبح أعداء الأمس هم أنفسهم أصدقاء اليوم. فها هو (ناؤود) الذي رشحه (زا سليوس) قبل ستة أشهر فقط بتولي العرش. وكان الصراع ما زال مشتعلًا على السطح في بعض المقاطعات عندما أعاد (زا سليوس) إعلانه للمرة الثانية (ناؤود) ملكًا في أمهرة في (ذي الحجة 899هـ/أكتوبر 1494م). وقد أدى هذا الإعلان إلى فرار كثير من حكام المقاطعات والنبلاء الذين كانوا معارضين إعلانه إمبراطورًا. كما فر (تكلا كرسيوس) إلى إيفات عام 900هـ/ 1495م. وراح يثير أهالي إيفات ضد الإمبراطور عن طريق عدد من فرسانه. إلا أن أهالي إيفات نجحوا في القبض عليه واقتادوه مقيدًا بالسلاسل إلى الإمبراطور الذي قام بنفيه، وقام بعض أفراد الحرس الملكي بفقء عينيه أثناء ترحيله إلى المنفى[1].

ويذكر النص الحبشي أن الراهب (يوحنا) بشر بأن (ناؤود) سوف يكون عهده مليئًا بالخير والهدوء والسلام[2].

كما أصدر الإمبراطور قرارًا بالعفو العام عن بعض السجناء، وقد سخر بعض رجال الدين من مثل هذه النبوءة وراحوا يثيرون الفتن الداخلية ضد الإمبراطور وبعض مسؤولي البلاط. وكان على رأس هذه الفتنة الراهب (أندروا Andrew). وقد استطاع الملك إلقاء القبض عليه وقطع لسانه[3].

1-"ووصل إلى محافظة إيفات، وسعى أن يضم إلى عمله الظالم كل جنود الشوا الذين كانوا في هذه المحافظة، ولكن هؤلاء وهم عارفون بتفكيره تركوه بسبب خيانته وقيدوه بالسلاسل واقتادوه إلى الملك". انظر:

- Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.364.

2 -" حيث كانت كل البلاد هادئة وقد قص أحد الكهنة واسمه يوحنا قبل مجيئه ما يلي: "لقد سمعت صدى من السماء يقول: "ناؤود يحكم ممتدحًا ومختلفًا". انظر:

- Perruchon:Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.363.

3 - Budge: op. cit.,p.323.

6- في عهد (لبنا دنجل 964-947هـ/1508-1541م):

اعتلى (لبنا دنجل) العرش في 22 أغسطس 1508م، بعد أبيه (ناؤود)، وكان لديه أربعة أخوة هم (فكتور) و(يعقوب) وقد ماتا في حياة أبيهم (ناؤود)، إضافة إلى (كلوديوس) و(ميناس)، وكان اختيار وريث من بينهما أمرًا صعبًا، لكن الملكة الحكيمة (إيليني) نجحت بالاشتراك مع الأب (ماركوس Abuna Marcus) في اختيار (لبنا دنجل) لصغر سنه و كان في الثانية عشرة من عمره[1].

ورغم موافقة كبار النبلاء على هذا الاختيار، فقد وقعت بعض المواجهات بين أنصار (لبنا دنجل) وبين معارضيه، إلا أن الأمور سرعان ما انتهت لصالحه نظرًا لأن خطر المسلمين كان قد ازداد منذ أواخر عصر (ناؤود)، إذ تم احتلال عاصمة البلاد لأول مرة في تاريخ الأسرة السليمانية الجديدة في عهده [2].

ولم يذكر النص الحبشي في عهد (لبنا دنجل) أي إشارات أخرى ربما تشير إلى ظهور أي تمردات أو دسائس على حكمه سواء من رجال الدين أو كبار مسؤولي البلاط أو النبلاء، رغم بدء التدخلات البرتغالية في البلاد في ذلك الوقت، بل على العكس من ذلك، فتشير المصادر الحبشية في عهد هذا الملك إلى أنه لم يجرؤ أحد من الشعب على إحداث أي تمرد أو شغب سياسي أو ديني[3].

وهكذا فقد ساد طيلة هذه الفترة العديد من الاضطرابات السياسية داخل وخارج البلاط الملكي التي لم يخل منها عهد حاكم منها

1 - " تبوأ هذا الملك الحكم وهو في عمر الثانية عشر" انظر:

- Manfred Kropp: op, cit , p.3.

2 - Budge: op, cit ,p. 324

3 - "وفي عهده لم يقم متمرد ثائر ولم ينبت أحد حيف... لأن العدل والقسطاس قد باتا زينة عرشه، وعم كل أقطار مملكته استقرار وسلام". انظر:

- Manfred Kropp: op, cit , p.5.

(اللهم في عهد لبنا دنجل)، فضلًا عن ثورات قوات الحدود نتيجة بُعد وضعف السلطة المركزية، كل ذلك أدى إلى ضعف المملكة المسيحية خاصة منذ بداية عهد (ألكساندر) الذي عانى من هزيمة عسكرية في سلطنة عدل، كما ازداد الضغط الإسلامي على حدود المملكة عامة، وذلك نتيجة الصراعات الداخلية بين النبلاء المسيحيين والمذابح الدموية بين بعض رجال الحرس الملكي.

الفصل الثالث

مظاهر النظام السياسي في الحبشة

1- ألقاب الإمبراطور .
2- مراسم تتويج الإمبراطور .
3- ملابس الإمبراطور .
4- شارات الإمبراطور الحبشي .
5- مراسم الاستقبال والهدايا وإرسال الرسل .

أما عن مظاهر النظام السياسي في الحبشة في الفترة التي تتناولها الدراسة الحالية فسنتناول منها العديد من العناصر، وذلك على النحو التالي:-

1- ألقاب الإمبراطور:

اللقب عزيز دائمًا، والحفاظ عليه جزء من شرف المملكة، ولذلك حرص أباطرة الأسرة السليمانية على التلقُّب بالعديد من الألقاب الدينية والدنيوية إلى جانب أسمائهم الأصلية، حتى أصبح من المظاهر الرسمية في ذلك العصر الإكثار من الألقاب للأباطرة.

فقد كانت تقوم العادة على اختيار اسم للإمبراطور مستوحي من الديانة النصرانية، إذ يقوم الإمبراطور باختيار هذه الأسماء على ثلاث عصي يسمونه من خلالها باسمه الجديد، وهي عادة ما تكون أسماء دينية لأحد الأنبياء أو أشهر القديسين التي تدل على التمجيد والشرف، وعندئذ يختار الإمبراطور أحدها لتخرج بأحد الأسماء التي تطلق عليه على الدوام[1]، وهكذا تمتع الإمبراطور الحبشي في العصر الثاني من عصر الأسرة السليمانية بحقه الديني في مملكته والمقاطعات التابعة له، فكان اسمه ولقبه الديني يذكر دائمًا في المناسبات المختلفة وبخاصة المناسبات الدينية مع المطران الذي ظن هو الآخر أن حكمه مستمد من الله تعالى وأنه ظل الله في أرضه[2].

وتشير المصادر الحبشية في تلك الفترة إلى أن الإمبراطور (زرء يعقوب) كان يلقب بـ(قنسطنطين الأول)[3]، أما خليفته (بئيد ماريام 873-883هـ/1468-1478م)

فكان لقبه "داود"[1]، كما لقب الإمبراطور (إسكندر) بـ(قنسطنين الثاني 883-898هـ/1478-1492م).

1 - Stuart C. Munro Hay,: op, cit , p.54.

2- Perruchon:Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Bae'da Maryam,p.124.

3 - Ibid, p.2 see also Trimingham , op, cit, p. 65.

أما الإمبراطور (داود الثاني) فقد خرجت القرعة الخاصة به باسم (لبنا دنجل 964-947هـ/1508-1541م) أي بخور العذراء[2].

وإضافة إلى هذه الألقاب الدينية، أطلق أباطرة الحبشة على أنفسهم ألقابًا عامة. ففي العصور القديمة ساد لقب النجاشي على نجاشي النجاشية. كما لقب أيضًا بملك ملوك الحبشة[3]. وفي العصور الوسطى أخذ الإمبراطور لقب الحطي[4]. كما أطلق البرتغاليون على الأباطرة اسم "القديس جون"[5]. إلا أن اللقب الذي اشتهر به الأباطرة عامة هو "الأسد الخارج من سبط يهوذا - المختار من الله"[6]. وهكذا اتخذ كل إمبراطور اسمين، أحدهما اسمه الأصلي الذي كان يسمى به قبل أن يصبح إمبراطورًا، واسمًا آخر دينيًا بعد أن يتولى مهام منصبه يتم اختياره عن طريق القرعة.

1- اختار (بلنيد مارىام) ثلاثة أسماء عند إجراء القرعة كباقي الأباطرة وهي "جبرا مسقال - أي خادم الصليب، وداود، وقنسطنين، ولكن القرعة اختارت اسم داود فأصبح الملقب بداود". انظر:

- Perruchon: op, cit,p.124.

2 - Manfred Kropp: Die Geschichte Des Lebna-Dengel, Claudius Und Minas, Scriptores Aethiopoci, Tomus 84, Vol 83,84, Lovanii in Aedibus E. Peeters, 1988.P.1.

3 - لقب ملك الملوك: هو اللقب التقليدي الذي أطلق علي حاكم بلاد الحبشة منذ أقدم العصور التاريخية إذ أن أول من استخدمه هو (سميروتيس) Smerotis، ويعود تاريخ هذا اللقب إلى بلاد ما بين النهرين قديمًا، ولكن تم استخدامه في أكسوم منذ عام 250 ميلادية تقريبًا، وقد أطلق عليه لفظ ملك الملوك نظرًا لأنه يحكم العديد من المقاطعات التي على رأس كل منها ملك، فهو إذن ملك الملوك، وقد وجد العديد من الكتاب الأجانب أن هذا اللفظ غير مألوف، لذلك أطلقوا عليه لفظ "إمبراطور" وقد شاع استخدام هذا اللفظ في بلاد الحبشة حتى عام 1974م عندما تم إلغاء النظام الملكي. للمزيد انظر فوزي عبد الرازق مكاوي، المرجع السابق، ص 185، القلقشندي، المصدر السابق،ج4، ص322، ابن خرداذبة، المصدر السابق، ج1، ص4، مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص ب.

4- القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص 322، المقريزي، الإلمام، ص 2

5- Almeida: Some Records of Ethiopia 1593-1646, pp.3-4.

6- Elaine Murray Stone: op, cit,p.38.

2- مراسم تتويج الإمبراطور:

إذا ما اعتلى الإمبراطور العرش بعد تأييده من قبل كبار رجال البلاط الملكي والجيش أو اختياره عن طريق "مجلس الأوصياء". كان عليه أن يذهب إلى كنيسة الملاك ميخائيل أو القديس جورجيس في أكسوم ليكمل هناك إجراء مراسم التتويج بواسطة المطران المصري، حتى يتمتع بحقوقه الشرعية في حكم البلاد. وربما نستطيع القول إن حرص أباطرة هذه الفترة على هذا التقليد لتأكيد أحقيتهم في العرش استنادًا إلى أساس ديني، ما يجعل قيام منافس لهم أمرًا مستحيلًا[1]. ولعلنا استنادًا إلى هذه الحقيقة نستطيع أن نفهم السر الذي من أجله تشدد هؤلاء الأباطرة في استدعاء المطران المصري والمكانة العظيمة التي تمتع بها المطارنة المصريون في نفوس الأباطرة وجميع طوائف الشعب الحبشي[2].

وتطلق المصادر الحبشية على هذا التتويج اسم "شرعت قرحت" أو شريعة التنصيب، كما تؤكد أيضًا على حرص الأباطرة على تأدية هذه الشريعة في أكسوم[3]؛ إذ يتم استقبال الإمبراطور بحفاوة بالغة من قبل أهل المدينة وكبار رجال الدين وفرق الجند - التابعين لمقاطعة تجري -

---

1 - زاهر رياض: العصر الأول من الأسرة السليمانية، ص 89. انظر أيضًا:

- Taddesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction, p.141.

2 -عند موافقة بلاط القاهرة على إرسال المطران المصري إلى الحبشة، كان الشعب الحبشي يفرح فرحًا لا يوصف إذ يستقبله الشعب والأكليروس والإمبراطور بكل مظاهر الترحاب وينثرون فوقه الذهب الكثير ونسلم له ممتلكات الكنيسة وتفتح له خزائن المطرانية بما فيها من ذهب وفضة وثياب وكتب وقمح وحبوب، ويرسل له الإمبراطور وكذلك الأمراء خيلًا كثيرة وبغالًا وخدمًا لخدمته كما يرسل له الكثير من العبيد". للمزيد انظر القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 308، عرب فقيه، المصدر السابق، ص 153.

3 - اضطر الإمبراطور (بنيد ماريام) إلى إجراء مراسم التنصيب الخاصة به في أرض دججنو، نظرًا لظروف الحرب مع مسلمي عدل". انظر:

- Perruchon: op, cit, p.124

ممتطين خيولهم، وممسكين بالقوس والسهم، فضلًا عن النساء اللاتي كن يرقصن كل منهن منفردة. وعند دخوله إلى أكسوم يقف كل من حاكم تجري وحاكم أكسوم عن اليمين واليسار يمنعان الناس عنه وممسكين بأغصان الزيتون - لأنه هكذا في سنتهم - وعندما تطأ قدماه أرض القصر يفرش له بساط من نوع خاص به. وعليه أن يقدم للقصر - كغيره من الملوك السابقين - الكثير من الذهب الذي ينثره على عتبته[1].

أما عن طبيعة هذه المراسم فهي أن يجلس الإمبراطور على الكرسي المعد له. وهذا الكرسي هو مكان التنصيب. وهناك كرسي أخر يتبارك به الإمبراطور. كما يجلس المطران بجواره على كرسي ثالث. حيث يكون بجواره مائدة كبيرة عليها ملابس التتويج وهي درع محلى بالجواهر وصولجان وكرة وكلهم من ذهب، وخاتم ثمين من الألماس، وحربتان لهما سن من ذهب، وحلة ملكية وتاج ذهبي، إضافة إلى الكتاب المقدس. يذكر أنه كان يوجد اثنا عشر كرسيًا أخر هي للقضاة الاثني عشر الذين حرص الأباطرة على حضورهم المراسم[2].

ويبدأ الاحتفال بكلمة يلقيها المطران أولًا يؤكد فيها تزكيته للإمبراطور وأنه على كبار رجال المملكة وجميع طوائف الشعب السمع له والطاعة. ثم يتقدم المطران ويرفع الكتاب المقدس ويدعو للإمبراطور ويتوعد من يخالفون أوامره بغضب من الله، لأنه واجب على كل حبشي طاعته والامتثال لأوامره ودفع الضرائب المستحقة عليه لا خوفًا من العقاب بل طاعة لحكم الله[3].

---

1 - "وفيما بعد، وحين دخل الملك قصر أكسوم، أحضر كثيرًا من الذهب، ونثره على عتبته فوق البساط الوماكي، الذي فرش كي يسير فوقه، أما عدد هذا الذهب فمائة جزء... وهذا الذي فعله الملك من أجل مجد صهيون". والبساط الوماكي هو نوع من الصوف. للمزيد انظر:

- Ibid, p.50.

2 - Bruce: op.,cit., p.15.

3 - يوسف جرجس: الرحلة البطريركية إلى الإمبراطورية الإثيوبية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1930م، ص 61.

ثم يقوم حاكم أكسوم بحمل ملابس التتويج ويسلمها إلى المطران ليباركها ويبدأ بإلباسها للإمبراطور ثم يصب القليل من الزيت المقدس على رأس الإمبراطور[1] حتى يجيء دور التاج فيرفعه المطران بين يديه وهو يقول: "ندعوك يا الله، يا من وضعنا فيك كل ثقتنا. أن تبارك هذا التاج وتبارك حامله الإمبراطور - فلان - كي يكون أهلًا لحمله". ثم يقترب من الإمبراطور ويضعه بيديه على رأسه وهو يقول: "ليجعل الله هذا التاج تاج قداسة ومجد"[2].

وبعد أن تتم مراسم التتويج يجدد الإمبراطور كل شرائع الكنائس في أكسوم ويهبها المنح والهدايا، ويعين لها مرشدين. ثم يخرج كبار رجال البلاط وحكام المقاطعات والنبلاء، ويقرعون الطبول لإعلان الخبر الجديد، فيصيح الشعب فرحًا ويلعب الفرسان والجنود بأسلحتهم، ويحمل الخبر إلى بقية المقاطعات بطريقة غير منظمة، ثم يعود الإمبراطور مرة أخرى إلى قصره، بعد أن يكون قد اكتسب صفة القداسة، وضمن خضوع الشعب له[3].

3- ملابس الإمبراطور:

كان للإمبراطور الحبشي ملابس مختلفة يرتديها في كافة المناسبات، فلكل مناسبة رداء خاص بها. فقد كان له رداء خاص عند إجراء مراسم

---

1 -يشير بعض الباحثين إلى أن هذا الزيت المقدس هو في حقيقة الأمر أحد أهم علامات التتويج، كما يشير البعض الآخر إلى وجوب دهن جسم الإمبراطور بدهن الملك، وتشير المصادر الحبشية في عهد الزغاوة إلى أن أول من دهن بهذا الدهن هو (إيو أس الأول) ولم يتبعه في ذلك من الملوك الذين تلوه سوى (زرء يعقوب)، كما تشير أيضًا إلى أن الملك الذي يدهن بالدهن الملكي يدعى عرشه بعرش داود وفقًا لما قرره علماء اللاهوت البارزون في كاتدرائية أكسوم، وأنه من عصر ابن الحكيم بن النبي سليمان حتى عصر (زرء يعقوب) أهملت هذه العادة". للمزيد انظر:

-Huntingford: The Wealth of Kings, pp.6-8. see also Steven Kaplan," Iyasus Mo.a and Takla Haymanot,pp. 54-56.

2- Perruchon: Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Bae'da Maryam, pp.49-51.

3 - Ibid, p.51. see also Jones and Monroe , op . cit , pp.50-51.

تنصيبه، ورداء عند مروره بأي من المقاطعات في الموكب الإمبراطوري، كما كان له رداء خاص عند خروجه إلى الحروب. على أن أهم الملابس كانت تلك التي كان يرتديها الأباطرة عند لقائهم بالناس وجلوسهم على العرش، فقد كانوا يرتدون المعاطف الحريرية ذات المشابك الذهبية، وعلى رؤوسهم التاج الذهبي، كما استرسلت شعورهم على أكتافهم في ضفائر كبيرة، كما كانوا يضعون حول أكتافهم قطعًا من جلود الأسود لزيادة هيبتهم، وتحلوا بالعقود والأساور[1] إذ كانت هذه الملابس تصنع عادة من الحرير الوارد إليهم من اليمن[2]، وقد شهد الحيمي على ذلك عندما زار الحبشة فوصف بلاط الملك: (فقد تهينوا بأعظم أبهة حيث لبسوا مطارح الديباج... وجعلوا في أواسطهم مناطق الذهب المحلاة بالفصوص الفاخرة ونفيس الجواهر... وأخذوا في أيديهم السيوف السنارية المحلاة كذلك بعين الذهب الخالصة، ورؤسهم مكشوفة عن الشعر الجعيد الناعم. وفي أيديهم أساور الذهب وفي أذانهم الأقراط المتلألئة كاشتعال اللهب)[3].

4- شارات الإمبراطور الحبشي:

أ- التاج الذهبي:

يعد التاج الذهبي من أهم شارات الإمبراطور الحبشي، وهو ما يوضع على الرأس، وبه يتوج الإمبراطور نفسه، وهو دلالة على أعلى درجات المجد والفخر، ويتزين به في الأعياد الرسمية والمناسبات المختلفة وفي المواكب، و يتكون التاج من الذهب كما تحف به فصوص من المجوهرات والأحجار الكريمة. يذكر أن حكام المقاطعات سمح لهم بالتتويج بمثل هذا التاج لكنه كان مصنوعًا من الفضة[4].

---

1 - Richard Pankhurst: op,cit,p.76 see also Richard Reush (D.D):History Of East Africa , London,1954,p. 64.

2 - العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، جـ4، ص39.

3 -الحيمي: المصدر السابق، ص ص 29-30.

4-Ludovico di Varthema: The Travels of Ludovico di Varthema, 1863, p. 165 see also Bruce:op..cit., p.92.

ب- جنود الخدمة:

للإمبراطور الحبشي جنود يرافقونه دائمًا وكانوا مقسمين إلى فرق عدة، وكان منهم من يرابط في القصر، ومنهم من يخرج معه في جولاته التفتيشية، ومنهم من يمهد له الطريق قبل الخروج. وقد أطلقت على بعض هذه الفرق أسماء الأباطرة أنفسهم، وكان الإمبراطور يمنحهم إقطاعًا للإنفاق منه على معيشتهم. يذكر أنه أثناء مرور الإمبراطور بأي من المدن كان على حكامها نفقات هذه الفرق وطعام خيولهم، كما يضم إقطاع كل قرية وضواحيها منازل واقعة على الطريق ليتزود منها الموكب من المؤن المختلفة[1].

ج- الخيمة الإمبراطورية:

تعد الخيمة من أهم شارات الإمبراطور الحبشي فهي مساوية تمامًا لقصر الإمبراطور في دبر برهان في الأهمية، لأنها تدل على مظاهر حكمه وسيطرته على البلاد[2]، وكانت هذه الخيمة بيضاء اللون تمييزًا لها عن سائر الخيم الأخرى، وهي خيمة كبيرة الحجم عالية الارتفاع ليدخل إليها الإمبراطور محمولًا على فرسه، وقد أقيم سور حول هذه الخيمة من جهتي اليمين واليسار، وسور آخر يربط بينها وبين أقرب كنيسة ليمنع رؤية الناس للإمبراطور حين يدخل أو يخرج لتقديم شريعة القربان، لذا لا يترك شيئًا مثقوبًا فيها حتى لا تنظر أعين الناس من خلاله[3]. وكانت هذه الخيمة تنقل بسفر الإمبراطور سواء للجولات التنفتشية إلى المقاطعات المختلفة أو في حالة حروبه، وتعد هذه العادة قبلية تتفق وتقاليد الأحباش البدوية[4].

---

1 -Donald Crummey: Land and Society in the Christian Kingdom of Ethiopia, university of Illino, press, 2000,p.26.

2- Perruchon:Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Bae'da Maryam, p.26.

3 - Ibid, pp.26-27.

4- Richard Pankhurst: History of Ethiopian Towns From The Middle Ages to The Early Ninteenth Century, Wiesbaden,F.S.V.GMBM,1982,p.35.

د- خيام النساء:

جعل أباطرة هذه الفترة دور النساء في مكان خاص بهن في قصر دبر برهان، كما جعلوا لهن خيامًا بجوار خيامهم في الموكب الإمبراطوري. وإذا كان للأباطرة غلمان وعبيد وخدم خاص بهم. فإن خيام النساء (الملكات) كانت تكتظ أيضًا بالعبيد الخصيان والجواري[1].

هـ- العلم الحبشي:-

ومن شارات المملكة الحبشية أيضًا العلم الحبشي، ورغم أن الأعلام الخاصة بالمقاطعات المختلفة كانت تماثل العلم الخاص بالمملكة الحبشية من ناحية الشكل، كما اشتركت جميعًا في كونها مطرزة بعلامة الأسد (الخارج من سبط يهوذا)، إلا أنها كانت تحمل علامة خاصة تميز هوية المقاطعة الخاصة بها، كما أنها لم تحافظ على لون معين لهذا الأسد[2]. فبعضها استخدم اللون الأبيض، والبعض الآخر استخدم اللون الأحمر، وفريق ثالث استخدم اللون الأصفر. وتجدر الإشارة أنه غالبًا ما كانت تعلو هذه الأعلام كرة بيضاء مفرغة من الذهب يعلوها صليب ذهبي[3].

و- البوق والطبول:

وللإمبراطور بوق وطبول خاصة به، تدق له في وقت خروجه من القصر أو الدخول إليه[4] كما استخدم البوق وقرع الطبول عندما يريد الإمبراطور أن يجمع رجال الدين أو أفراد الشعب لإعطاء أوامر

---

1 - Perruchon: op.,cit., pp.22-26.

2 - زاهر رياض: الفرسان والفروسية في إثيوبيا، مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة، 1951م،ص288.

3 - Alvarez: op.cit., p.135.

4 -Perruchon:Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Bae'da Maryam, p.19.

معينة[1]، كما استخدمته بعض الفرق العسكرية تحت إشراف البالامبارس عند زيارة الإمبراطور لأي من المقاطعات المختلفة لتعريف الناس بقدوم الإمبراطور[2]. كما كان يتم الضرب على هذه الطبول والنفخ في البوق عند الخروج إلى الحرب[3].

ز- الخاتم والتوقيع:

ومن رموز وشارات المملكة الحبشية الخاتم الحبشي، وكان (الصحافي تزاز)[4]. هو من يحمل هذا الخاتم في ذلك العصر، وكان لكل إمبراطور حبشي ختم وتوقيع خاص به، يوقع به على المراسلات والمكاتبات، إذ أنهم اعتادوا على اتخاذ الأسماء والعبارات الدينية رمزًا لتوقيعهم[5].

ح- الخزانة السلطانية:-

وفي القصر الحبشي توجد الخزانة الخاصة بالإمبراطور، وكان للأباطرة خزانتان، خزانة الإنفاق، وخزانة الاحتياطي، وكانت الأولى توضع في خيمة كبيرة تسمى "نازريت بيت"، وتحوي المال الكثير، وينفق منها على الإمبراطور وحاشيته ونفقاته الخاصة والعامة. أما الثانية فتسمى "منجشت بيت"، وهي تحوي الفائض من المال مما لا يحتاج إليه أو يخزن للطوارئ، و ينفق منها أيضًا على تجارة الإمبراطور[6].

---

1 - " وفيما بعد نفخ في البوق، فتجمع الكثير من الرهبان والكهنة، فأمرهم أن يؤدوا قسمًا، الكل بكنائسه، بأن يقدموا الكثير من البخور، ويهبوا ملابس للفقراء والمساكين". انظر:

– Perruchon: op, cit, p.19.

2 - عندئذ يعبر هؤلاء نافخين الأبواق، وضاربين الطبل ويقفون خارج أبواب الكنيسة، ولا يدخلون إلى الداخل". انظر:

-Perruchon: op.,cit., pp.35-37 see also Salt: op, cit, p.439.

3 - Ibid, p.61.

4 - محمد خليفة حسن: المرجع السابق، ص 373.

5 - مراد كامل: في بلاد النجاشي، دار المعارف، القاهرة، 1949م، ص 101.

6 - وفيما بين السور ينصبون نازريت بيت (خيمة كبيرة) مقسمة على ثلاثين ترشما (خيمة صغيرة) أو ما يزيد، ومثلها في ناحية اليمين، وناحية اليسار، ويحضرون فيها كل

5 - مراسم الاستقبال والهدايا وإرسال الرسل:

استقبل البلاط الملكي في الحبشة الرسل القادمين من الدول الغربية عنهم. وفي نفس الوقت خرج منه الرسل حاملين معهم الرسائل إلى حكام هذه الدول. وباستثناء دولة المماليك في القاهرة. فقد كانت وسائل اتصال الحبشة بالبلاد الأجنبية بسيطة. إذ لم يكن للبلاط الحبشي أية دراية بالسفارات أو الكتابة إلى ملوك وسلاطين الدول الخارجية. خاصة وأن الحبشة في تلك الفترة كانت ترتبط بعلاقات محدودة بالدول الخارجية نتيجة جهلهم بها. وعزلة بلادهم عن العالم الخارجي[1].

ولقد سار أباطرة الحبشة على عدة تقاليد وأنظمة معقدة - إلى حد ما - في استقبال هؤلاء الرسل. ومن هذه التقاليد وضع عيون وحراس على الطرق الرئيسة المعروفة. وكانت مهمة هؤلاء الحرس - إلى جانب استقبال الرسل - أن يعرفوا عنهم كل شيء. ولا يُعَرِّفُوْنَهم أي شيء. وفي الوقت نفسه يبعثون فارسًا إلى الإمبراطور يسبق أعضاء السفارة ليخبر الإمبراطور عمن يكون القادم؟ ومن أين أقبل؟ وكم معه من الفرسان والمشاة؟ ومعداته وخدامه وحشمه؟ وآلاتهم؟ وذلك حتى يكون الإمبراطور على دراية تامة بهذه السفارة قبيل قدومها إليه[2].

كذلك كان من التقاليد الحبشية التي يجب أن يتبعها الرسل القادمون. عدم التحدث مع أي شخص موجود داخل البلاد - سواء أكان من أهل البلاد أو أجنبيًا مقيمًا - إلا بعد أن يمتثل أعضاء السفارة أمام الإمبراطور. فعندما جاءت السفارة البرتغالية إلى الحبشة وهي في طريقها لمقابلة الإمبراطور لبنا دنجل تحدث أحد أعضائها مع أحد

الضرائب التي جاءت من أرض إثيوبيا: آنية جيدة مما يحتاج إليه. أما ما لا يحتاج إليه ففي منجشت بيت (المخزن الملكي). وبركت بيت (بيت الهدايا). انظر:

- Perruchon: op.,cit., p.37.

1-K.Ingham: Foreign Relation Of African States. Butterworths ,London,1974,p.36 see also Bruce: op. cit. p. 56.

2 - Alvarez: op. cit.p. 96.

البحارة البرتغاليين كان موجودًا في الحبشة من قبل. وهنا هب الراهب المصاحب للسفارة باعتقال هذا البحار. فاحتج رئيس السفارة وقام بإطلاق سراحه بالقوة. عندئذ شرح لهم الراهب أن ذلك يتنافى مع تقاليد المملكة الحبشية[1]. كما كان على أعضاء السفارات القادمة احترام الكنائس الحبشية والحرص على كرامتها. وهو ما جعل الأحباش ينفرون من بعض العادات البرتغالية مثل البصق أو التغسل في الكنيسة. تلك العادة التي عدها الأحباش تحقيرًا لبيت الله وإهدارًا لكرامته[2].

أما عن أنظمة البلاط الحبشي في استقبال السفراء في العصر الثاني. فقد كان على أعضاء السفارة أن ينتظروا عدة أسابيع قبيل مقابلة الإمبراطور. إلى أن يتم استدعائهم إلى البلاط. و يكون ذلك ليلًا ويدخل أعضاء السفارة بين رجال البلاط والمقاتلين الذين يقفون بسيوفهم ويحملون الشموع. ويظل الإمبراطور محتجبًا من وراء الستائر. ثم يطلب من أعضاء السفارة ما يريده عن طريق مسؤولين في بلاطه. وأول هذه المطالب أن يظهروا براعتهم في المبارزة بالسيف. وبعد شهر كامل من المحادثات كان من الممكن أن يظهر الإمبراطور علانية أمام أعضاء السفارة[3]. ويستقبلهم جالسًا على كرسيه في صدر القاعة. إلا إذا أراد احترام القادم لعظم مقامه أو مقام مرسله نزل عن كرسيه وجلس على الأرض وكان هذا أكبر ما يستطيع أن يقدمه تحية للماثل بين يديه الذي لا يجلس في حضرته إلا إذا أذن له[4].

---

1 - Alvarez: Narrative Of The Portuguese Embassy To Abyssinia during the years 1520-1527, Translated From the Portuguese and Edited by Lord Stanly of Alder ley, New York,1970, p. 163.

2- Harrison Smith, R.N: Through Abyssinia an Envoy's Ride to the King of Zion, New York, 1973, p.36 see also Alvarez, The Prester John of the Indies, p. 235.

3 - ريتشارد هول: إمبراطوريات الرياح الموسمية، ترجمة كامل يوسف حسين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الطبعة الأولى، 1999م، ص 330.

4 - المقريزي: الإلمام، ص 2.

وإذا كانت الفترة التي يقضيها أعضاء السفارة قبل مقابلة الإمبراطور تستغرق عدة أسابيع، فإن فترة بقائهم في البلاد بعد مقابلته قد تستغرق عدة سنوات، بل قد تتجاوز للإقامة الدائمة فيها. فيذكر التاريخ أن (بدور دي كوفيلهام Pero De Covillham)[1] السفير البرتغالي الذي زار الحبشة عام895هـ/1490م وبعد أن نجح في مقابلة الإمبراطور (إسكندر)، عرض عليه الأخير البقاء في الحبشة وزوجه وأغراه بالمال والضياع، لكنه لم يعبأ بهذا كله، وأخذ الإمبراطور يماطله بشتى الطرق حتى مات الإمبراطور، وخلفه على العرش الإمبراطور (ناؤود 900-914هـ/1494-1508م) الذي لم يسمح له أيضًا بالعودة حتى أصبح أحد أهم المستشارين السياسيين للملكة (إيليني) عندما كانت تقوم بدور الوصاية على الإمبراطور (لبنا دنجل)، وقد قام (دي كوفيلهام) بدور كبير في إقناع الملكة بمخاطبة البرتغالين لطلب المساعدة في حروبها ضد المسلمين. يذكر أن سفارة الأب (ألفاريز) عندما جاءت إلى الحبشة لم يسمح لها بالرحيل إلا بعد أن تركت عضوين من أعضائها[2].

على أن أهم سمات نظام البلاط الحبشي هو احتقاره للهدايا البسيطة القادمة مع السفراء، واحترامه للهدايا الثمينة التي يقدمها الغرب. فقد كان الإمبراطور يقدم التحية أو يقف للقادم عليه بما يتناسب وحجم الهدايا التي يحضرها الرسول. فنلاحظ أن (لبنا دنجل)

1 - أعجب الأب ألفاريز بكوفيلهام جدًا وقال عنه: "إنه رجل يعرف كل اللغات التي يمكن الحديث بها، سواء أكانت لغات المسيحيين أم المسلمين أم الأحباش الوثنيين، وهو يعرف كل ما أرسل (من قبل الملك) لمعرفته، وهو يتحدث عن هذه الأمور كأنها ماثلة أمامه) وكان إعجاب ألفاريز بكوفيلهام بلا حدود (فلم يكن له نظير) في بلاط الراهب يوحنا، ويرجع ذلك إلى أنه أدى دورًا بارزًا في السياسة الحبشية، فيشير العديد من المؤرخين إلى أنه أشار على الإمبراطورة هيلانة بالاتجاه إلى البرتغال لإنقاذ بلادها من التهديد الإسلامي، بل هو الذي أملى بعض أجزاء رسالتها إلى ملك البرتغال. انظر ريتشارد هول، المرجع السابق، ص211.

2 - السيد فؤاد شكر الله: لبنا دنجل إمبراطور إثيوبيا، دبلوم غير منشور بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 1961م، ص ص83-86.

استقبل رسل البرتغاليين بجفاء عندما علم بقلة حجم هداياهم، لذلك كان هذا الجهل من قبل البرتغاليين يعد إحراجًا لأعضاء البعثة، وهو ما حدث لأعضاء سفارة البرتغال حينما أفحمهم الإمبراطور في حضرته بسبب هداياهم التي لا تليق به، إذ كانت هذه الهدايا تتألف من سيف من ذهب ذي مقبض قيم، وأربع قطع من القماش، وبعض الدروع القيمة، وخوذة مذهبة، ومدفعين صغيرين، وأربع خزائن بنادق، وبرميلين من البارود، وخريطة للعالم، وعدة براميل من الفلفل والتوابل. يذكر أن الإمبراطور أقام احتفالًا أعلن فيه رئيس القضاة هذه الهدايا على الملأ والجهة المقدمة منها، ثم أعلن أن الإمبراطور أمر بتوزيع الملابس والتوابل على الكنائس والفقراء، في إشارة إلى أن الإمبراطور لم تعجبه هذه الهدايا[1].

وعلى الجانب المقابل فإن المراجع لم تذكر حجم أو عدد الهدايا التي كان يرسلها البلاط الحبشي مع سفرائه إلى تلك الدول الخارجية -اللهم إلا فيما اختص بمصر فقط إذ كان لها وضع خاص - فقد حاول الأباطرة في هذه الفترة التقرب من سلطان القاهرة قدر المستطاع، فيذكر ابن إياس أن الإمبراطور الحبشي (زرء يعقوب) أرسل هدايا تتألف من سبعين جارية وطشت وإبريق من ذهب وسيف مرصع بالذهب، وكان يصحب الهدايا رسولان أحدهما مسلم والآخر مسيحي، أما الإمبراطور (لبنا دنجل) فقد بعث بسفارة إلى مصر بغرض طلب الحج إلى بيت المقدس، وحملت هدية إلى السلطان قدرت بخمسة آلاف من الدنانير – ربما كان ذلك بسبب ظروف الحروب في الحبشة - لذلك وبخ السلطان حامل الهدية لتفاهتها التي لا تتناسب مع الحضرة السلطانية، وذكره بهدية الإمبراطور (ودم أرعد) إلى السلطان (محمد بن

1- Alvarez: Narrative Of The Portuguese Embassy To Abyssinia during the years 1520-1527, p. 67.

قلاوون 698-708هـ/1298-1308م) التي قدرت آنذاك بأكثر من مئة ألف دينار[1].

كما أشارت المصادر العربية إلى الطريقة التي اتبعها رسل الأحباش عند القيام بالسفر إلى بلاط القاهرة. وذلك إما لإحضار المطران أو التوصية بحسن معاملة الأقباط في مصر. أو للسماح بالسفر إلى بيت المقدس. وهي طلبات في مجملها تدل على احتياج الأحباش دينيًا إلى مصر، وهي الدولة الوحيدة التي قام الأحباش بالسفر إليها لإحضار المطران. وحرص أباطرة الحبشة على أن تضم هذه السفارات أحد المسلمين: ربما للتأكيد على حسن العلاقات بين الطرفين في الحبشة. فقد وصلت سفارة حبشية من قبل (زرء يعقوب) عام 848هـ/ 1444م إلى مصر في عهد السلطان جمقمق (842-857هـ/1438-1453م)[2]، وكان يصحب هذا الوفد تاجر الرقيق عبد الرحمن الذي كان معه أكثر من مئتي رأس منهم[3]. وفي عهد السلطان الغوري (906-922هـ/ 1501-1516م) وصلت يوم الخميس الموافق الخامس عشر من محرم عام 922هـ/ 1516م سفارة حبشية برئاسة أحد النبلاء يصاحبه خمسة من علية القوم وكثير من العامة. وكان هذا السفير مرتديًا قبعة من المخمل الأحمر مرصعة بالذهب تعلوها درة مثمنة كما بدا في ملابس من الحرير الملون، بينما كان بقية الأمراء الذين صحبوه يرتدون ملابس حريرية وعلى رأسهم قبعات طويلة من الحرير، كما تحلوا بأقراط ذهبية كبيرة وبأساور ذهبية، وكان مع السفارة طبلان على جمل يقرعونها أثناء المسير[4].

1 - ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ص 7.

2 - جرجس فام ميخائيل: السلطان جمقمق وحالة مصر في عصره (1438-1453م) رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعةالقاهرة، 1969م، ص 59-62.

3 - المقريزي: الإلمام،ص7-8، السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1315هـ ص ص 67-71.

4 - ابن إياس: المصدر السابق، ص 6-7.

أما السفير الحبشي فقد قبّل الأرض عند بلوغه الساحة السلطانية ثم قبّل الجميع الأرض ثانية عندما بلغوا أول البساط[1]. ولم يدخل إلى الحضرة السلطانية مع السفير سوى سبعة قبّلوا الأرض بين يدي السلطان ثم قدّموا إلى السلطان كتاب إمبراطور الحبشة الذي كان يفيض رقة وتعظيمًا للسلطان، ويرجو فيه السماح لرجال البعثة بالتوجه إلى كنيسة القيامة بالقدس، ثم أقاموا بمصر ثلاثة أيام ارتحلوا بعدها إلى القدس[2].

أما عن إرسال الرسل الأحباش إلى الدول الخارجية الأخرى، فقد أشارت بعض المراجع إلى إرسال بعض السفارات إلى عدد من الدول ومنها الهند والصين وأوربا (فلورنسا - البرتغال – نابولي) خاصة في عصري الإمبراطورين (زرء يعقوب) و(لبنا دنجل)[3]، إلا أن تلك المراجع لم توضح الطريقة المتبعة فى إرسال أو استقبال هذه السفارات من الحبشة أو في تلك الدول، ويؤكد بعض الباحثين بأن سفارة (زرء يعقوب) إلى فلورنسا عام 845هـ/ 1441م لم تكن عن طريق رسل أحباش، بل كانت عن طريق الأب (نيقوديمس Nicodemus)رئيس دير السلطان في القدس[4]، كما كانت سفارة الملكة الأم (إيليني) إلى ملك

1 - منى إبراهيم عبد الرحمن: السفارات الأجنبية في مصر على عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة بآداب القاهرة،1395هـ- 1975م، ص 95.

2 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص34-35، ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق د. مراد كامل، القاهرة، 1961م، ص 170، رجب محمد عبد الحليم، العلاقات السياسية، ص ص50-51.

3 - رجب محمد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة، ص 107-115.

4 - لا تذكر المصادر العربية شيئًا عن زمن إنشاء هذا الدير، وإن كان من المرجع أنه أسس بعد تأسيس الإمارات الصليبية في المشرق، ولكن هذه المصادر تذكره بناءً على دوره في اطلاع الأحباش على مجريات الأمور، وتعريفه لأوروبا بسياسة الحبشة وأوضاعها. يذكر أنه عندما استولى السلطان صلاح الدين الأيوبي على بيت المقدس 1189م، شمل دير الأحباش برعايته، لدرجة أنه عرف باسم (دير السلطان)، وهو الأمر الذي ساعد على كثرة عدد الوافدين الأحباش إليه. انظر فتحي غيث، المرجع السابق، ص118، يوسف

البرتغال بواسطة تاجر أرمني يدعى (ماثيو) Mathieu[1] إلا أنها أرسلت معه أحد النبلاء الأحباش والذي يدعى (يعقوب). وهو ما يوضع كثيرا من النقاط أهمها هو خوف الأحباش من الدول الخارجية وجهلهم بها وعدم معرفتهم بلغات تلك الدول. كما أنهم لم يكونوا مؤهلين للقيام بهذا الدور[2].

سعد، دير السلطان بالقدس. أسانيد ومستندات تثبت ملكيته للأقباط الأرثوذكس. القاهرة. 1962. ص 18.

كان من أغراض السفارات الحبشية إلى مصر السماح للأحباش التوجه إلى بيت المقدس. إذ فضل الأحباش طريق مصر عند ذهابهم إلى بيت المقدس للحج. خاصة وأن مصر رفعت عنهم ضريبة الخفر المقررة على الحجاج المسيحيين مقابل حراستهم. ولذلك كانت أعدادهم كبيرة عندما يقصدون الحج. فقد أرسل (لبنا دنجل) عام 922هـ 1516م إلى السلطان الغوري بهذا الغرض. انظر ابن عبد الظاهر. تشريف الأيام. ص 170-173. ابن إياس. بدائع الزهور. جـ3. ص7-9. حامد عمار. العلاقات بين مصر والدول الإفريقية في العصور الوسطى. مكتبة الدار العربية للكتاب. القاهرة. 1996م. ص157. محمد علي بهنساوي. المرجع السابق.ص ص 214-217.

1 - ماثيو الأرمني: هو من أرمن الشرق. اشتغل بالتجارة. ووصف بالأمانة والشرف والإخلاص والذكاء والحرص على العمل. فضلاً عن إتقانه لغات الشرق. وقام بمصالح تجارية عديدة مع الإمبراطور الحبشي والنبلاء الأحباش. لذلك حظي بثقة البلاط الحبشي وعطفه. جاب البلاد من القاهرة والقدس وهرمز وأصفهان وملبار في الهند. كما عمل تحت رئاسة سيد كبير من الأتراك العثمانيين. ولهذا كان لديه مقدرة على المرور في كل ربوع الدولة العثمانية دون أن يتعرض للإهانة أو السلب الذين يتعرض لهما الأجانب الآخرون. ويتضح من ذلك أن الرسالة كان لها خطر كبير عليه. لأنها كانت تحتوي على نوع من التآمر والغدر ضد الدولة العثمانية التي يعد هو من رعاياها. انظر غسان علي محمد الرمال: صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي. دار العلم للطباعة. جدة. 1406هـ/ 1985م. ص78. كذلك:

- Budge: op. cit. p. 331 see also Hollings worsth: op. cit. p.42.

2 - الحبيبي: المصدر السابق. ص 28-29. زاهر رياض. كنيسة الإسكندرية في إفريقيا. مطبعة الجيش. القاهرة. الطبعة الأولى. 1962م. ص 138.

الفصل الرابع

المناصب السياسية

1- منصب الوزير الأول Bitwadotch (البحت ودد) .

2- الصحافي تنزاز (الكاتب) .

3- بالمبراس (البالامباراس) (حاجب الإمبراطور) .

4- صراج ماسري .

رغم تمتع الإمبراطور بنفوذ واسع في المملكة الحبشية، وبخاصة فيما يتعلق بشؤون السياسية والحرب وملء المناصب الكبرى وتوزيع الإقطاعات، إلا أنه وجد في البلاط طائفة كبيرة من رجال المملكة الذين ساعدوه في إدارة شؤون الحكم، لا سيما في الأمور المتعلقة بشؤون الحرب وعقد السلم. لذا كان هناك عدة مناصب سياسية لها وزنها وخطورتها في الجهاز الإداري الحبشي، يعين أصحابها من قبل الإمبراطور[1]. وسوف يتم عرض بعض هذه المناصب على النحو التالي:

1- منصب الوزير الأول Bitwadotch (البحت ودد)

يعد أكبر المناصب السياسية والحربية والإدارية في المملكة الحبشية بعد الإمبراطور مباشرة، فهو في مقام كبير الوزراء وكبار رجال المملكة، وتطلق عليه المصادر الحبشية لقب (الوزير الأول أو الرسول المطلق صاحب المقام الرفيع في البلاط الملكي). ويُعَدُّ هذا المنصب - من وجهة نظر بعض الباحثين - أعظم منصب في المملكة الحبشية، لذلك كان شاغلو هذا المنصب يعلون على من يشغلون منصب حاكم المقاطعة في حالة مرور الموكب أو المعسكر الإمبراطوري على هذه المقاطعة[2].

ويؤكد بعض الباحثين أن هذا المنصب وجد بشكل غير واضح في عهد الإمبراطور (عمدا صهيون الأول) إذ عهدت الاختصاصات الوظيفية لهذا المنصب إلى شخص ما لم تذكر المصادر الحبشية أي لقب له، لكنه يتمتع بصلاحيات سياسية وحربية كبيرة[3]. كما كان يمكن أن يوجد شخصان يحملان هذا اللقب أو المنصب، ويذكر أن تلك المصادر تذكر أن هذا المنصب ظهر بشكل واضح في عهد (زرء يعقوب)[4].

1 - انظر باقي المناصب المهمة في ملحق الرسالة في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

2-Salt (R.): Voyage en Abyssinie, Paris, 1816, p. 78.

3 - في حين رأى بعض الباحثين أن هذا المنصب مدني وليس له علاقة بالمناصب العسكرية، انظر محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص 378.

4 - Denison Ross: Early Travellers in Abyssinia, Journal of the Royal African Society, Part.1, Vol.21, No.84 (July.,1922), p.117.

وبقرر كل من (باسيه) و(بلندل) و(الفاربز) أن هذا المنصب كان يعطى لشخصين يأتيان بعد الإمبراطور في علو العظمة والشرف. ويمنحه الإمبراطور لمن يتمتع بثقته[1]. وبناءً على ذلك فقد قُسِّمَ هذا المنصب على شخصين مختلفين[2]. أحدهما على يمين الإمبراطور والآخر على يساره، ويؤكد (بروس) اختصاص الوزير الأول بشؤون الحرب في حين يبقى الوزير الثاني مُعَسْكِرًا في البلاط الإمبراطوري كحارس للإمبراطورية ومنظم للشرائع والقوانين معتمدًا في ذلك على السلطات الواسعة المخولة إليه من قبل الإمبراطور[3].

ورغم تلك السلطات الواسعة التي تمتع بها الوزير الأول. ونظرًا للأهمية الكبيرة لهذا المنصب، فقد نظر إليه المؤرخون على أنه منصب عسكري رفيع المستوى يفوق في مكانته وسلطاته منصب الحاكم العسكري للمقاطعة، لدرجة أن الإمبراطور الحبشي لم يكن ليسمح لأحد بمناقشته ولا رؤيته باستثناء شاغلي هذا المنصب، وبعض رجال الدين[4]. حتى بدأ كل من يشغل هذا المنصب في امتلاك زمام أمور البلاد، لذا تجدر الإشارة إلى أن اهتمام الأباطرة الأحباش بتولية مهام هذا المنصب إلى أولادهم وأقربائهم الذين ربما يتوافر لديهم درجة أعلى من الولاء للإمبراطور. وليس أدل على ذلك من أن الذين كانا يشغلان هذا المنصب في عهد (زرء يعقوب) هو زوج ابنة الإمبراطور لتأكيد سيطرته على مقاليد الأمور[5].

ورغم حرص الأباطرة على إسناد مهام هذا المنصب إلى من ترتفع لديهم درجة الولاء لشخص الإمبراطور، إلا أن هناك من استغل سلطاته

1 - محمد خليفة حسن: المرجع السابق، ص378 كذلك انظر:

- Blundell: op,cit.,pp.321,508.

2 - Ibid.,p.508.

3 -Taddesse tamrat: op.cit., p.273, Bruce: op. cit, p. 174, see also Budge, op.cit.pp.580-581.

4- Huntingford G.W.B.: The Glorious Victories of Amda seyon, p.12.

5 - Huntingford: The wealth of the kings ,p.12.

مما هدد مصالح الإمبراطور. إلا أن الأخير لم يتورع عن إقالة شاغلي هذا المنصب. فقد عزل (زرء يعقوب) كل من (البحت ودد إيساياس)[1] وعامد مسقل، الذين توليا أمر هذا المنصب في بداية حكمه: لأنه "سمع عنه أمر ظلم كثير وتمرد"[2]. وأن الشعب تذمر من ظلمهما، بل أدى الأمر إلى قتلهما الاثنين رغم أن (عامد مسقل) هو زوج ابنة الإمبراطور نفسه، الذي فعل ذلك ليؤكد سيطرته على مقاليد الأمور في المملكة. وتأكيدًا من الإمبراطور على هذه السيطرة في المملكة لجأ إلى تعين ابنتيه في هذا المنصب، وهما (مدخن زمدا)، و(برهان زمدا)[3].

ንጉሥነ ፡ በ
እደ ፡ ማርያም ፡ እዘዘ ፡ ያቅርብዎሙ ፡ ለመሓሬ ፡
ክርስቶስ ፡ ብሕት ፡ ወደድ ፡ ዘፀጋም

1 - يعد إياساس هذا قائد أكبر حركة تمرد في تاريخ زرء يعقوب إذ كان يشغل منصب حاكم تجري، وبعد زواجه من ابنة الإمبراطور شبح منجشا (أدل منجشا) المذكورة في النص، شغل منصب البحت ودد، وقد خلفه أخوه (نواي) في حكم هذه المقاطعة. انظر:
- Perruchon: op.cit., p.64.

2 - "حين سمع الملك عنه أمر ظلم كثير وتمرد، ما فعله. وما فكر فيه في قلبه دون حق من لم يفكر في قلب الإنسان، مثلما فكر إبليس الرجيم. الذي لا يزن الأمر، وبسبب ذلك فأسقطه الرب من فوق عرشه، وأذله كثيرًا، ومثله عامد الشيطان أسقطه إله إسرائيل عامد الشيطان" انظر:
-Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.10.

3 - "أما (منصب) البحت ودد (الرسول المطلق) اليمين واليسار، فلم يوجد في تلك الأوقات، بل ظلت الأختان -بنتا الملك- تحكمان على اليمين مدخن زمدا، وعلى اليسار برهان زمدا، بعد أن أوثقوا وحاكموا زوج الثانية عامد مسقل الذي دعي فيما بعد باسم عامد الشيطان" انظر
-Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda Maryam, pp. 9-10.

كما ازداد نفوذ البحت ودد في عهد (بنيد ماريام) الذي "قرب إليه وزير اليسار" الذي يدعى (ماهيرا كرسيوس) [1]

وهكذا ازداد نفوذ البحت ودد في المملكة الحبشية؛ إذ كان لهم دورٌ كبيرٌ في اختيار الإمبراطور القادم. ففي عهد الإمبراطور (إسكندر) الذي كان صغير السن، كان للبحت ودد الذي يدعى (أمادا ميكلا) اليد العليا في الحكومة الحبشية وكان هو "الحاكم الوحيد للحبشة"[2]. حتى بعد أن وصل الإمبراطور لسن الشباب حال البحت ودد دون وصول كلمة الشعب وكبار المعارضين ورجال البلاط إليه. الذين أردوا وضع حدٍ لسلطته[3].

أما في عهد الإمبراطور (عمدا صهيون الثاني) فقد برزت شخصية البحت ودد (تكلا كرسيوس) الذي كان أقوى مسؤول في البلاط الملكي بالاشتراك مع (إيليني). أما في عهد الإمبراطور (لبنا دنجل) فقد كان يتولى أمر هذا المنصب كل من (واسان سجادا)[4] وزير اليسار و(سن سجاد) وزير اليمين، وقد قتلا في معركة إيفار Ayfar في عام 937هـ/ 1531م[5].

ونتيجة طغيان شاغلي هذا المنصب والقوة المتزايدة لهم، فقد تقلصت اختصاصاته وأصبح يتولاه شخص واحد فقط، ما دفعه

1 -"ملكنا بنيد ماريام أعطى الأمر بتقريب ماهيرا كرسيوس وزير اليسار وجبرا إياسيوس الذي كان سجينًا". انظر:

- Perruchon:Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.361.

2 - Ibid, p.354.

3 - Bruce: op, cit, p. 174.

4 - واسان سجاد: يعني هذا الاسم أنه انتشرت عبادته إلى حدود مملكة العالم انظر:

-Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.4.

5-أذعن هذا الملك في تصريف أمور عرشه لمشورة ذوي الرأي السديد والنبلاء الموجودين في البلاط الملكي، ولا سيما ذوي الفهم والبصيرة واسان – سجاد ذو (الذي) حظى بالمرتبة الثانية في ترتيب رتب المملكة. انظر:

Manfred Kropp: Dis Geschichte Des Lebna-Dengel, p.4.

للاستغناء عن هذا المنصب واستبداله بآخر ذي صلاحيات أقل وأصبح يطلق عليه لقب "رأس"[1].

2- الصحافي تتزاز (الكاتب):

هو منصب استحدثه الإمبراطور (يكونو أملاك) مؤسس الأسرة السليمانية الذى عهد إليه بمهمة تسجيل الأحداث التاريخية. مما كان له الفضل الأول في معرفة أحداث وتاريخ هذه الأسرة. وقد أضاف إليه (زرء يعقوب) مهمة حفظ المراسلات الإمبراطورية وختمها[2]. والترجمة الحرفية لهذا اللقب "الكاتب المأمور". وكان من أهم اختصاصاته: حمل ختام الإمبراطور وقيد زواج الأسرة الإمبراطورية وقيد أوامر الإمبراطور وحفظ جميع المعاهدات وأوراق المملكة[3].

يذكر أن هذا المنصب مثل معظم مناصب المملكة الحبشية التي تتميز بالازدواج نظرًا لوجود صحافي تتزاز اليمين وصحافي تتزاز اليسار. ولأهمية هذا المنصب فقد كان هناك شروط معينة لا بد أن تتوافر في حامل هذا المنصب يأتي في مقدمتها أن يكون عالمًا بالكتب المقدسة وكتب الحكمة، والأمثال التي كان كثيرًا ما يستشهد بآيات وأقول حكيمة منها، كما كان لا بد أن يكون حامله ذا أسلوب كتابي رفيع[4]. أي أن هذا المنصب يشبه رئيس ديوان الإنشا في الحضارة الإسلامية.

3- بالمبراس (البالامباراس) (حاجب الإمبراطور):

اختلف الباحثون في تفسير وظفية حامل هذا اللقب، إذ يذهب البعض إلى أنه كبير أمناء الإمبراطور أو رئيس حجابه، كما يقال أيضًا

1- مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص10-13 انظر كذلك:

- Edward Ullendorff: The Ethiopians an introduction to country and people, pp.66-67, Alvarez: Narrative Of The Portuguese Embassy, pp.114-116.

2 - محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص 373.

3 - نفس المرجع والصفحة.

4 - Blundell: op.cit.,p.433.

أنه صاحب قلعة الإمبراطور والمشرف على الإسطبل الخاص بخيوله وسروجه المذهبة وغيرها. والمكلف بتنظيم موكبه عند الخروج[1]، بينما يذكر (سالت) بأن صاحبه ضابط في بلاط الإمبراطور يتمتع بنفوذ كبير[2].

4-صراج ماسري:

رئيس التشريفات الملكية ومقدم الأجانب للإمبراطور[3] وله تفسير أخر بأنه واضع التاج على رأس الإمبراطور[4]. كما ذكر بعض الباحثين أن له تفسيرًا ثالثًا بمعنى "كبير الأمناء" وهو الذي يحمل سوط الإمبراطور ويشرف على غرفته الخاصة، ويوقظه في الصباح ويلازمه أثناء النهار ويعاونه في هذا مجموعة من الموظفين[5].

---

1 - زاهر رياض: العصر الأول من الأسرة السليمانية، ص 104.

2 - Salt: op., cit., p 439.

3- Blundell: op,cit.,p.287.

4 - Taddesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction, p.106.

5 - Budge: op., cit., p.580.

الباب الثاني

النظام الإداري في الحبشة العصور الوسطى.

الفصل الأول : النظام الإداري في العصر الأول من حكم الأسرة السليمانية.

الفصل الثاني : النظام الإداري في العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية.

الفصل الأول

النظام الإداري في العصر الأول من حكم الأسرة السليمانية.

كان هيكل النظام الإداري في المملكة الحبشية في ذلك العصر يتكون بصورة رئيسة من حكومة مركزية تمارس كافة سلطاتها من القصر الإمبراطوري. وكان الإمبراطور على رأس هذه الحكومة فهو حاكم البيت السليماني وكبيره، وهو قائد الأحياش والمتحكم في شؤونهم. ومن حقه وحده أن يعين من يراه مناسبًا في المناصب والوظائف المختلفة – سواء المدنية أو الدينية - في الدولة. كما كان من حقه وحده عزلهم. ويقوم أيضًا بتوزيع الأراضي والنظر في القضايا. لذلك فهو وحده من يلقب بلقب "ملك الملوك" أما باقي حكام المقاطعات فقد كان يطلق على كل واحد منهم لقب "ملك"[1].

وكانت تقوم في الأقاليم حكومات محلية عبارة عن صورة مصغرة من الحكومة المركزية. يقوم على رئاستها حكام المقاطعات. وهم الذين انحدروا من سلسلة الزعماء المحليين. وهم يستمدون سلطتهم من القصر مباشرة، ورغم ذلك فقد تمتعوا بنفوذ واسع داخل مقاطعاتهم. إذ كانت سلطاتهم مماثلة إلى حد كبير لسلطة الأباطرة أنفسهم. ولكن في داخل مقاطعاتهم فقط. وذلك في مقابل اعتراف هؤلاء الحكام بالسلطة الشخصية للإمبراطور. ودفع الجزية وتأدية واجباتهم الإقطاعية الأخرى. إلا أن العامل الوحيد الذي يضمن بقاءهم في حكم مقاطعاتهم هو الحضور فورًا على رأس قواتهم العسكرية عندما يطلب منهم ذلك. بل كان بعضهم على رأس الجيوش الخاصة بالإمبراطور. ورغم ذلك. لم يضمنوا استمرار مدة حكمهم ولا توارث مناصبهم. بل كان من الممكن أن يُمْنَحَ الحُكْمُ لعضو آخر في العائلة أو ربما ينتقل إلى عائلة أخرى[2].

على أنه لا يفهم من ذلك أن المملكة الحبشية كانت عبارة عن وحدة إدارية واحدة، إذ تشير معظم المراجع المختلفة إلى انقسام هذه المملكة

---

1 - فوزي عبد الرازق مكاوي، مملكة أكسوم ص 185، القلقشندي. ج4، ص322، ابن خرداذبة، ج1، ص4، مجدي عبد الرازق سليمان ص ب.

2-Mordechai Abir: op., cit., p.45.

- في هذه الفترة - إلى نوعين من المقاطعات، يشمل النوع الأول تلك المقاطعات الجديدة التي قام أباطرة ذلك العصر بفتحها. والتي ضمنت لهم السيطرة على طرق التجارة المختلفة، وقد تم ضبط إدارة هذه الأقاليم الجديدة بإحكام طيلة ذلك العصر المشار إليه[1]. أما النوع الثاني فهي تلك المقاطعات التي كانت موجودة أصلًا في المملكة، وقد اتجه النظام العام للحكم في كلا النوعين إلى الحكم الذاتي، وقد حكم هذين النوعين من المقاطعات نوعان من الحكام هما:-

1- الأمراء المحليون الوارثون: الذين استمدوا سلطتهم أصلًا من البلاط الملكي مباشرة نتيجة وراثة حكم المقاطعة عن آبائهم. وقد اعتمدت قوة هؤلاء الحكام السياسية والعسكرية على قوتهم الاقتصادية التي تجمع من عائدات الأراضي التي سيطروا عليها، ولذلك حاول (عمدا صهيون) تقليل مصادر قوتهم بمنح العديد من أراضي الإقطاع إلى الكنائس والأديرة فضلًا عن عدد كبير من النبلاء المنتشرين في أنحاء المقاطعة[2].

2- الأمراء المحليون المعينون : وهم الذين قام الإمبراطور القائم بتعيينهم وبخاصة في المقاطعات الجديدة التي يتم فتحها[3]. وقد حمل

---

1 - Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, pp.96-98.

2- Peter Schwab: Ethiopia: politics, economics and society, Published London Pinter,1985, p.211see also Mordechai Abir: op, cit., pp.56-57.

3 - يبدأ هؤلاء الحكام حياتهم -في أغلب الأحوال- في أحد قصور القادة المحليين كتابعين أو كأحد أقارب الحاكم المحلي، ثم يأخذ مكان الحاكم المتوفى (خاصة إذا لم يكن له أولاد ذكور)، وفي العادة كان يقوم بعمل للاستيلاء على السلطة و اغتصابها بقوة السلاح، وسرعان ما يعلن ولاءه إلى القصر الملكي عن طريق حلف يمين الولاء وإظهار الطاعة للإمبراطور ويتولى رسميًا حكم المقاطعة، وذلك في مقابل التزامه بما يلتزم به إخوانه تجاه الإمبراطور، ولكن إذا أراد رضا الإمبراطور عليه كان يمنحه لقبًا آخر يصبح بمقتضاه حاكمًا سياسيًا لمنطقة أكبر. للمزيد انظر:

- Taddesse Tamrat: op., cit., p.96

جميع هؤلاء الأمراء لقب Siyum الذي يدل على تعيينهم جميعًا من قبل الإمبراطور[1].

ورغم اشتراك جميع الأمراء السابقين في الألقاب المختلفة، إلا أنه لم يكن لحكام المقاطعات المعينين والموظفين التابعين ما لنظرائهم الوارثين من القوة والسمعة، ولا يستطيعون منافستهم، لذلك شكلوا - الأمراء الوارثون - خطورة كبيرة على المملكة الحبشية؛ خاصة إذا كانت سلطة الإمبراطور ضعيفة، إذ تنعدم سلطته نهائيًا على مثل هذه الأقاليم، لذلك فقد أقام هؤلاء الحكام الأقوياء قصورًا في مقاطعاتهم على نفس نمط القصر الملكي[2]. وحينما يحدث أي تعارض بين الحكم الإمبراطوري وحكام المقاطعات كان الإمبراطور يلجأ إلى دعم قوته بتقوية السلطة والجيش والحكام الإقطاعيين العسكريين، وبعض موظفي النظام الإداري غير المركزي[3].

وهكذا اختلفت مكانة هذه المقاطعات في بداية حكم هذه الأسرة، خاصة مع انتقال عاصمة المملكة القديمة إلى تاجولات على يد (يكونو أملاك)، ففقدت بعض الأقاليم أهميتها القديمة وبخاصة إقليم لاستا الذي فقد موقعه القيادي في المملكة الحبشية، في حين ظهرت أقاليم جديدة مهمة، ما أدى إلى ظهور طائفة جديدة من الحكام المحليين بعد اعتلاء (يكونو أملاك) العرش، مثل حاكم إقليم التيجري Tigre وحاكم إقليم أمحرا Amhara الذي أصبح من أهم أجزاء المملكة، إذ كان مركزًا للحركة المعادية للزغاوة، فضلًا عن حاكم إقليم أنتاربا Intarta الذي كان يحمل لقب (هسجوا) Hasgawa[4] ولقب (تاوزات) Tawazat[1]

---

1 - Harry Middleto: op., cit., p.62 see also Blundell (w.): The Royal Chronicle of Abssinia 1769/1840, Cambridge,1922,p.509.

2 - Mordechai Abir: op., cit., p.57.

3 - Mordechai Abir: op., cit., p.56.

4 - لقب هسجوا Hasgawa: وجد هذا اللقب منذ أيام الأسرة الزغاوية فقد أشير إليه في عام 1225م، ويبدو من سياق النص أنه أحد المسؤولين عن جمع الجزية للملك في Tamben انظر:

ولقب (أقبي صانصان) Aqabe- Sansan[2] وكان لهذا اللقب الأخير أهمية كبيرة في التيجري لدرجة أن احتفظ بهذا المنصب والمكانة في أيام الإمبراطور (زرء يعقوب).

ومن هؤلاء الحكام أيضًا من ذوي المكانة البارزة في ذلك العصر (إنجيد إجازي) Ingida- Igzi الذي ينتمي إلى عائلة محلية رئيسة[3] وقد خولت له سلطة كبيرة أثناء تولي (يكوتو أملاك) الحكم له ولابنه من بعده والذي يدعى (تسفنا أجازي) Tasfana- Igzi. وقد بلغ من قوة هذه الأسرة أنه ورد في إحدى الوثائق الحبشية الخاصة بمنح الأرض والمؤرخة عام 705هـ/1305م أن (تسفنا أجازي) أشار إلى منطقته المحلية بقوله "مملكتي الخاصة". وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على ضعف سلطة المملكة الحبشية في عهد (يجبيا صهيون) و(ودم أرعد)[4].

- Taddesse Tamrat: The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, pp., 97,143.

1 - تاوزات Tawazat: ظهر هذا اللقب لأول مرة في تاريخ الحبشة في عهد (عمدا صهيون) باسم "مقلال تواژن". وهو يشير إلى أحد أهم الحكام المحليين في الشمال "حاكم أنتاريا". وقد أضيف لاختصاصات ابن الإمبراطور (بحر سجادا) مما يدل على أنه كان منصبًا ذا قوة كبيرة. انظر:

-Perruchon: Histoire des guerres d'Amda Seyon, p.293., Manfred Kropp: op., cit., p.56.

2 - أقبي صانصان Aqabe- Sansan: حافظ الثشة الملكية. وقد أشير إليه باختصار بعبارة Aqansan انظر:

- Perruchon: Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Ba'eda Maryam, p.49. Taddesse Tamrat , The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, p.66. see also Manfred Kropp: op., cit., p.36.

3 - استطاعت هذه الأسرة من قوة نفوذها منح بعض الأراضي لأفراد الشعب والكنيسة. وهو ما يعني تمتع هذه الأسرة بمكانة عالية قبل تولي (يكوتو أملاك) الحكم في عام 1270م.

4 - أشار بعض الباحثين إلى أن الحكام في عصر (ودم أرعد) قويت شوكتهم خاصة عندما أحسوا ضعفًا من الحكومة المركزية. واستمر هذا التصاعد في قوة بعض حكام الأقاليم إلى أن تجرأ أحد حكام عائلة إيجازي على مهاجمة العاصمة تاجولات في غياب ملكها. ورغم أن النجاح لم يحالفه في الاستيلاء عليها إلا أن الإمبراطور لم يجرؤ على عزله من

ولم يكن الإمبراطور (عمدا صهيون الأول) هو أول أباطرة هذه الأسرة الذي يدرك خطورة خروج السلطة اللا مركزية من سلطة الحكومة المركزية. ورغم مشاكله وحروبه المتعددة. فقد كان أول من حاول الإصلاح الإداري. فبدلًا من مخاطر الاشتباك المباشر مع حكام المقاطعات، اختار طريقًا غير مباشر وعالج مشاكله بتقوية نظام الرقابة حول النظام الإداري بصفة عامة وحكام المقاطعات خاصة ليقوض مصادر قوة طبقة النبلاء. ولذلك فقد استطاع بسط سيطرته ونفوذه على هؤلاء الحكام الذين هددوا وحدة المملكة[1]. ونجحت حملاته في فرض إرادته على حكامه المحليين. ما جعله يحي ذكرى نجاحة في التيجري من خلال منحه أرضًا لدير دير حيق Dabra-Hayq بقوله: "إن الله أعطى لي في يدي حاكم أنتاريا. وكل جيشه وأتباعه. وأقاربه. وكل أراضيه". وهذا يدل على تمكن (عمدا صهيون) من إخضاع السلطة الداخلية في يده. بعد أن كان هناك العديد من الأسر القوية التي تمتعت بنوع من الحكم الذاتي[2]. وتذكر المصادر الحبشية في عصره أنه قام بتعين بعض الحكام الجدد الذين ارتفعت درجة ولائهم للمملكة الحبشية[3]. كما أقام له مقرًا ثابتًا في معظم أقاليم المملكة التي ارتفعت

منصبه. وهو أمر يؤكد بما لا يدع مجالًا للشك الضعف الشديد للحكومة المركزية والقوة الملحوظة لذلك الحاكم. للمزيد انظر:

- Taddesse Tamrat: The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, pp.63-67.

1- Mordechai Abir: op., cit., pp.56-57.

2 - يذكر أن عمدا صيون استخدام القوات العسكرية المحلية في قمع هذه الثورات العديدة التي قامت ضده. كما بعث الإمبراطور دواد القوات العسكرية لإقليم التيجري لقمع التمرد المحلي الذي قام به يهود الفلاشا انظر:

- David Kessler: The Falashas: a short history of the Ethiopian Jews, London, 1996,p.23. see also Taddesse Tamrat ,Church and State in Ethiopia, pp.73-74.

3 - ولم ينس قط أن يعين واليًا في كل أرجاء إثيوبيا" انظر:

-Manfred Kropp: op., cit., p.6.

فيها حدة الثورات المناهضة لحكم الأسرة[1]. فضلًا عن قيامه بتعيين موظف أطلق عليه لقب "ميسلاني"[2].

ولم يكتف الإمبراطور بذلك، بل قام بتوزيع المسؤوليات العديدة التي كان يتولاها فرد واحد في المملكة الحبشية، إذ كان يعيد توزيع الألقاب الإدارية والسياسية طبقًا لرغباته واحتياجاته خاصة في حالة حدوث تمرد من أحد حكامه[3]. فعلى سبيل المثال قام الإمبراطور بتوزيع مسؤوليات (يكابا إيجاري) Ya Ihika-Igzi على عدد من الأفراد. كما عهد بمسؤولية حكم مقاطعة أنتاريا لإحدى ملكاته وهي (بلن سبا) Bilen-Saba ذات الأصل التيجري فضلًا عن بعض المساعدين التابعين لمختلف المناطق. كما أعطى إدارة التيجري كاملة لأحد أبنائه وهو (بحر سجدا) Bahr-Sagad في عام 729هـ/ 1328م[4].

وهكذا اتبع (عمدا صيون) سياسة جده (يكونو أملاك) في منح أبنائه العديد من الوظائف السياسية والإدارية في المملكة[5]. وسار على هذه السياسة معظم أباطرة الأسرة السليمانية في الحبشة طيلة العصور الوسطى، وهو الأمر الذي أدى إلى وجود بعض الاضطرابات السياسية، ويذكر النص الحبشي في عهد (عمدا صيون الأول) أن ابن

---

1 - أطلق لفظ (مرعدي- مار عادا) على مقر الملك الحبشي في إقليم أمحرة، وقد أثار هذا اللفظ تساؤل عدد من الباحثين إذ اختلفوا على دلالته هل يدل على اسم مكان ثابت أم اصطلاح يدل على المعسكر الملكي المتنقل؟ لذلك أطلق عليه البعض لفظ (مرعد داج- مرعد ويدا) انظر:

-Manfred Kropp: op., cit., p.7.

2 - ميسلاني وهو لفظ أدخله (عمدا صيون) في الحبشة وهو يعني "ممثل السلطة الملكية في الأقاليم" انظر:

- Manfred Kropp: op., cit., p.5.

3 - Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, p.97.

4- Perruchon: Histoire des guerres d'Amda Seyon, p.293.

5- في إحدى وثائق منح الأراضي في عهد الإمبراطور (يكونو أملاك) الكنسية ذكر اسم ابنه (عمدا صيون) بعد اسم الإمبراطور مباشرة بوصفه واحدًا من كبار المسؤولين في البلاط الملكي في ذلك الوقت انظر:

- Taddesse Tamrat: The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, pp.91-93.

هذا الإمبراطور الذي يدعى (بحر سجدا) جمع معظم اختصاصات ومناصب المملكة في يده. في حين كان يقبض بمهام هذه المنصب شخصان في عام الحرب عام 1332م[1].

ورغم المحاولات الكثيرة الأولى في الإصلاح الإداري في عهد (عمدا صيون)، إلا أنها كانت غير كافية لتقويض قوة مؤسسة النظام الإداري والعسكري القديم. فكان المفهوم الأساسي لهذه الإصلاحات بالوسيلة المعتادة "فرق تسد". كما اعتمدت أيضًا على قوة الإمبراطور الذي يساعده نظام معقد من عمليات الرقابة، وقدرته على ممارسة سلطاته العليا، فضلًا عن قدرته على تعبئة الجيوش الكبيرة في وقت قصير نسبيًا[2].

ورغم أن إنجازات الملوك الأقوياء الذين جاءوا بعد (عمدا صيون الأول) كانت قليلة، إلا أنهم حاولوا مواصلة سياسته. فقد سيطر الحكم الملكي على النظام الإداري الذي حاول إصلاح التدهور في الحبشة من خلال إصلاح الإدارة والنظام العسكري فضلًا عن الكنيسة[3]. ولكن على المدى البعيد أدت إصلاحات (عمدا صيون) - بعد موته - إلى تقوية النظام القديم عندما أصبحت الإدارة الجديدة منغمسة تدريجيًا في النظام الإقطاعي القديم[4].

---

1 - وهذه المناصب التي جمعها (بحر سجدا) هي (مشكلا بحر) Ma'ikala-Bahar (وهو أحد الألقاب الرئيسة التي كان يحملها هذا الأمير، وهو يشير إلى تلك المناطق البحرية التي تشمل المنطقة بين مأرب Marab والبحر الأحمر. وقد ذكر بعض الباحثين أن حامل هذا اللقب اختصت مسؤولياته بالعلاقات القائمة بين البلاط الملكي والمناطق الساحلية، لذلك فهو يحمل أيضًا لقب (Bahr-Nagash)– كما حمل هذا الأمير العديد من الألقاب منها: حاكم أنتاريا Imana – حسجوا - Hasgwa أقاصان Agaha-Sansan - تاوزات (Tawazat) انظر:

- Manfred Kropp: op., cit., p.5.

2- Mordechai Abir: op., cit., pp.53-55.

3 - Ibid., pp.58.

4 - Ibid., p.56.

الفصل الثاني

النظام الإداري في العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية

1- التقسيمات الإدارية .
2- المناصب الإدارية .

ارتبطت الإصلاحات الإدارية في الحبشة منذ عصر (زرء يعقوب) باسمه، سواء في حكومة المملكة المدنية أم العسكرية أم الديني؛ إذ كان هدفه الأول تقوية جهاز الحكم الملكي في المملكة بعد ما بلغ درجة عالية من الضعف في عهد من سبقوه (بعد عصر عمد صهيون الأول)، لذلك فقد أراد أن يحقق نوعًا من المركزية في المملكة الحبشية، وذلك بمحاولة إزالة قوة حكام المقاطعات، لذلك اتجه إلى تغيير العديد من الحكام الجدد في الإدارة الإقليمية بمسؤولين من اختياره وهم الذين ارتفعت لديهم درجة الولاء للإمبراطور. ولتحقيق ذلك اتبع (زرء يعقوب) عدة أساليب للسيطرة على هذه المقاطعات المختلفة ومن هذه الأساليب ما يأتي تفصيله على النحو التالي:-

1- التقسيمات الإدارية:

قام (زرء يعقوب) بتقسيم المملكة الحبشية إداريًا إلى ثلاث دوائر كبرى، وذلك على النحو التالي:-

الدائرة الأولى:

وتتكون من مقاطعات شمال الحبشة على جانبي نهر Mareb، وقد اشتركت جميعًا في الدين واللغة والثقافة؛ إذ اشترك سكان هذه الدائرة في التحدث باللغة التيجرية، وكانت هذه المقاطعات تحكم بواسطة الحكام الوارثين من العائلات القديمة فقط، وحكمها من بعدهم أبناؤهم. وقد التزام هؤلاء الحكام بدفع الجزية للإمبراطور وأداء الخدمة العسكرية متى طلب منهم ذلك، وفي مقابل ذلك كانوا يحكمون مقاطعاتهم بسلطة كاملة بعيدة عن سلطة الإمبراطور. كما تولوا أحيانًا مناصب القضاء في المناطق العامة. لذلك فقد كان ولاء سكان هذه المقاطعات إلى حكامهم أكثر من ولائهم إلى الإمبراطور[1].

الدائرة الثانية:

---

1 - Mordechai Abir: op. cit, pp.52-53

وتضم الجزء الأكبر من المملكة النصرانية. إذ ضمت الأراضي التي استولى عليها الإمبراطور عن طريق الغزو. لذلك تعددت الثقافة العامة لسكان مقاطعات هذه الدائرة واختلفت من مقاطعة إلى أخرى. وكانت درجة اتحاد هذه الثقافة تزداد كلما اقتربنا من عاصمة المملكة. ويذكر أن هذه الدائرة تميزت بأنها ضمت كثيرًا من الأراضي الصالحة للزراعة[1]. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المقاطعات حكمت من قبل عائلة الإمبراطور وضباط الجيش وبعض رجال الدين والنبلاء الذين ارتفعت لديهم درجة الولاء للإمبراطور. وكان في استطاعتهم تحمل نفقات هذا التعيين. لذلك فقد تمتعوا بنفوذ كبير داخل مناطق حكمهم[2].

الدائرة الثالثة:

وقد شملت هذه الدائرة المقاطعات التي تضم أراضي الحاميين الرعويين وبعض المزارعين الزنوج. فضلًا عن بعض الأراضي الخارجة عن الهضبة. أي إنها تتألف من جميع الأراضي الواقعة خارج حدود سيطرة الإمبراطور المباشرة. ولكنها تعد ضمن الحدود السياسية للمملكة. لذلك فقد كانت سلطة الإمبراطور فيها سلطة اسمية. وقد تمتع حكامها بالحكم الذاتي رغم اعترافهم بسلطة الإمبراطور[3]. ولكن حتى مثل هذه السلطة الاسمية تتوقف على قدرة الإمبراطور على إجبار

1 - Ibid, pp.45-46.

2 - Richard Reush (D.D): op., cit, p.34 see also Taddesse Tamrat: op., cit., pp.96-97.

3- هناك بعض الادعاءات من قبل عدد من الباحثين أن الأباطرة السليمانيين لم يدمجوا هذه المقاطعات ضمن الحدود الإدارية للمملكة الحبشية. فقد أقاموا ضدها الحروب وقاموا بسلبها ونهبها ونفي العديد من سكانها. وهناك من يورد بعض الأدلة على انعزال هذه المقاطعات عن المملكة الحبشية كليًا خاصة في عهد الإمبراطور لبنا دنجل حينما تقدم إليه أحد حكام القرى بطلب إرسال بعض الرهبان إلى بلدته لتعليم الناس تعاليمهم الدينية. إلا أن الإمبراطور رفض هذا الطلب بحجة أنهم استعانوا من قبل ببعض الرهبان والكهنة السريانيين. انظر:

- Bruce: op, cit, p.58 see also Alvarez: op. cit , p.461.

هؤلاء الحكام على الطاعة عن طريق دفع الجزية والحضور له طوعًا. إذ يخبرنا الأب (الفاريز) أن هذه المقاطعات اختصت بتقديم العدد الكبير من الخيول خاصة في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي. فضلًا عن تقديم جنود المشاة الذين بلغ عددهم أكثر من خمسة آلاف جندي كل عام[1].

أما الإمارات الإسلامية حول هرر وعلى طول الساحل فرغم إدراجها ضمن هذه الدائرة. إلا أنها وضعت بمعزل منفصل عنها. فقد رفضت هذه الإمارات الاعتراف بالإمبراطور الحبشي سيدًا على بلادهم. وحتى بدايات القرن السادس عشر الميلادي لم يكن الأباطرة قادرين على استغلال الضعف وانشقاق المسلمين وتأسيس سيطرة كاملة على الساحل. حتى عندما انتصر الأحباش المسيحيون في بعض المعارك رفض الجيش الحبشي الاستقرار هناك. ويعد أقصى انتصار لهم هو نجاح بعض الأباطرة الأحباش في إجبار حكام الإمارات المسلمة على الاعتراف بسلطة الإمبراطور ودفع الإتاوة له. ورغم ذلك فقد كان هدف هؤلاء المسلمين يتركز بصورة رئيسة على مقاطعات الدائرة الثانية حيث حاولوا مرارًا استغلال ضعف البناء الإداري والعسكري الحبشي هناك[2].

وعلى الرغم مما سببه نظام الإمارات من عدوات وحروب. لكنه ساعد على رقي المدن وازدياد مراكز الحضارة. فكان كل حاكم يجمع في قصره القضاة ورجال الدين والأدب مجتهدًا في ترقية حضارة ولايته. وقد انتقلت الحياة الحضارية بفضل هذا النظام رويدًا رويدًا من مراكزها القديمة في لاستا إلى المدن الجديدة في أمحرا وتيجري ودبر برهان[3]. كما ساعد هذا النظام على ازدياد أهمية المدن والثغور. وازدادت هذه الأهمية بمرور الزمن حتى صارت لبعضها شخصية

1 - Alvarez: op. cit ,p.429.

2 - Jones and Monroe: op. cit , pp.48,67.

3 - David Mathew: op , cit, p. 63.

واضحة مميزة لها قوامها مثل إقليم أمحرا وساحل البحر وتيجري. كما أصبحت الثغور تؤدي واجبًا دينيًا مقدسًا وهو صد المسلمين والوثنيين عن المملكة الحبشية[1].

وقد ذكر بعض الباحثين في هذا المضمار أن هذه الدوائر الثلاث ضمت حوالي ثلاث عشرة مقاطعة أو ربما يزيد قليلًا. وقد قسمت هذه المقاطعات إلى أقسام إدارية صغيرة، وهو ما يطلق عليه "الأقاليم" وهي التي قسمت بدورها إلى عدة مدن وقرى[2].

---

1 - Reignald Coupland : East Africa and its invaders ,Oxford ,1928, p.35.

2 - Richard Pankhurst: History of Ethiopian Towns, p.63.

2- المناصب الإدارية:

وإلى جانب الإمبراطور، وجد عدد من كبار الموظفين مهمتهم مساعدته في شؤون الحكم والإدارة، ومن هؤلاء الموظفين الكبار:-

أ- حكام المقاطعات والأقاليم:

يمثل حاكم المقاطعة السلطة الحبشية في مركز كل مقاطعة، وهو بمكانة ممثل أو نائب للإمبراطور فيها، كما يعد رئيسًا للجهاز الإداري ومسؤولًا عن ضمان استمرار ولائها للإمبراطور وتأمين العدل والأمن للمواطنين. وقد مارس هؤلاء الحكام صلاحيات إدارية وعسكرية وقضائية، وأشرفوا إشرافًا مطلقًا على الشؤون الإقطاعية. وكثيرًا ما تضاربت صلاحياتهم مع القضاء، إذ كان من سلطاتهم أن يأمروا بفرض عقوبات فورية تصل إلى حد الإعدام دون محاكمة ومن غير إثبات ولا دعوى[1].

ألقاب حكام المقاطعات:

اختلف الباحثون حول الألقاب التي كان يحملها حكام المقاطعات في الحبشة، فبينما يؤكد كثير منهم أنه كان يطلق عليهم – الحكام - لقب "نجاش" الذي أورده السير وليم بدج على أنه بمعنى حاكم مقاطعة، إلا أننا نجد أن هذا اللقب اختص به حاكم إقليم جوجام، كما أطلق عليه أيضًا لقب "أبجاز" والذي خصه بلندل بحاكم مقاطعة على الحدود مع قبائل الجالا، كما يضيف أن مكانته مساوية لرتبة "الفيتاوراري" وهو المشرف على مقدمة الجيش الحبشي، بينما أطلق عليه البعض الآخر لفظ " كنتيبا" إذ يورده السير بدج بمعنى مدير أو محافظ بالمفهوم الحديث، ويخصه بلندل أنه حاكم مقاطعة حماسين، ثم حاكم جوندار فيما بعد[2].

---

1 - Peter L. Strauss: op, cit, p.10.

2- Blundell: op.cit., pp.508-509 see also Budge , op, cit , pp.580-581

مراسم تعين حكام المقاطعات:

اعتاد الأباطرة الأحباش إجراء مراسم تعيين حكام المقاطعات عند تتويجهم حكامًا على المقاطعات المختلفة، وتجري هذه المراسيم في سوق العاصمة: إذ يعلن أحد موظفي البلاط الإمبراطوري بأعلى صوته اسم الحاكم الجديد في اجتماع كبير حين يقول: "اسمعوا- اسمعوا لقد عينا عبدنا فلانًا حاكمًا لإقليم كذا". فتقرع الطبول ويرفع الحاضرون صوتهم ترحيبًا وتهنئة ويلبس حلقة من ذهب ويركب أحد خيول الإمبراطور، كما يسمح له بالدخول إلى الإمبراطور فيرتمي على الأرض ويقبل يده[1].

وإزاء تقديم الحاكم لفروض الطاعة والولاء السابقة يبدأ الإمبراطور في منحه العديد من الهدايا وأولها الزي الخاص بالحاكم والذي يطلق

የሰመዩ : በዐር : ሾተል : እምሀገረ :
ዳሞት ። ወተአዘዙ : ኵሉ : ሰብአ : ደዋሮ : ወባሊ ። ወየቤል
ፃመ : ዑቂኬ : ኢያምሥጥከሙ : ወኢይሑር : ኅበ : ምድረ :

عليه "الشفشفت"[2]، وهي ملابس فاخرة للغاية، وتشمل على الإشارات الملكية المحلاة في أغلبها بالفضة اختلافًا عن إشارات الإمبراطور المحلاة بالذهب، كما يمنح الطبول المحلاة بالفضة وهي التي تستخدم عند قيام الإمبراطور بزيارة المقاطعة أو إحدى القرى التابعة لها. فضلًا عن أنه يضع على رأسه تاجًا من الذهب[3]. كما يمنح له أيضًا عدد من

1 - Ronland Oliver: The Middle Age Of African History, Oxford, 1968, p.36.

2 - الشفشفت: المعنى الأساسي للكلمة هو القناع، ويبدو أنه قناع رقيق شفاف، وهذا المعنى قريب في اللغة العربية حيث يقال ثوب شفشاف أي لم يحكم عمله، والشف ستر رقيق، انظر بطرس البستاني، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، ص ص 472-472، مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص 175.

3 - "وقد نصب هؤلاء جميعًا بالإراس ورق (إكليل الذهب) وبالشفشفت". انظر:

- Perruchon:Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam,p.112.

الغلمان، يتفاوت عددهم بحسب منزلة الحكام وأهميتهم. ثم يقاد الحاكم بعد ذلك إلى الخارج فتستقبله الطبول ثانية. فيركب بغلته وحوله أعلامه حتى الأبواب الخارجية للعاصمة في طريقه إلى مقر منصبه[1].

على أن أهم هبات الإمبراطور للحاكم منحه إياه أرضًا كمكافأة له على ما يقوم به من أعمال، إذ يقوم الأخير بدوره بمنحها إلى رؤساء المدن والقرى لزراعتها والصرف من عائداتها على شؤون الإدارة المختلفة[2]. كما كان من عادة الإباطرة مكافأة حكام المقاطعات ممن أثبتوا درجة عالية من الولاء للإمبراطور، فضلًا عن بعض الحكام الذين نالوا رضا الإمبراطور، وذلك عن طريق منحهم العديد من الأموال والملابس الفاخرة وإقطاعهم المزيد من الأراضي الصالحة للزراعة، فقد منح الإمبراطور (زرء يعقوب) حاكم هدية الذي يدعى محمد "ملابس فاخرة حين أدرك كل نواياه الطيبة"[3].

كما منح (بليد ماريام) بعض الحكام "خمسين قطعة من الحرير الأزرق كي يلبسوا ويتزينوا، لأنهم كانوا حديثي العهد". وذلك حينما أراد أن يمضي إلى أرض كلانتو[4].

أما عن مدة تعين هؤلاء الحكام في مقاطعاتهم كمحافظين، فقد كانت مدة غير ثابتة، فمن المعتاد للإمبراطور إجراء تغيير في هذه المقاطعات كل سنتين أو ثلاث سنوات أو ست سنوات، وأحيانًا مرتين في السنة. فيشهد (ألفاريز) على أن هذه العلاقة كانت مثل عقد بين الطرفين يحدد غالبًا بحوالي ست سنوات[5]. لذلك لم يكن هؤلاء الحكام

1 - زاهر رياض: العصر الأول من الأسرة السليمانية، ص 107-108.

2 -Alvarez: op, cit , p.392.

3 - فقلده الملك منصب جراد هدية حين كان في دبر برهان، ومنحه ملابس فاخرة" انظر:

- Perruchon: op ,cit , p.19.

4 - Ibid, pp.65,158.

5 - Alvarez: op , cit , p.114.

ثابتين - نسبيًا - في حكم مقاطعاتهم رغم رغبة بعضهم البقاء فيها لتأسيس حكم ذاتي أو حكومة استقلالية. مثلهم في ذلك مثل الحكام الوراثين[1].

العلاقة بين الإمبراطور وحكام المقاطعات:

أدرك (يكونو أملاك) أهمية حكام المقاطعات في المملكة الحبشية. إذ تشير جميع المراجع المتاحة إلى الدور الذي قام به حكام إقليم شوا في عملية انتقال السلطة إلى (يكونو أملاك). ولذلك فقد وضع العديد من القواعد التي تحدد العلاقة بين الإمبراطور وبين هؤلاء الحكام والتي أعطت لهم نفوذًا قويًا في مقاطعاتهم. إذ كانت سلطاتهم مماثلة إلى حد كبير لسلطة الأباطرة أنفسهم ولكن في داخل مقاطعاتهم فقط. فيحتفظ الحاكم منهم بلقب "الملك" ويكون له عرش مماثل لعرش الإمبراطور فضلًا عن الإشارات الملكية المعتادة[2]. وذلك في مقابل التزام هؤلاء الحكام بدفع الجزية وتأدية واجباتهم الإقطاعية الأخرى. فضلًا عن الحضور فورًا على رأس قوتهم العسكرية عندما يطلب منهم ذلك[3]. ولقد دان أغلب ملوك وأمراء الأحباش بالطاعة والولاء للإمبراطور، وأعلنوا تبعيتهم له. ورضوا بلقب "الملك" وهو لقب تابع للإمبراطور[4].

ወለባሕር ፡ ነጋሽሰ ፡ አዕበዮ ፡ ወአልዓሎ ፡ ፈድፋደ ፡ እምኵሎሙ ፡ ሥዩማን ፡፡ ወወሀበ ፡ ከመ ፡ ይምልክሙ ፡ ለሥዩመ ፡ ሲሬ ፡ ወለሥዩመ ፡ ሰራዌ ፡፡ ወለጅቱሂ ፡ ሐሴማን ፡ ከንቲባ ፡ ወለሥዩመ ፡ ቡር ፡ ዘንተ ፡ ኵሎ ፡ ወሀበ ፡ ወአሰፈኖ ፡ ላዕሌሆሙ

1- Mordechai Abir: op, cit, p.54.

2 - Coulbeaux: op, Cit, pp. 84-85.

3- Mordechai Abir: op, cit,p.46.

4 - زاهر رياض: المرجع السابق، ص 102.

على أن هؤلاء الحكام لم تكن مكانتهم جميعًا على درجة واحدة لدى الأباطرة سواء على المستوى السياسي أو على المستوى الشخصي. إذ نجد أن أهم هذه المقاطعات كانت تلك التي تتمتع بموقع استراتيجي في المملكة الحبشية، ويعد ساحل البحر على مدى تاريخ الحبشة هو العامل الرئيس في ثرائها الاقتصادي أو عزلها نهائيًا عن العالم الخارجي، لذلك رفع الأباطرة حاكم هذه المقاطعات على نظرائهم ممن تقع مقاطعاتهم داخل البلاد ووضعوهم فوق كل الولاة.[1]

كما قلد الإمبراطور (زرء يعقوب) حاكم سلطنة هداية محمد ووالد زوجته (إيليني) منصب "حاكم مقاطعة" بعد أن أثبت ولاءه في مساعدة الإمبراطور ضد الثائر شهاب الدين أحمد بدلاي حاكم سلطنة عدل، وذلك رغم أنه لم يأمن لتفكيره في البداية لأن كليهما (بدلاي وجراد هدية) مسلمان[2].

كما اهتم الأباطرة السليمانيون بالسلطنات الإسلامية لما كانت تسببه من اضطرابات للمملكة الحبشية خاصة لسيطرتها على ساحل البحر، ولذلك حاول هولاء الأباطرة السيطرة عليها بكافة الطرق المتاحة لديهم آنذاك. إذ قاموا بتعيين عدد من الموظفين يخصعون لهم مباشرة، ويتلقون أوامرهم من الحكومة، ويعملون على تنفيذها ويرفعون تقاريرهم إلى الإمبراطور في كل ما يرونه مخالفًا لأوامره، وقد أطلق على هؤلاء الموظفين لقب "جراد" وروعي فيهم أن يكونوا من طبقة الضباط الذين يحق لهم مصادرة أملاك من لا يخضع لأوامرهم[3].

1 -"أما الباحر نجاشي (حاكم البحر) فقد عظمه ورفعه أكثر من كل الولاة. ومنحه السيادة على حاكم سيري، وحاكم سراوي، وعلى كل الكنتيبا في خماسين، وعلى حاكم بور. كل هذا أعطاه له. وجعله حاكمًا عليهم" انظر:

- Perruchon: op, cit , pp.46-47.

2- Perruchon: op, cit , pp.59-60.

3 - زاهر رياض: المرجع السابق، ص 54.

كما كان هناك علاقات من نوع آخر بين الأباطرة وحكام المقاطعات ارتبطت من منظور بعض الباحثين بأنها علاقات أشبه ما تكون بالروابط العائلية. إذ كان يتم إسناد مهمة تربية أبناء الأباطرة في إحدى هذه المقاطعات خاصة تلك التي اتصف حاكمها بالأمانة والنزاهة والجد في العمل. وفي هذا السياق تشير المصادر الحبشية في عهد الإمبراطور (بئيد ماريام) إلى أمانة حاكم مقاطعة جوجام والذي يدعى (أنبسا داويت) إذ جاء للإمبراطور بكثير من أموال الضرائب. و"باركه الملك وسلمه ابنه (الإسكندر) ليكون له ولدًا، ويكون هو له أبًا، وألحق ذلك الطفل - (الإسكندر) - في حضانته. ففرح أنذاك بهذا الأمر". وفي مقابل ذلك طلب هذا الحاكم المال والأرض لتربية ذلك الطفل[1].

وفي هذا الصدد أيضًا يذكر النص الحبشي في عصر الإمبراطور (الإسكندر) أنه عهد بتربية ابنه (ناؤود) إلى جراد جيتز (ماتيوس)[2]

ወሰበ ፡ ተፈጸመ ፡ መዋዕለ ፡ ክረምት ፡ አዘዘ ፡
ለማቴዎስ ፡ ገንዘ ፡ ገራድ ፡ ከመ ፡ ይስድዶሙ ፡ ለሕ
ፃናት ፡ ምድረ ፡ ገንዘ ፡ [ወ]ይትሐፀኑ ፡ በሀየ ፡ በ
ከመ ፡ ሕጎሙ ፡ ወሥርዓቶሙ ፡ ዘትካት

(1)

---

1 - "أما المال فأعطيه كل ما يلزمه، ولكل مراسمه. فلتعطيني فقط أرضًا من أجله أضع له فيها أغنامًا وثيرانًا. فوافق الملك". انظر:

- Perruchon: op, cit , pp.160-161.

2 - يذهب بعض الباحثين إلى أن ماتيوس كان الحارس الشخصي للملكة رومانا ورق، ثم أصبح حاكمًا لجيتز، وعندما أوكلت إليه مهمة تربية ورعاية أولاد الأباطرة ومنهم أولاد بئيد ماريام، لذا فقد ارتبطت هذه العادة بحاكم جيتز في القرن الخامس عشر الميلادي. للمزيد انظر:

- Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, p.277.

ወእምድኅረዝ ፡ ተምህረ ፡ ተፅዕኖ ፡ ፈረስ ፡ ወነጺፈ ፡ ቀ
ስት ፡ ወንዲወ ፡ አራዊት ፡ ወዘኵሎ ፡ ሥርዓተ ፡ ፀብእ ፡
ከመ ፡ ልማደ ፡ ደቂቀ ፡ ነገሥት ።

አኀዘ ፡ ይሑር ፡
አህጉራተ ፡ ወአዕፃዳተ ፡ ለአስተጋብኦ ፡ አባግዕ ፡ እለ ፡
ተዘርዎ ፡

وأخيرًا فقد اجتهد الملك (لبنا دنجل 914-947هـ/ 1508-1540م) جهد طاقته في تربية وتنشئة أولاده عسكريًا كما تربى هو أيضًا على ذلك[2]. إذ أولى اهتمامًا خاصًا لتدريب جلاديوس Gelawdewos (947-967هـ/1540-1559م) على هذه الفنون، ولذلك نشأ محبًا للخيل متقنًا لفنون الرمي والصيد واستخدام السيف وهو ما أكده النص الحبشي[3].

وتجدر الإشارة إلى أن حكام المقاطعات لم يكن لهم أي دور سياسي في المملكة الحبشية في فترة انتقال السلطة من إمبراطور إلى آخر. إذ لم تشر المصادر الحبشية في كافة عصور الأسرة السليمانية إلى أي دور لهم في اختيار خليفة الإمبراطور القائم على العرش. فقد اعتاد الأحباش عامة على انتقال السلطة من الأب إلى ابنه أو إلى أحد أفراد العائلة

1- "وبعد مرور فصل المطر أمر ماتوس جراد جيتز أن يأتي بأطفاله إلى هذه المحافظة حتى يعيشوا طبقًا لعادات ومؤسسات الماضي". انظر:

- Perruchon:Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.362.

2 - كما تربى لبنا دنجل نفسه كذلك من قبل والده ناؤود بن أدماس (900-914هـ/ 1494-1508م). انظر:

- Taddesse Tamrat: op, cit , pp.274-175.

3 -"من بعد ذلك تعلم ركوب الخيل والرماية وصيد الحيوانات وكل فنون الحرب كعادة أبناء الملوك". انظر:

W. Conzelman: op, cit ,pp7-8.

منال عبد الفتاح محمود عبد الله: المرجع السابق، ص24.

الحاكمة الموجودين في أمبا جيشن، فقد تركوا هذا الدور إلى كبار رجال البلاط والحرس الملكي فضلًا عن ما عرف بمجلس الأوصياء[1].

مراسم استقبال الإمبراطور:

كان من عادة الإمبراطور الخروج في جولات تفتيشية لتأكيد سلطانه وإعطاء أوامره ومراقبة تنفيذ تعليماته ويعاقب كل من حاول الخروج عن طاعته[2] بمقاطعات المملكة المختلفة. وكان على حكام المقاطعات حسن استقبال الأباطرة في تلك المقاطعات، بل كان على حكام المقاطعات التي كان يمر بها في طريقه حسن الضيافة والاستقبال عند المرور عليها. وقد أفاضت المصادر الحبشية في تنقلات أباطرة الأسرة السليمانية بين مختلف مقاطعات وأقاليم المملكة الحبشية في تلك الفترة، وحسن استقبال الشعب بمختلف طوائفه لهم[3]. ومن ذلك أنه عندما ذهب الإمبراطور (زرء يعقوب) إلى أرض أكسوم "استقبله كل أهل المدينة، والكهنة حين وصل إلى حدودها بفرح شديد، وكذلك الحكام، وكل جنود الشوا التابعين لمدينة تجري ممتطين خيولهم، وممسكين بالقوس والسهم. ونساء كثيرات يقمن بالرقص فرادى حسب عاداتهم القديمة"[4]. ورغم تأسيس الإمبراطور عاصمة سياسية ثابتة في المملكة، إلا أنه لم ينقطع عن عادات أسلافه من الأباطرة للقيام بهذه الجولات[5].

ولم يكن (ماريام) أقل اهتمامًا من أبيه بالتنقل بين مقاطعات وأقاليم المملكة المختلفة، إذ تشير المصادر إلى كثرة تنقلات الإمبراطور

1 - Sergew Hable Selassie: op ,cit, pp. 266-267.

2 - Alvarez: op. cit ,p.266.

3- Perruchon:op,cit, pp. 127-128.

4 - Perruchon:Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam,p.49.

5 -"وظل لمدة عامين ينتقل من أرض فرجو، ويعود إلى دبر برهان، وإلى دبر مطمق، وإلى أماكن أخرى بالقرب منها، وهكذا ظل يذهب ويعود سريعًا". انظر:

- Perruchon: op, cit, p. 79.

بدرجة كبيرة، إذ يكون حينًا بهدف، وأحيانًا أخرى يكون مجرد تقليد لأسلافه، وقد طغى ذلك على شخصيته، كما أنه حاول أن يكون إمبراطورًا ذا شأن كبير فأصدر بعض الشرائع لزيادة الاهتمام باستقبال الإمبراطور من قبل موظفيه. فالنص يذكر أن الإمبراطور ذهب إلى أرض جيسي وكان في شرف استقباله الصحافي لام التابع لأمهرة في مكان معد مسبقًا للاستقبال مع كثير من الطعام والشراب، وحين قضى ليلته هناك تمت استضافته بكثير من الولائم[1].

وقد ازدادت تنقلات الإمبراطور إلى الدرجة التي جعلت الشعب يستاء من تكرارها، حتى ورد إلى الإمبراطور أن هناك من يلعنه بسبب كثرة هذه الزيارات[2].

وقد زاد اهتمام الإمبراطور بالأمور الشكلية؛ إذ كان جل اهتمامه بمراسم الاستقبال، لذلك كان يرسل مجموعة من موظفيه ليكونوا في شرف استقباله، فبينما هو مقيم في "أرض يرح" أرسل "إلى دبرا نجواد جواد لكي يستقبلوه بالكثير من المراسم، كما سنها أبوه (زرء يعقوب)، واضعين الأكاليل على رؤوسهم، ومرتدين زينتهم، وراكبين على فرس المتوحش بدلاي، وممسكين برمحه ودرعه"[3].

ورغم الاهتمام الزائد للإمبراطور (ماريام) بزيارته المتعددة للمقاطعات الحبشية، إلا أن خليفته الإمبراطور (إسكندر) كان قليل الزيارات لها، ولم يهتم مثل أبيه بمظاهر الاستقبال والولائم المعدة له.

1 -"وسار مرة ثانية من هناك (دبر برهان)، ووصل إلى أرض منزهل، التي تسمى ماعكل سفرا. وقام من هناك ووصل إلى أرض مسر جدل، وقضى السبت فيها. وفي يوم الاثنين قام وجاء إلى أرض جيسي، وعندئذ استقبله صحافي لام أمهرا مع مكان استقبال وكثير من الطعام والشراب، وبات هناك، واستضيف بولائم كثيرة". انظر:

- Perruchon: op, cit, p. 116.

2 - Perruchon: op, cit, pp.116-117

3-Ibid, pp.116-117,150.

فقد اهتم بالمرور على أقاليم المملكة لمراقبة تنفيذ تعليماته والاطلاع على أحوالها كما فعل جده (زرء يعقوب) كما يشير النص الحبشي[1].

أما في عهد الإمبراطور (لبنا دنجل) فقد اختلفت الأوضاع تمامًا. فقد ذكرت المصادر الحبشية أن هذا الإمبراطور كان كثير التنقل بين أرجاء مملكته ولكن ليس لنفس السبب - لمراقبة أحوال الحكام والعباد - وإنما هربًا من الغزوات المتتالية للإمام أحمد بن إبراهيم الجران. وتشير المصادر الحبشية إلى أن الإمبراطور "ما سلم من ملاحقة جران"[2]. كما يعدد النص كثرة القرى والمدن التي كان يهرب إليها الإمبراطور[3]. حتى أنه كان يلجأ في النهاية إلى "بلدان مملكته لكي يستنفر جيشًا لخوض القتال"[4].

وقد ساعد حكام المقاطعات طائفة من الموظفين لإدارتها، ارتبط بعضهم بهم مباشرة واستقل عنهم البعض الآخر، ما أعطى ضمانًا للإمبراطور على وجود سلطات متعددة في المقاطعة تحد من نفوذ الحاكم وتمنعه من التفكير في التمرد. كما دعمت هذه القوى المناوئة أو المنافسة للحاكم إيجاد ديوان المقاطعة، الذي يشير على الحاكم في الأمور المهمة. ويتألف هذا الديوان من كبار الضباط والموظفين والنبلاء. كما كان للحاكم حاشية ضمت وكيله أو مدير مكتبه الخاص وكاتب الرسائل وحامل الأختام وأمين الصندوق وحامل السلاح

1 - Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.355.

2 - Manfred Kropp: Dis Geschichte Des Lebna-Dengel, p. 13

3 - Ibid, pp.13-15.

4 - ولما سمع الملك المسيحي بغارته (أحمد الجران) على البلد ومحاصرته وأسره ماشية وأناسًا غنائم، أسرع في ندب سفير إلى كل بلدان مملكته لكي يستنفر جيشًا لخوض القتال". انظر:

-Ibid, pp.7-8.

والتشريفات وغيرهم من الموظفين الأقل شأنًا[1] ومن أهم هؤلاء الموظفين:-

ب- منصبا الأدك شنطاط والملكينا (نائب አደክሸትንት፣ الإمبراطور في المقاطعة):

وهو من المناصب التي استحدثها (زرء يعقوب) للمساهمة في إدارة وتسيير أمور المقاطعات الحبشية، وهو يمثل أحد نواب الإمبراطور في المقاطعة، وهو بذلك يعلو فوق منصب الملكنيا الذي أطلق على حاكم المقاطعة. ويذكر النص الحبشي على منصب الأدك شنطاط لفظ (أدجشنت) وهو بمعنى (أكبرتك من أجلي)[2]. ومن أهم اختصاصاته أن ينقل إلى الإمبراطور أخبار المقاطعة ويتلقى أوامره بشأنها أولًا بأول[3].

وهكذا احتل شاغل هذا المنصب مكانة كبيرة، فعند مروره على حاكم المدينة كان على الأخير أن يستقبله وهو عاري الجسد من الوسط حتى أعلى جسده، على اعتبار أنه يمثل الإمبراطور في مقاطعته الذي جاء لمراقبة أعماله، ويرى مدى استجابته لتنفيذ أوامر الإمبراطور. فإذا رضي عنه الأدك شنطاط يسمح له بارتداء أفخر ثيابه لأن هذا يمثل رضاء الإمبراطور عنه. أما إذا لم يرض عنه يظل – الحاكم - مجردًا من الثياب من منتصف جسده إلى أعلاه، ويطرد خارج قصره حتى يتم استدعاؤه إلى البلاط الإمبراطوري، وينتظر حتى يقوم الإمبراطور باستدعائه، وقد يتجاهله الإمبراطور لعدة أشهر بسبب تجوله في المقاطعات المختلفة أو متجاهلًا إياه لتأديبه، وعندما يتم استدعاؤه يمثل أمام الإمبراطور ويحاسبه، فإذا نال الرضا ارتدى أفخر ثيابه ويعود إلى منصبه، أما إذا نال سخطه فيعزل ولا يرجع إلى منصبه بعد ذلك أبدًا[4].

1 - Reignald Coupland : op. cit , p.38.

2 - Budge: op. cit. pp. 309-310.

3 - Jones and Monroe: op. cit , p.64.

4 - Alvarez: op. cit ,pp.89-97.

ونظرًا لخطورة وأهمية هذا المنصب فقد قام (زرء يعقوب) بتعيين أدك شتنت وكذلك منصب الملكينا[1] في العديد من المدن. وحرصًا منه على الاستقرار قام بتعيين بناته وبنات أخته في هذه المدن[2]. ويبدو واضحًا من خلال النص أن هذين المنصبين كانا بمثابة المنصب العام، الذي تندرج تحته مجموعة كبيرة من المناصب التي تحمل نفس الرتبة، ولكنها تختلف في التسمية حسب المدن، وقد يرجع ذلك إلى اختلاف لهجات كل مدينة عن الأخرى كما يذكر النص[3].

كما يذكر النص الملكي في عهد (بئيد ماريام) حرصه على استمرار تعيين رجال جدد في هذه المقاطعات، ولكن مع اختلاف مسمياتهم[4].

---

1 - وهو المندوب المحلي للإمبراطور في المدن وبمعنى آخر فهو الرئيس الإداري للمدينة الصغيرة الذي يوكل إليه فرض القانون بالقوة بالإضافة إلى جمع الضرائب، كما يذكر النص الحبشي أيضًا أنهم حكام على غلمان الداخل، ويشير النص الحبشي إلى أن "فمع الملكنيا (حاكم المقاطعة) يخرج ويعود هؤلاء الصغار ولا يعرفون النساء، ولا يحلقون شعر رأسهم إلا بإذن الملك ولا يلبسون ملابس (قذرة)، وإذا جاءوا إلى بيوت الآخرين للطعام أو للشراب أو للتسامر يحكم عليهم وعلى من أحضرهم بالقتل". انظر:

- Perruchon:Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.9.

2 - "عينهن أبوهن الملك في كل أرض إثيوبيا تحت إمرته في تجري دل شمرا، وفي أنجوت باحر منجشا، وفي جدم صوفيا، وفي إيفات أمتا جيورجيس، وفي شوا ورم جنيلا، وفي الداموت مدخن زمدا، وفي بجه عابال مريم، وفي جن أصناف سجدو ابنة أخت الملك، أما بقية القطر، فلم أعرف أسماء من نصبن". انظر:

- Perruchon: op. cit, pp.13-14.

3 - "وعين في المدن أدك شتنت قائلًا: يدعى في شوا راق مساربه، ويدعى في فاطجار أزاج، وجعل عامدا ميكائيل ملكنيا في كل بلاد فاطجار، ومنحته منصبًا: (هو) في دوراو وفرجلا أدمنت، وفي جر أوراري، وفي أرض جبر هيجنو، وفي وج هيجنو، وفي تجري راق مسارية، وفي قدا راق مساربه، وفي أنجوت راق مساربه. أما في أمحرا فيدعونه صحف لام، وفي جدم، وفي إيفات يدعونهم راق مساربه. وارتعد كل الشعب من هيبة حكمه، وعظم قواته". انظر:

- Perruchon: op,cit, pp.14-16.

4 - " وفي ذلك اليوم عين رجالًا اختارهم في كل المقاطعات، لأنّ كل مناصب إثيوبيا كانت من قبل في يد أبيه، أما هو فقد عين لإثيوبيا منصب البحت ودد على اليمين واليسار، ومن تحتهم جميع الولاة حسب درجاتهم: حيث يدعون في شوا صحف لام، وكذلك في

ج- رئيس المدينة أو القرية (Siyum -Shum):

وهو لقب أطلق على حاكم المدينة، وقد ذكر بعض الباحثين أنه أطلق أيضًا على حاكم مقاطعة[1]، بينما يعممه السير وليم بدج فيجعله بمعنى (حاكم)، وهو ما يجعلنا لا نجزم هل هو حاكم للقرية أو الإقليم، إلا أننا نرى أنه كان حاكمًا للمدينة التي تتبع الإقليم إداريًا وذلك استنادًا إلى ما قرره بعض الباحثين بأن الشوم Shum يخضعون مباشرة إلى حاكم المقاطعة، وكان هذا الحاكم يمتلك الطبول الموسيقية التي تستخدم في المناسبات العامة لا سيما في استقبال الإمبراطور عند قيامه بزيارته، كما كان على الشوم الخدمة في الحرب أسوة بالحكام العظام (الرؤوس)[2].

أما عن مكان إقامة الشوم فقد كان يقيم في دار تسمى (بيت نجاش -Soitan Negus- ومعناها دار الملك) وتنتشر هذه الدور في المدن المختلفة، ولا يستخدمها سوى هؤلاء الحكام الكبار الذين يحكمون باسم الإمبراطور، ويحترم الأحباش هذه الدور التي تظل أبوابها مفتوحة على الدوام لا يدخلها أحد أو يقترب منها إلا في حضرة الحاكم. وعندما يتركها لا يبقى بداخلها سوى مضاجع النوم وموقد لإشعال النار. وفي هذه الحالة لا يدخلها أي شخص مطلقًا حتى ولو كان يعاني سكرات الموت[3].

أرض أمحرا، وعين مثلهم في أنجوت، وفي قدا، وفي تجري باحر نجش، وفي بجه مدر أزماتش، وفي جوجام نجاشي، وفي الداموت صحف لام، وفي وج قاص، وفي هدية جراد، وفي جتر جراد، وفي دوارو إراس، وفي فطجار هاسجوا، وفي إيفات ولاسما، وفي جدم أقانص، ونجوش جنء". انظر:

- Perruchon: op, cit, pp.111-112.

1 - Salt: op. cit , p. 450.

2 - Paul B. Henze: op. cit , p.72.

3 - Alvarez: op. cit ,pp.89-97.

وبذكر (ألفاريز) أن هذا البيت يتكون من طابق واحد متسع جدًا، ويقوم على حراسته ستة أشخاص، يقف ثلاثة منهم في الخارج ممسكين السياط ولا يسمحون لأي أحد بالدخول إلا في وجود الحاكم، كما يقيم في الداخل ثلاثة حراس أخرين ولكنهم أخف حدة ممن هم في الخارج[1].

د- منصب الجراد:

هو اللقب الذي أعطي لحكام سلطنة هدية من المسلمين في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وكانوا ممن لهم حق مصادرة أملاك من لا يخضع لأوامرهم، يذكر أن هدية كانت تنقسم إلى تسع إمارات لكل منها جراد أو "نائب الرئيس"، وهو معين من قبل الإمبراطور نفسه وهم يخضعون جميعًا له مباشرة ويعملون على تنفيذ أوامر الإمبراطور[2]. كما يرفعون إلى الإمبراطور كل ما يرونه مخالفًا لأوامره، و قد كانت مراسم تقليد الجراد تتم في العاصمة ويصاحبها إغداق الهدايا والمنح من جانب الإمبراطور[3]. يذكر أن هذا المنصب كان - إضافة إلى مهامه الإدارية - يعد منصبًا عسكريًا في نفس الوقت[4].

على أية حال، يمكن القول إن جميع المناصب السالفة الذكر، لم يحدد لها اختصاصات ومهام ثابتة في كل عهود الأسرة السليمانية، بل عمد كثير من الأباطرة على تغيير هذه الاختصاصات تبعًا لاحتياجات الإمبراطورية ووفقًا لرغبتهم الشخصية. وعلى سبيل المثال فقد أجرى (بئيد ماريام) عدة تغييرات في اختصاصات شاغلي المناصب التي أنشأها والده (زرء يعقوب)، فقد عين "الصحافي لام"[5] في مناطق شوا وأمحرة

1 - Ibid, pp.96-97.

2 - أطلق أيضًا على هذا اللقب لفظ "أماتو". انظر:

- Alvarez: op, cit ,p.427

3 - زاهر رياض: مظاهر العلاقات، ص 54.

4 - Alvarez: op, cit, p.427

5 - وهو من المناصب المدنية، وهو أيضًا من المناصب القديمة جدًا واختص شاغلوا هذا المنصب بمهمة حصر وتسجيل ممتلكات المقاطعة من الماشية والأغنام، الأمر الذي يعكس اهتمام الأباطرة الأحباش بكل صغيرة وكبيرة في المملكة.

وأنجوت والداموت بعد أن شغله في عهد أبيه "الراق مساربه"[1]، وعين "أزماتش" في مناطق بجه مدار[2] والذي كان في عهد أبيه هو "الراق مساربه" كذلك. وعين أيضًا في منطقة فطجار منصب أطلق عليه "هاسجوا"[3] بينما كان في عهد أبيه "الملكينا" وبينما كان منصب الراق مساربه هو المسيطر في إيفات فقد تغير إلى "ولاسماع" في عهد (بئيد مريم). أما المنصب الوحيد الذي أبقى عليه بئيد مريم فهو منصب "الجراد" في هدية، كما تحول منصب "الراق مساربه" الذي كان منصبًا إداريًا إلى منصب ديني يعني "معلم الدير"[4].

وإضافة إلى ما سبق فقد استحدثت – أحيانًا - مناصب جديدة حسب مقتضيات أمور الإمبراطورية لم يكن لها وجود فيما سبق، كما يتضح من خلال استعراض هذه الألقاب والمناصب بصفة عامة، أن هناك ألقابًا تداخلت بعضها مع بعض فكان من الصعب أن يحدد لها صفة خاصة، فبعض الألقاب مزيج من اختصاصات عسكرية وأخرى مدنية، والبعض الآخر له صفات مدنية وأخرى دينية، وهو الأمر الذي أدى إلى صعوبة تصنيفها مثل لقب "أزاج"[5] الذي يعني "قاض" كما يعني أيضًا (قائد)[1].

1 -راق مساربه أو راق ماسربه: يرد هذا اللقب في أكثر من صيغة لذلك تختلف التفسيرات حوله، فيرد في بعض النصوص بمعنى "سوط" بالأمهرية، أو بمعنى "عصا الحاجب" في الجعزية، ولكن يشير بعض الباحثين إلى أنه كان موظفًا كبيرًا في البلاط، وهو مسؤول عن إعطاء إذن الدخول للإمبراطور، أو هو مدير المراسم المسؤول عن الموائد الملكية. انظر مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 13.

2 - وهي من الإمارات الصغيرة جدًا في الحبشة، وهي تمتد بمحاذاة النيل لتصل إلى حدود أمارا وأنجوت ومملكة تجري. انظر:

Huntingford: op, cit, pp.97-119.

3 - هيجنو أو هاسجوا: ليس هناك تفسير واضح لهذا اللقب، إلا أنه من الواضح أنه حاكم فاطجار في العصور الوسطى، وهو أيضًا يحمله اثنان من الأفراد. انظر مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 13.

4 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص100.

5 - أزاج: المعنى الحرفي للكلمة هو رئيس أو آمر، وهو أمير وقاض في نفس الوقت، وهو لقب يرتبط بالقضاة الأربعة المختصين بمحكمة البلاط الملكي ويبتون في الدعاوى

المدنية، وقد أصبح معناه فيما بعد "قائد". ومن هنا فقد أصبح لقبًا عسكريًا ودينيًا في نفس الوقت، بينما يذكر السير بدج أن صاحب هذا المنصب يشغل وظيفة وكيل خراج الملك ثم أصبح بعد ذلك بمعنى "ناظر أملاك الملك" أو "أمين مالي". انظر محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص377.

1 - محمد خليفة حسن: المرجع السابق، ص382.

الباب الثالث

النظام الحربي في الحبشة العصور الوسطي

1- النشأة العسكرية
2- عناصر الجيش الحبشي .
3- أقسام الجيش وإداراته .
4- الشفتا ودورهم العسكري في الحبشة .
5- دور الرقيق في الجيش الحبشي .
6- حجم الجيش الحبشي .
7- التدريب القتالي .
8- الموكب والمعسكر الإمبراطوري .
9- الأعلام والرايات في الجيش الحبشي .
10- ملابس القتال .
11- الأسلحة والمعدات .
12- ظهور البارود واستخدامه في الحروب .
13- الإقطاع العسكري {نظام الجلت Gult} .
14- المناصب الحربية .

احتل الجيش مكانة بالغة الأهمية في حياة الأحباش. فهو أداة للحكم والحرب معًا. وعماد المملكة. إذ كانت الحكومة الحبشية جيشًا قبل أي شيء أخر، وكان أغلب كبار الموظفين هم في نفس الوقت قادة الجيش. ومن هنا يمكننا القول بأن الحكومة الحبشية والجيش الحبشي في العصور الوسطى كانا وجهين لعملة واحدة. إلى جانب أن الروح القتالية كانت قد تأصلت فيهم لطول ممارستهم حياة البداوة. ويذكر أن الاهتمام بالجيش لم يكن في العاصمة وحول الإمبراطور فحسب، بل امتد الاهتمام به إلى جميع المقاطعات. فقد كان لكل حاكم من حكام المقاطعات المختلفة جيش كبير[1]. لذلك كان الجيش الحبشي سببًا من الأسباب الرئيسية في نجاح الدولة وتفوقها على أعدائها. لأنه كان يمثل عصب الحكم وإدارته في المملكة[2].

وسوف نلقي الضوء أولًا على النشأة العسكرية في الحبشة لمعرفة أهمية أهتمام الأحباش بالجيش عامة في تلك العصور.

1-النشأة العسكرية

لقد أولى الأباطرة والملوك الأحباش اهتماما بالغًا بالتنشئة العسكرية لأبنائهم. فقد اهتموا بتربيتهم على فنون الحرب والقتال وإتقانها. ولم يقتصر هذا الاهتمام على مجرد التنشئة العسكرية لأبناء الأباطرة فقط. بل امتد ليشمل أولاد النبلاء وحكام المقاطعات وأبناء الطبقة العليا وحتى الجند أنفسهم.

أ- التنشئة العسكرية لأبناء الأباطرة

تبين المصادر والمراجع التاريخية مظاهر اهتمام الأباطرة الأحباش بالتنشئة العسكرية لأبنائهم، نذكر منها اهتمام الإمبراطور يجبيا صيون

1 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea, p59.

2- G.W.B. Huntingford: The Glorious Victories of Amda Tseyon, King of Ethiopia, Clarendon Press, Oxford, 1965,p.76 see also Sergew Hable Selassie: op. cit., p.19.

(684-694هـ/1285-1294م) بتدريب أبنائه وخلفائه الخمسة على فنون الحرب وإدارة شؤون الحكم[1]. كما اهتم الإمبراطور ودم أرعد (699-714هـ/1299-1314م) كذلك بتربية ابنه وخليفته الإمبراطور عمدا صيون الأول (714-745هـ/1314-1344م) على فنون الحرب والقتال وهو ما اتضح فيما بعد في حروبه مع مسلمي بلاد الزيلع[2]. وأخيرًا فقد اجتهد الملك لبنا دنجل (914-947هـ/ 1508-1540م) جهد طاقته في تربية وتنشئة أولاده على فنون الحرب والقتال[3]. حيث أولى اهتمامًا خاصًا لتدريب جلاديوس Gelawdewos (947-967هـ/1540-1559م) على هذه الفنون، ولذلك نشأ محبًا للخيل متقنًا لفنون الرمي والصيد واستخدام السيف وهو ما يؤكده النص الحبشي[4].

ولقد أدى اهتمام هؤلاء الأباطرة بالتنشئة العسكرية للأبناء إلى تأهيلهم لقيادة الدولة الحبشية، وإدارة معاركها بعد أن أصبحوا ملوكًا لها. وقد أسهمت هذه التنشئة - إلى حد ما - في تولي أكثر ملوك هذه الأسرة للقيادة العامة للجيش الحبشي. بل أنهم كانوا يقاتلون بأنفسهم في أرض المعركة نظرًا للتدريب المبكر لهم على ذلك[5]. فقد غزا كل من الملك إسحاق ولبنا دنجل بلاد المسلمين وباشروا بأنفسهم القتال حتى قتلوا في هذه المعارك. كما يذكر بعض المؤرخين أن الإمبراطور جلاديوس دخل أرض المعركة حيث كان يجيد فن الرمي بالقوس، مع

---

1 - Budge: op, cit , P.273.

2 - Ibid,p.277.

3 - كما تربى لبنا دنجل نفسه كذلك من قبل والده ناؤود بن أدماس (900-914هـ/ 1494-1508م). انظر:

- Taddesse Tamrat: op, cit , pp.274-175.

4 - "من بعد ذلك تعلم ركوب الخيل والرماية وصيد الحيوانات وكل فنون الحرب كعادة أبناء الملوك". انظر:

W. Conzelman: op, cit ,pp7-8.

منال عبد الفتاح محمود عبد الله: المرجع السابق، ص24.

5 - Taddesse Tamrat: op, cit , p.276.

استعمال الأسلحة مع مهارة كبيرة في ركوب الخيل. وهكذا أكسبت التنشئة العسكرية لأباطرة الحبشة مهارات عسكرية مكنتهم من قيادة الجيوش في أرض المعارك، وخوض غمارها وتحقيق النصر في العديد من المعارك التي خاضوها[1].

ب- التنشئة العسكرية لأبناء النبلاء وحكام المقاطعات

لم يقتصر أمر التدريب على أبناء الأباطرة فقط، بل اتبع نهجهم في ذلك أولاد النبلاء وحكام المقاطعات وأبناء الطبقة العليا، فالمفروض في أولادهم الذين لم ينخرطوا في سلك الحياة الدينية أن ينخرطوا في الحياة العسكرية ويتدربوا منذ حداثتهم فيتعلمون ركوب الخيل واستخدام السلاح ومبادئ الفروسية، حتى إذا ما شب الواحد منهم انخرط في سلك بلاط أحد الأمراء كتابع صغير أو سيد صغير ليتعلم آداب السلوك في المجتمع[2].

ولقد كانت عملية التنشئة العسكرية لأبناء النبلاء وحكام المقاطعات تبدأ في سن مبكرة من سن السابعة أو الثامنة من عمر الأبناء، حيث يرسل هؤلاء الأبناء للعيش مع الأمراء في القلاع بحيث يكونوا مسؤولين من حاكم المقاطعة، وبذلك يتدرب الأمراء الشبان هناك ويتعلمون المهارات الاجتماعية الأساسية، ويبدأ التدريب الأساسي في استعمال الأسلحة والفروسية[3]. وعندما يبلغ سن أربعة عشر عامًا يتعلم كيفية صيانة الأسلحة، ويرتقي إلى مرتبة مساعد فارس حيث يعتني بفرسه وملابسه وحاجاته ويعتبر حارسه الخاص أو ذراعه الأيمن في المعركة، كما يعالج جروح الخيل، كما يسمح له بالاشتراك في المعارك مع

---

1 - Richard Pankhurst: State and Land in Ethiopian History, Addis Ababa, 1966, p.103.

2- Donald Crummey: Land and Society in the Christian Kingdom of Ethiopia, university of Illino, press, 2000, p.33.

3 - مجهول: الفروسية برسم الجهاد، وما أعد الله للمجاهدين من العباد، معهد المخطوطات العربية، مخطوطة برقم 37، فنون حربية، ورقة رقم 39.

الفرسان الذين يكبرونه سنًا ليتعلم منهم فن الحرب[1]. فإذا ما أثبت كفاءته وصلاحيته وهو في سن العشرين من عمره يكون مؤهلًا ليصبح فارسًا حيث يرشحهم لذلك الأمراء الذين لاقوا التدريب تحت أيديهم. ويكون بذلك قد اكتسب مكانة في المجتمع الحبشي[2].

ج- التنشئة العسكرية للجند

أما فيما يتعلق بالتنشئة العسكرية للجند. فلقد أولت المملكة الحبشية اهتمامًا كبيرًا لتنشئة وتدريب جنودها. وذلك إيمانًا منها بدورهم الحربي المهم. ورغم أن المصادر التاريخية الحبشية لم تقدم الكثير عن أساليب التنشئة العسكرية للجند. الذين كان معظمهم يأتون من خلال مصدرين رئيسين هما: أسرى الحروب والرقيق. أما المصدر الأول وهم أسرى الحروب فقد نالوا شيئًا من التدريب على فنون الحرب والقتال قبل وقوعهم في الأسر. وكان يؤخذ من هؤلاء الأسرى ما يحتاجه الجيش. وما يزيد عن حاجته يتم بيعه في أسواق الرقيق[3]. وقبل أن ينضم هؤلاء إلى الجيش كان يتم تسليمهم أولًا إلى مسؤول الجيش. ليتم فحصهم أولًا للتأكد من سلامة أجسامهم قبل أن يسمح لهم بالاختلاط مع الجند السابقين. حتى إذا ثبت أنهم في صحة جيدة أنزل منهم طبقة جنسه وإقليمه أو تقارب موطنه. بحيث لا تجمع الطبقة الواحدة سوى الجند ذوي الأصل المشترك أو المجلوبين من بلد واحد ليتلقوا التعليم الحربي[4].

وقد زاد الاهتمام بتقوية الجيش وتسليحه منذ عهد الإمبراطور (زرء يعقوب)، وذلك لتأمين المملكة من جيرانها المسلمين. وليحقق سياسته التوسعية في تكوين المملكة. وبحكم طبيعة الأحباش البدوية. فقد كان

---

1 - Paul B. Henze: op. cit., p.61.

2 - Edward Ullendorff: op. cit., p. 94.

3 - Mordechai Abir: op, cit, pp. 50-51.

4 - Taddesse Tamrat: op, cit, p. 99.

الجيش المسلح القوي بالنسبة لهم هو أهم دعامة أساسية تقوم عليها المملكة. فكون أباطرة الحبشة جيشًا قويًا تكون من عدة آلاف من الفرسان والجنود[1].

2- عناصر الجيش الحبشي:-

أ- الفرسان:

الفرسان هم الخيالة الذين يمتطون ظهور الخيل أثناء مشاركتهم في الحرب، وهم يمثلون القوة الضاربة الرئيسة لأي جيش بصفة عامة. لذلك كانوا يمثلون الجزء الفعال من جيش السليمانيين على وجه الخصوص نظرًا لما يتوافر لديهم من سرعة ومرونة ساعدهم عليها خفة حركتهم وسرعة خيولهم. إذ يركبون الخيل السريعة المدربة الفارهة. لذلك كانت لهم خبرة كبيرة بالحرب من فوق ظهور الخيل[2]. وخفة الأسلحة التي يحملونها والتي تنحصر أساسًا في القوس[3]. فضلًا عن السيوف والحراب والرماح ويلبسون الدروع[4].

وقد تميز الفرسان الأحباش بمستوى معين من الأخلاق والسلوك في علاقاتهم ببعضهم البعض. فالفارس يجب أن يكون شجاعًا إلى درجة المجازفة أحيانًا. ويقاتل بشرف دون اللجوء إلى الخديعة والأساليب الخسيسة للتغلب على الخصوم. إضافة إلى ما يتسم به الفرسان من صفات الوفاء للأصدقاء، وتبجيل المرأة، واحترام العهد، وحسن معاملة الخصم عند الانتصار عليه[5]. إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن هذا السلوك يقتصر على معاملة الفرسان الأحباش لبعضهم البعض دون الشعور

---

1 - Donald Crummey: op, cit., p.27.

2 - Charles F. Rey: op. cit., p.39, see also Budge: op. cit. p. 352.

3 - مجهول: مجموع في الفروسية والخيل والرمي، ورقة3.

4 - حث الإسلام على الاهتمام بالخيل،لأنها تمثل العدة الأساسية للفارس، قال تعالى "وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" سورة الأنفال آية 60.

5 - زاهر رياض: العصر الأول من الأسرة السليمانية، ص118.

بوجود ضرورة لاتباع نفس السلوك تجاه غيرهم من أبناء الطبقات الدنيا[1].

وقد تجمعت عدة أسباب عكست في النهاية اهتمام الفرسان الأحباش بالفروسية في بلاد الحبشة، وبخاصة في عصر الأسرة السليمانية، ولعل من أهم هذه الأسباب كثرة الحروب التي لم تنقطع بين الممالك الإسلامية والمملكة الحبشية، حيث اتخذت تلك الحروب أطوارًا وأشكالًا مختلفة[2]. إلا أنه أيًا كانت المرحلة التي تمر بها هذه الحروب فقد كان الفرسان الأحباش بمثابة العصب الرئيس لهذه الحروب. علاوة على ذلك كانت هناك حروب أخرى بين الممالك الإسلامية وبعضها البعض، إضافة إلى الحروب التي شنتها عصابات الشفنا وتجار الرقيق و التي اتخذت أسلوب الكر والفر[3]. الأمر الذي دعا بعض الأباطرة الأحباش الأقوياء إلى التصدي لها، وإن كان بعض هؤلاء الأباطرة استعانوا بتلك العصابات لإيقاع الاضطرابات في الممالك الإسلامية[4].

بناء على ما سبق فقد اهتم الفرسان الأحباش بركوب الخيل والتمرس عليها إلى درجة أنه قيل إن الأحباش يأتون في مقدمة الشعوب من حيث قدرتهم على ترويض الخيل وركوبها، إلا أن هذه القدرة قد تباينت فيما بين القبائل الحبشية المختلفة. ولعل من أهم مظاهر اهتمام الفرسان الأحباش بالخيل هو قيام قادة الجيوش أنفسهم بتفقد الخيل والتأكد من مدى سلامتها بنفس درجة اهتمامهم بتفقد الفارس[5]. وأما عن مصادر توفير الخيول فكانت تأتي غالبًا كغنائم من المعارك والحروب المختلفة، أو عن طريق شرائها من التجار المسلمين

1 - Francisco Alvarez: op.cit. pp.243-244.

2 - Budge: op. cit. p. 352.

3 - Paul B. Henze: op. cit , p.81.

4 - زاهر رياض: الفرسان والفروسية، ص270

5 - Roland Oliver: The Cambridge History of Africa.pp. 146-165

وتربيتها لديهم، كما كانت تقدم أحيانًا كهدايا للأباطرة. فقد كانت الخيل في مقدمة ما يهدى لهم. وقد تميزت الخيل عند السليمانيين بصغر حجمها وتوسط طول قامتها: إذ استخدموا النوع المعروف بالحصان العربي الذي اشتهر بسرعة العدو ورشاقة الجسم[1].

وقد حرص الأحباش على تدريب خيولهم على الشجاعة والجرأة وانتزاع الخوف منها تحسبًا لأي ظروف طارئة في المعارك، حيث دربوهم على معايشة الحيوانات الأخرى الأكبر حجمًا مثل الجمال والأفيال، وعمدوا إلى تكثيف فترات وجود الخيول مع هذه الحيوانات الأكبر حجمًا إذا تبين لهم خوف خيولهم من هذه الأنواع[2]، وذلك علاوة على تدريبهم أيضًا على بعض الرياضات المعروفة لديهم في ذاك الوقت، وعلاوة على ذلك يمكن القول إن الخيل كانت تمثل العدة الرئيسة للفارس والتي بدونها لا يمكن اعتباره فارسًا، الأمر الذي يفسر ضآلة النظرة إلى المحارب الذي يقاتل راجلًا[3].

وفي سياق ما سبق فقد وصف عرب فقيه ملابس خيل الأحباش في معركة زري (أحد روافد نهر عواش) حين قال: "غنم المسلمون في أرض دوار، خمسمائة فرس كانت مكسوة بالجوخ الأحمر والقطيفة والحرير والديباج المذهب"[4].

وإذا كان كل ما سبق يعكس اهتمام الأحباش بالفروسية وركوب الخيل، فلا عجب من اهتمامهم كذلك ببذل أقصى ما لديهم من جهد ووقت في سبيل تدريب أفراد المجتمع الحبشي على فنون الفروسية[5]. وفي هذا الصدد فقد اهتم الأباطرة الأحباش على وجه الخصوص بتربية

1 - Donald Crummey: op, cit., p.33.

2 - Donald Crummey: op, cit., p.27.

3 - Crawford,O.G.S: op.cit pp26-27

4 - المصدر السابق، ص 131.

5 - Taddesse tamrat: op.cit., p.276.

أبنائهم تربية عسكرية رفيعة المستوى عمادها الأساسي ركوب الخيل[1]. وكانوا – كما سبقت الإشارة - يرسلون أبناءهم لتلقي التدريبات العسكرية على الخيول في المقاطعات المختلفة. كما أنشأوا إسطبلات خاصة لهذه الخيول وعينوا عليها مسؤولين للعناية بها[2]. ويذكر في هذا الشأن أن لكل إمبراطور حبشي فرسًا خاصًا به لا يستخدمه غيره إلا في حالات استثنائية. فقد سمح الإمبراطور جلادويوس للأنشيعي بركوب فرسه الخاص به، كدليل على رفعة مكانته[3].

مكانة وإعداد الفرسان في المجتمع الحبشي:

تبوّء الفرسان الأحباش مكانة خاصة داخل المجتمع الحبشي. فقد ارتفع شأنهم واقتربوا من مرتبة النبلاء والأمراء. ويدل على ارتفاع هذه المكانة أن الأباطرة الأحباش قد سمحوا لهم بمحاكاة سلوك الأمراء والنبلاء فيما يتعلق باصطحاب أتباعهم وخدامهم ونسائهم للعمل على خدمتهم أثناء الاستعداد للحرب[4]. وكان هؤلاء الخدم كما سبقت الإشارة يحملون عنهم الأسلحة والملابس وعدة الحرب حتى يعيش الفارس كما لو كان في منزله. يأتي ذلك في الوقت الذي لم يسمح فيه للجنود المشاة بمثل هذه السلوكيات على الإطلاق[5].

---

1 - Budge: op.cit., p. 214.

2 - أطلق لفظ "سقلا" على الإسطبلات التي أنشأها الأباطرة الأحباش لتربية خيولهم، وهو عبارة عن بيت مستطيل الشكل أو خيمة مستطيلة الشكل، وهو مكان أشبه بحظيرة الخيول، وهو يشبه ما كان يسمى في عصر المماليك بخيل النوبة، وهي الخيل التي تربط قرب قصر السلطان ليركب منها حين يريد الركوب، أو هي لاستخدام الجند التي تتناوب الوقوف لحراسة شخص السلطان، وكانت هذه الإسطبلات في الحبشة بعيدة عن مرأى الناس، حتى تبقى ملجمة وفوقها السروج والدروع على سبيل الاستعداد، وتكون قريبة من الإمبراطور. انظر، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ص461. مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص25.

3 - أنتوني سوريال: المرجع السابق، ص 34-58.

4 - Budge: op.cit., p.246.

5 - Budge: op.cit., p.298.

وإمعانًا في الاهتمام بأحوال الفرسان الأحباش ورفع مكانتهم فقد كان الأباطرة الأحباش ينتهزون جميع الفرص لإظهار رضائهم وافتخارهم بما تمتلكه جيوشهم من الفرسان. ليس فقط الفرسان المسيحيين بل المسلمين أيضًا على حدٍّ سواء. فما كاد "يكونو أملاك" يعتلي عرش الحبشة حتى رأى أنه لا بد من فرض سيطرته على ممالك الزيلع، لذلك قتل ملوك المسلمين واستولى على بلادهم[1] واعتبر أن جنودهم أصبحوا ضمن جنوده. وكان يفتخر دائمًا بأن جيشه يضم مائه ألف فارس منهم[2]. كما كان معظم أباطرة الحبشة يتفاخرون بأعداد الفرسان في جيوشهم. وفي هذا الصدد كذلك ذكر عرب فقيه أن الملك لبنا دنجل كان يفتخر بعدد الفرسان في جيشه والذي وصل إلى ستة عشر ألف فارس. كما يصف لنا أيضًا عرب فقيه عدد الفرسان الأحباش فيقول: "كان هناك من البطارقة مئة وأربعة عشر، وكل بطريق تحته ألف، وواحد تحته خمسمائة، وواحد مائتا فارس، وواحد ستمائة فارس على هذه الحالة"[3]. كما وصل عدد الفرسان في جيش الإمام أحمد بن إبراهيم إلى خمسمائة وستون فارس في معركة صمبر كوري[4].

ومما سبق نستنتج أنه بالرغم من أهمية ومكانة الفرسان الأحباش بالجيش واعتماد المعارك والحروب بصفة رئيسة عليهم، إلا أن أعدادهم ظلت دائمًا قليلة. ولقد كانت الجيوش في ذلك الوقت توازن قوتها بعدد فرسانها ليس بعدد مشاتها[5]. ونجد ما يؤيد ذلك في المصادر الحبشية[1].

---

1 - ابن عبد الظاهر: تشريف الايام والعصور، ص 118.

2 - نفسه، ص 267.

3 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص63، وتتضح المبالغة الواضحة في هذا العدد. انظر ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص 272.

4 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 63- 65.

5 - ويتضح مدى اهتمام الأباطرة الأحباش بطبقة الفرسان، إلى أن وضع بعضهم قيادتها في يده مثل بيند ماريام. انظر:

- Taddesse tamrat: op.cit., pp.275-278.

وكان من الممكن أن يظهر عدد الفرسان الأحباش خاصة في ممالك الزيلع الإسلامية بصورة أكبر بكثير مما ظهرت عليه لو كانت هناك وحدة سياسية تجمع هذه الممالك في إطار واحد. فقد كانت تلك الممالك تضم مجتمعه أكثر من تسعين ألف فارس. إلا أن بعثرتها السياسية لم تمكنها من الاستفادة من هذه القوة العسكرية الضخمة[2].

مهام الفرسان الأحباش:

تعددت مهام الفرسان الأحباش في الجيش. فقد استخدمهم السليمانيون في أجنحة الجيش بالمعارك المختلفة وأوكلوا لهم واجبات محددة أهمها الاستطلاع والإغارة والمطاردة والحماية. ففيما يتعلق بمهمة الاستطلاع فكان يشارك في أداء هذه المهمة ثلاثة فرسان فأكثر. حيث يقومون بجمع المعلومات عن العدو وتقدير قوته، والتعرف على مواطن الضعف به، وذلك للاستفادة من هذه المعلومات في وضع الخطط العسكرية وتحقيق عنصر المفاجأة للعدو[3]. وأثناء أداء تلك المهمة كان الفرسان يستخدمون الخيول القوية والسريعة، ويتسلحون بالأسلحة الخفيفة[4]. ومن أشهر المعارك التي استخدم فيها الجيش الحبشي طلائع الفرسان معركة صمبر كوري عام 935هـ/ 1529م[5].

أما فيما يختص بمهمة الإغارة على العدو فقد كان الفرسان الأحباش يؤدونها بمهارة فائقة، ويستخدمون فيها كذلك الخيول القوية

---

1 - " وله جيش يقدر بعشرات المئات من الفرسان وألف من المشاة، ولم يكن لمار جلاوديوس ما يربو عن ستين أو سبعين من الفرسان، وكانت المشاه أيضًا قليلة العدد".
انظر: W. Conzelman: op.cit.p.10.
منال عبد الفتاح: المرجع السابق، ص26.
2 - العمري: المصدر السابق، ص 39-45.
3 - الهرثمي: مختصر سياسية الحروب، ص 49. الرشيدي. تفريج الكروب في تدبير الحروب، نشر وتحقيق جورج سكانلون، القاهرة،1961م، ص 51.
4 - مجهول: مجموع في الفروسية والخيل والرمي، ورقة 34.
5 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 65.

والسريعة، وتكون الإغارة على شكل كمائن عند انسحاب الجيش أمام العدو، كما قد تأخذ الإغارة شكل عملية التفاف على قوات العدو لمحاصرته وقطع الإمدادات عنه. كما قد تأخذ كذلك شكل مهاجمة مؤخرة جيش العدو لإشغاله والاستيلاء على أسلحته وأمتعته وتموينه[1]. وقد اتبع جيش المسلمين هذه الخطط العسكرية أثناء حكم صبر الدين في الإغارة على المدن الحبشية المختلفة. فقد أرسل أخاه "محمدًا" ومعه القائد "حرب جوش" على رأس عشرين فارسًا لمهاجمة بلدة حبشية يقال لها (رطوى). فقتلوا قواد الملك الحبشي وجنوده بهذه البلدة[2]. كذلك عندما هاجم الجيش الإسلامي جبل العنبا جاءت سرية من فرسان ملك الحبشة على مؤخرة جيش المسلمين لتقطع عنهم الإمدادات والمؤن حتى اضطر المسلمون إلى الانسحاب من الجبل بعد محاصرته لأكثر من شهرين[3].

أما عن تكليف الفرسان بمهام المطاردة فقد استعان السليمانيون بهم لمطاردة المسلمين عند انسحابهم، واستخدموا في ذلك الفرسان المهاجمين، واستهدفت عملية المطاردة إلحاق الهزيمة بالمسلمين وتأكيدها وتفريق جيوشهم، وحرمانهم من إعادة تجميع قواتهم، وضمان عدم قدرته على معاودة الهجوم[4]. وقد استخدم الفرسان الأحباش في عمليات المطاردة الخيول السريعة، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى أنه حينما انهزم الأحباش في معركة صمبر كوري، فولوا الأدبار وتبعهم المسلمون واستمروا في مطاردتهم للتأكد من إلحاق الهزيمة بهم[5]. وعلى الجانب الآخر عندما دارت معركة في قربة بادقى انهزم فيها جيش

---

1 - الهرثمي: مختصر سياسية الحروب، ص 50.
2 - المقريزي: الإلمام، ص 15.
3 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 316.
4 - الرماح: الفروسية والمناصب الحربية، ص 59-71.
5 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 70.

المسلمين، قام الفرسان الأحباش بمطاردة المسلمين وأسرهم عند نهر يسمى (دوخم)[1].

كما أوكلت للفرسان مهمة الحماية خاصة حماية الجيش أثناء سيره وانتقاله من مكان لآخر، وذلك للحيلولة دون مداهمته من قبل العدو على حين غرة، فكانت فرق الفرسان تكلف بحراسة الطرق والمواضع المهمة[2]. كما قامت فرق أخرى من الفرسان أيضًا بحماية الجيش أثناء المعركة، إذ توضع جماعة منهم على طرفي ميمنة الجيش وميسرته، لتكون بمثابة الحماية الكافية لمنع العدو من اختراق الصفوف، ويذكر أن الجيش الحبشي قد اتبع هذه الطريقة في معظم معاركه مع المسلمين[3].

وإذا كان للفرسان الأحباش مهام متعددة في الجيش وقت الحرب، فقد كانت لهم مهام أخرى وقت السلم لا تقل أهمية عن مهامهم في أثناء الحرب، وفي هذا الشأن ابتكر الأباطرة الأحباش عدة أعمال لهم، فكان بعضهم يقف بباب الملك لخدمته، ومشاركته في الأعياد الدينية والاجتماعية، فكانوا يقومون بعمل المبارزات بطريقة تمثيلية استعراضية تستهدف إظهار أكبر قدر من المهارة بأقل قدر من الإصابات والدماء[4]. ومن أمثلة ذلك أنه في عيد الغطاس وعيد الصليب، كان الفرسان الأحباش يخرجون احتفالًا بهذه الأعياد في أماكن خارج المدينة؛ إذ يستقبلهم الإمبراطور وهم يركبون خيولهم، ويمرون عليه على عدة

1 - المصدر السابق، ص 57.

2 - اعتاد ملوك الحبشة الخروج والتنقل بين المقاطعات المختلفة في أوقات السلم حيث كان يحيط بالملك قواد الفرسان ويصحبوه في جولته، كما كان يتقدم هذا الموكب فريق من الفرسان ليعلنوا عن قدوم الملك للمزيد انظر، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ5، ص 334.

3 - Francisco Alvarez: op.cit., p. 285.

4 - Donald Crummey: op. cit., pp.34-36.

فئات مرتدين الملابس الحربية الكاملة، ليلعبوا بالخيل ويمثلون الكر والفر والهجوم والانقضاض[1].

ولم تكن هذه العمليات الاستعراضية بمثابة مشاركة في الاحتفالات فقط، بل شكلت أيضًا فرصًا للتدريب من ناحية وإظهار قدرة وبراعة الفارس الحبشي من ناحية أخرى، حيث يحصل الفارس الفائز علاوة على الصيت الذائع والشرف العريض على نصر مادي كبير، إضافة إلى استيلائه على فرس الخصم وأسلحته أو على مبلغ من المال يقابل قيمة هذه الأشياء. ويذكر أن مثل هذه الاستعراضات لم تكن تتم أثناء الأعياد فقط، بل كانت أيضًا في مناسبات أخرى كاستقبال الضيوف وتوديعهم[2]. كما كانوا يصاحبون الملك أيضًا أثناء تجواله بين المقاطعات المختلفة فيما عرف بالموكب الملكي، حيث كانت لهم مهام معروفة كحماية الملك وتنظيم صفوف الناس والإخبار بميعاد مرور الموكب، كما كان يتقدمه أيضًا مجموعة منهم[3].

ب- المشاة (الرجالة):

وهم الرجالة من الجند وهم العنصر الأكثر عددًا الجيش الحبشي، فقد كان عددهم يصل إلى عدة آلاف، ومن أسلحتهم السيوف والحراب والسهام، وكانوا يلبسون الدروع، ويضعون فوق رؤوسهم الخوذات، وكان لهم وعاء يضعون فيه سهامهم وأقواسهم[4].

ج- النشابون (الرماة):

ويطلق عليهم الرماة أو النبالون[5] لأنهم كانوا يتسلحون بكنائن النبل، وقد استُعِينَ بهم في صد المعتدين، لذلك كانوا هم أول من يبدأ المعركة في الهجوم والدفاع على السواء، وقد أكد العمري وغيره من

1 - Ibid. p.36.

2 - القلقشندى: صبح الأعشى، جـ 5، ص 370.

3 - Crawford,O.G.S: op.cit.pp.27-30.

4- Francisco Alvarez: op, cit , pp.316-317.

5 - مجهول: الفروسية برسم الجهاد، وما أعد الله للمجاهدين من العباد، ورقة 15-16، عبد الرحمن زكي، السلاح في الإسلام، ص47،33.

المؤرخين على كثرة استخدام الأحباش لهذا السلاح "ومنهم الرماة بالنشاب"[1]، كما ذكر في موضع أخر: "وسلاح المقاتلين منهم القسي والنبال الشبيهة بالنشاب"[2].

د- المنادي: وهو الذي ينفر في الجنود بالحرب[3].

ن- الدليل: وهم طليعة الجند ومن يقتدي به ويسيرون أمام الجند، ويمكن تشبيههم بجنود الاستطلاع[4].

هـ- فيتاوراري Fiturari: ومعناها القائد المشرف على مقدمة الجيش[5].

و- قاضي العسكر:

وهو القاضي الذي يفصل بين الجند، ويصدر الأحكام أثناء تنقلاتهم كما سبقت الإشارة، وكان يتخذ له كاتبًا، ويكون له شهود عدول، وتكون له خيمة بجوار خيم الجند، ويكون مستعدًا لإصدار الأحكام فى الأمور الخاصة بالجنود فى معسكرهم مثل الغنائم والقسمة... إلخ، وكان هذا القاضي يُعيَّن من قبل الإمبراطور[6].

ي- بعض رجال الدين:

كان يصاحب الجيش الحبشي عدد كبير من رجال الدين من الرهبان والبطارقة والقساوسة لحث الجنود على قتال المسلمين، وكانوا يبثون فيهم روح الشجاعة ويعرفونهم بأنهم يدافعون عن دين الآباء والأجداد، فكانوا بذلك يخلعون على القتال صبغة الحروب الصليبية[7]. ولذلك

1 - العمري: المصدر السابق، ص40، القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص318.
2 - العمري: المصدر السابق، ص47.
3 - محمد خليفة حسن: المرجع السابق، ص 375.
4 - عرب فقيه: المصدر السابق،158.
5 - Blundell: op, cit, p.236.
6 - Harold G. Marcus: op, cit, pp. 19-20.
7 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 150-152.

كان المسلمون يحرصون على قتلهم بمجرد وقوعهم أسرى في أيديهم: لأن جمهرة المسيحيين الأحباش كانوا يتأثرون بأقوالهم وبتحريضهم على قتال المسلمين[1].

3- أقسام الجيش وإداراته

اهتم ملوك الأحباش اهتمامًا بالغًا بالجيش، فهو عماد المملكة، وهم أنفسهم رجال حرب وقتال وفرسان. وقد تأصلت فيهم الروح القتالية لطول ممارستهم للحروب وحياة البداوة. وامتد الاهتمام بالجيش إلى كل المقاطعات، فقد كان لكل حاكم من حكام المقاطعات المختلفة جيش كبير[2]. ومنذ عهد عمدا صيون (714- 745 هـ/1314- 1344 م) ازداد الاهتمام بالجيش لوضع حاميات في البلاد التي فتحها.

ولقد ارتبط تكوين الجيش بظروف تكوين المملكة الحبشية، فقد كانت تتكون من عدد من المقاطعات والقبائل التي كانت تدين بالولاء والاحترام للملك، وكان الملك يعتمد على هذا الجيش في فرض الولاء والاحترام لمملكته[3]. ولذلك عمد معظم الملوك إلى تكوين جيش قوي وقادر على حفظ الأمن والاستقرار في المملكة، وعلى إنزال العقاب السريع بأي حاكم من حكام المقاطعات يجرؤ على مخالفة أوامر الملك[4]. وقد انقسم الجيش الحبشي خلال هذه الفترة إلى قسمين: هما الجيش المركزي الملكي، وفرق حكام المقاطعات.

أ- الجيش المركزي الإمبراطوري:

هو الجيش النظامي الثابت المختص برعاية مصالح الدولة والدفاع عنها بشكل دائم، ويشكل القوة الهجومية المؤثرة في الدولة، وكانت هذه

1 - نفس المصدر السابق، ص 152، رجب محمد عبد الحليم، العلاقات السياسية، ص 129.
2 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea, p59
3 - Taddesse tamrat: op.cit,pp.90-91.
4 - Budge: op. cit., pp 290-291.

القوة تتألف من الغلمان العبيد وأسرى الحروب[1]. وكانت طريقة الحصول على هؤلاء الغلمان هي الشراء، والرسوم المقررة على حكام المقاطعات المختلفة[2]، إذ اتخذت هذه الرسوم عدة أشكال منها الحصول على عدد معين من الرقيق[3].

ويرجع الفضل للإمبراطور عمدا صيون الأول في وضع اللبنة الأولى لتأسيس جيش مركزي قوي، فعندما تمكن من تحقيق فائض من الإيرادات، فكر في تقوية السلطة المركزية تحت القيادة الملكية، لذلك قام بإنشاء العديد من الفرق من بين السكان المحليين الذين تم أسرهم وخاصة من سكان شوا[4]. وقد تم إرسالهم إلى مناطق مختلفة لحماية حدود المقاطعات خاصة تلك التي تحاول تحدي سلطته، وقد أثبتت هذه الفرق جدارتها أثناء حياة عمدا صيون لأنها نجحت في القضاء على الكثير من التمردات التي قامت بها القبائل الرعوية[5].

وقد انقسم الجيش الإمبراطوري خلال هذه الفترة إلى عدد من الوحدات العسكرية المستقلة، وكانت الوحدة هي الفرقة العسكرية أو الفوج وكانت كل فرقة عسكرية تحت قيادة قائد مسؤول مباشرة أمام الملك وهو ما أطلق عليه لفظ "أزماتش". وقد كانت كل فرقة تحمل اسمًا رمزيًا مثل "بعل دامو" و"بعل دهو"[6] وفرقة "جلن بلو" وفرقة "جان أسراري" وفرقة "الصراوجت" التي أنشأها زرء يعقوب (838 –

1 - Roland Oliver Anthony Atmore: Medieval Africa,1250-1800, university of Cambridge, england,press,2001, pp. 115-6.

2- Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p.54

3 - Roland Oliver Anthony Atmore: op. cit., p. 116.

4 - G.W.B. Huntingford: op. cit., p. 54.

5 - Mordechai Abir: op. cit., p. 49.

6 - يعني لفظ "بعل" عند السير بدج "الحاكم" ويذكر أن منصبه من المناصب المهمة، بينما يعني عند بعض الباحثين "الموظف المهتم بحماية القوافل". انظر:
Budge: op. cit., p.580.

873 هـ/ 1434 – 1468م)[1]، ويذكر أن هناك بعض الأباطرة ممن اهتم بإنشاء فرق عسكرية تحمل اسمه مثل الإمبراطور (بنيد ماريام). وقد عُهدت إلى هذه الفرق العسكرية بمهام واختصاصات مختلفة. وكان لكل منها دور محدود في خدمة الجيش الملكي[2]. فمنها فرقة الجواسيس، والتي اختصت بتتبع أخبار العدو ونقلها إلى قيادة الجيش الملكي، وهناك فرقة الاستطلاع والتي أوكلت إليها مهمة اكتشاف مكان العدو وبيان مدى قوته. ولقد كانت هذه الفرق جميعًا تتنافس للتقرب من الملك وكسب ثقته لتحظى في مقابل ذلك بمزايا خاصة[3].

وكان تقسيم هذه الفرق العسكرية يتم على أسس قبلية غالبًا، حيث تتجمع مجموعة من الأفراد تنتمي لقبيلة واحدة وتتحدث بلهجة واحدة لتشكل في النهاية إحدى الفرق أو الوحدات العسكرية[4]. وعلى ذلك يمكن القول أن تقسيم هذه الفرق كان يتم على أساس عرقي ذي خلفية ثقافية ولغوية مشتركة، الأمر الذي جعلها أكثر كفاءة في القتال[5]. وكانت هذه القوات غالبًا ما تُجند من المناطق التي تم احتلالها حديثًا، فهم من أسرى الحروب الذين كان يتم تجنيدهم في الجيش الملكي[6]. حيث كانت تشكل الجزء الأكبر من الجيش المركزي،

1 - Taddesse tamrat: op.cit, p.132.

2 - Francisco Alvarez: op, cit ,pp.306-307.

3- يذكر أن هذه الفرق العسكرية حددت لها أبواب خاصة لتدخل منها إلى الإمبراطور أثناء إقامته في المعسكر الإمبراطوري. انظر. مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص19.
Budge: op. cit., pp. 290-291.

4 - لقد تم تقسيم هذه الفرق على أساس أن تتكون كل فرقة من ألف رجل يقودها "قائد الألف رجل" وهي بمعنى (شلقا) انظر:
Budge: op. cit., p.581 see also Bundell ; op. cit., p.328.

5 - Paul B. Henze: op. cit , pp.65-6.

6 - تجدر الإشارة إلى أن هناك نظام لعقوبة الفارين أثناء المعركة في الجيش الحبشي، وهي أن يترك الشخص الذي يفر من المعركة عاريًا، ثم تثقب أنفه ومؤخرته بالسيف. ثم

حيث كان يوجد شخص مسؤول عنهم من أجل تدريبهم وادخالهم في نظام الخدمة بهذه الوحدات، على أن يقودهم بعد ذلك أحد الرجال من نفس مناطقهم[1].

ولقد كانت هذه الفرق العسكرية صغيرة الحجم في البداية، إلا أن عددها تضاعف عدة مرات نتيجة لكثرة التوسعات والحروب، الأمر الذي تسبب في صعوبة سيطرة أباطرة الأسرة السليمانية على هذه الفرق بسبب أعدادها الآخذة في الزيادة بزيادة عدد أولئك السكان المحليين الذين أخذوا كرقيق[2]. وبزيادة عدد الفرق، اقتضى الأمر ضرورة تقسيم كل منها إلى وحدات أو فروع صغيرة، وكانت هذه الفروع تشكل أفرادًا تحت التدريب تمهيدًا لنقل الأكفاء منهم إلى الوحدات العسكرية المستقلة، ففي عام 733هـ/ 1332م نجد أن الوحدة التي كانت تنتمي إلى داموت Damot أرسلَت جماعة منها لمحاربة الفلاشا Falasha، وفرع آخر تم إرساله ليشترك في محاربة المسلمين في عدل Adal[3].

وإذا كانت هناك سمة مشتركة بين هذه القوات، فربما تكون هذه السمة هي أن معظمهم قد جُندوا من المناطق الحدودية التي فتحت حديثًا، حيث كان يستفاد من أسرى الحروب العديدين بهذه المناطق عن طريق إرسال بعضهم إلى النبلاء والقواد، وتجنيد البعض الآخر (وهو النسبة الغالبة) في خدمة البلاط الملكي، وما يتبقى منهم يذهب إلى أسواق العبيد، وكانت الفئة المختارة للتجنيد يتم انتقاؤها من بين أكثر

تعلق عليه رنه حمار (وقد عدلها زرء يعقوب برنه بقرة للمسيحين) ويعرضه عاريًا أمام النساء ليضحكن عليه، كما نجد أن الإمبراطور بئيد ماريام قد حكم على بعض جنوده الذين حاربوا دون إذنه، أن يضعوا رنة البغل والثور في أنوفهم ومؤخرتهم، وأن يعلقوا عراة لمدة عشرة أيام دون أن يرحمهم. انظر، مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص117.

1 - Roland Oliver Anthony Atmore: op.cit. p: 116.

2 - Huntingford: The wealth of the kings, pp.25-6.

3 - Taddesse tamrat: op.cit. p.91

الشباب قوة، حيث يتم تجميعهم وضمهم إلى الوحدات العسكرية تحت قيادة أحد القواد من نفس قبائلهم ممن أثبتوا أنفسهم لمدة طويلة في خدمة الملك واكتسبوا خلال هذه المدة ثقته ودعمه[1].

وفيما يتعلق بأسس اختيار قادة الجيش الملكي، فقد كان يتم اختيارهم بحذر شديد وبشرط التأكد من ولائهم للملك وتعهدهم بالموت في سبيل نصرته، فبعضهم يتم اختياره ممن يُربى في القصر الملكي، أو من أصدقاء الملك المقربين، أو من أقربائه، لذلك لا نجد غرابة في أن يكون من أشهر قواد الجيش الحبشي في عهد "عمدا صيون" ابنه (صاف اسجد Saf-Asagid)، وكذلك زوج أخت الملك[2]، وفي عهد (زرء يعقوب) ابنه[3]. ويذكر أن هناك من الأباطرة من أعطى جل اهتمامه للجيش الإمبراطوري وعمل على رفع الروح المعنوية لجنوده، وليس أدل على ذلك من خروج الإمبراطور (بئيد ماريام) (873-883هـ/ 1468 – 1478م) بنفسه من مسكنه لتوديع جنوده بالتقدير والاحترام[4].

ب- جنود الشوا:

أدى جنود الشوا[5] دورًا مهمًا في تيسير مجريات الأمور في المملكة الحبشية، فقد تعددت مهام هذه الفرق العسكرية في المملكة كما

---

1 - Paul B. Henze: op. cit , p.39.

2 - تجدر الإشارة إلى محاولات الأباطرة العديدة محاولتهم عزل قواد الفرق غير الموالية لهم، وتعيين من هم على درجة عالية من الولاء للإمبراطور، مما كان يتسبب في سخط بعض القادة إلى الدرجة التي تصل إلى الثورة أحيانًا. انظر:

Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p.54

3 - تجدر الإشارة إلى محاولات الأباطرة العديدة عزل قادة الفرق غير الموالية لهم، وتعيين من هم على درجة عالية من الولاء للإمبراطور، مما كان يتسبب في سخط بعض القادة إلى الدرجة التي تصل إلى الثورة أحيانًا. انظر:

- Perruchon: op , cit , p.7 see also Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p.54.

4 - Perruchon: op , cit , pp 143,180.

مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 102.

5 - الشوا: تطلق هذه الكلمة في المصادر الحبشية على الجنود أو الفرقة العسكرية، وهم الجنود التابعون للإمبراطور في المقاطعات، كما كان يطلق على زعيم كل فرقة لفظ

أوضحتها النصوص الحبشية. إذ كان تأمين شخصية الإمبراطور وحدود المملكة على رأس أولويات هذه المهام. فقد كانوا يقومون بالطواف حول القصر الإمبراطوري وداخل السور حاملين أسلحتهم ضد كل من يحاول المساس بالإمبراطور[1]. كما يفهم من سياق النص وجود مندوب لكل فرقة من فرق الشوا من مختلف المقاطعات في قصر الإمبراطور، ربما انتظارًا لتلقي تعليمات جديدة من الإمبراطور، ما يدل على التواصل المستمر بين الإمبراطور وحكام المقاطعات المختلفة[2].

"تشوا"، ولكنها تدل في الأمهرية حاليًا على "الشخص ذي المنزلة الاجتماعية الرفيعة" وإن كان معناها العام يقابل لفظ المماليك وإن كانت طبيعة عملهم تؤكد أنهم أتباع الملك. انظر مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 16

1 - Perruchon:Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, pp. 35-36

2 -"وفي تلك الأثناء يخرج أحد أطفال الداخل الصغار، ويعطي الأوامر لكل مندوب من جميع فرق الشوا: فرقة بصر شوتل، بدل دمنا، كولو أوري، بصرواجيت، دمنا أمبا، بأدل واجت، بدل مبراق، بدل مسقل، ويخبرهم أن الملك قد عبر إلى الكنيسة. عندئذ يعبر هؤلاء (الجنود) نافخو الأبواق، وضاربو الطبل، ويقفون خارج أبواب الكنيسة، ولا يدخلون إلى الداخل. وكذلك تقف فرقة بأدل مبراق، ورهبان دبر بيزان وهم يطوفون حول القصر من داخل السور، بينما يحمل الرهبان جرابًا وسيفًا، وتمسك (فرقة) بأدل مبراق السهام والرماح". انظر:

- Perruchon: op , cit , pp.35-36.

በድል ፡ መብረቅ ፡ ወበድል ፡ መስቀል ። ወይነግርዎሙ ፡ ከመ ፡
ኀለፈ ፡ ንጉሥ ፡ ውስተ ፡ ቤተ ፡ ክርስቲያን ። ወሶቤሃ ፡ የኀልፉ ፡
እሙንቱኒ ፡ እንዘ ፡ ይነፍሑ ፡ አቅርንተ ፡ ወይነፍሑ ፡ ቀንደ ፡
ከበሮ ፡ ወይቀውሙ ፡ በአፍአ ፡ አንቀጸ ፡ ቤተ ፡ ክርስቲያን ።
ውስጠሰ ፡ ኢይበውኡ ። ወዓዲ ፡ ይቀውሙ ፡ በአደል ፡ መብ
ረቅ ፡ ወመነኮሳት ፡ ዘበዘን ፡ እንዘ ፡ የዐውድዎ ፡ ለቤተ ፡ ንጉሥ ፡
በውሳጤ ፡ ሐጹር ፡ ጸዊሮሙ ፡ መነኮሳት ፡ ገለበ ፡ ወሰይፈ ፡
ወበአደል ፡ መብረቅ ፡ እኒዘሙ ፡ ቀስተ ፡ ወኵናተ ። ወበጊዜ ፡

وتذكر المصادر الحبشية اهتمام بعض الأباطرة باصطحاب بعض جنود فرق الشوا معهم أثناء زيارة المقاطعات المختلفة، وذلك لعدة أغراض يأتي في مقدمتها تأمين سير الطريق إلى المقاطعات والمدن التي يمر عليها الموكب، فضلًا عن تأمين الإمبراطور ذاته أثناء وجوده في هذه المدن، ويقول النص: "وأمر أن يقيم جنود الشوا كذلك معسكرًا لكل منهم: فرقة الجان صجنا بمفردها، وأهل إيفات بمفردهم، ومثلهم أقام جميع الشوا التابعين لفطجار، وجدم، وجن، معسكرًا"[1].

وهكذا لم تقتصر مهام هذه الفرق على تأمين الإمبراطور أثناء جولاته في المقاطعات، بل عهد لها أيضًا مهمة تأمين المقاطعات المختلفة، لا سيما تلك التي ارتفعت فيها درجات التمرد. لذا فقد قام (زرء يعقوب) بتعين فرق عسكرية من كتائب الشوا في بعض المقاطعات خاصة التي انتشر فيها المسلمون، فضلًا عن المقاطعات التي تقع على حدود المملكة الحبشية، وكان على رأس كل منها حاكم عسكري أطلق عليه لفظ "تشوا"، كما أطلق على هذه الفرق العسكرية أسماء رمزية تدل على الهدف الذي عينت من أجله كما يشير كاتب النص الحبشي[2].

1- Perruchon:op,cit, p. 137.

2 -"وقد عين الملك كذلك في أرض دوارو كثيرًا من جنود الشوا الذين يدعون: أرقواي بصرواجيت، بدل صجنا، جان جدب، وغيرهم ممن لم أعرف أسماءهم". انظر:

كما أخبرنا النص أيضًا عن تعيين الإمبراطور لهؤلاء الجنود في جميع مقاطعات المملكة الحبشية[1].

በበሊ.ኒ ፡ ወበሐድያኒ ፡ ከማሁ ፡ ሥርዓ ፡ ጨዋ ፡ ብዙኃ ፡ ወከማሁ ፡ በበጌ ፡ ምድር ፡ ወበጐገርም ፡ ሥርዓ ፡ ጨዋ ፡ በፈጠ ጋር ፡ ወበኢፋት ፡ በግድም ፡ ወበኚ ። በአንጎት ፡ ወበቅዳ ፡ ወበ ትግሬ ፡ ባሕር ፡ አምባ ። በሰራዌ ፡ በፀር ፡ ዋጀት ፡ ወበዝ ፡ ኵሉ ፡ አሐጉር ፡ ሥርዓ ፡ ብዙኃን ፡ ጨዋ ፡ እንዘ ፡ ይሰሚ ፡ አስማቲ ሆሙ ፡ ዘዘዚአሆሙ ፡ በበአሕጉሪሆሙ ። ወለባሕር ፡ ነጋሽሰ ፡

ويذكر أن هؤلاء الجنود كانوا عادة في طليعة مستقبلي الإمبراطور عند زيارته لأي مدينة يوجدون بها، وذلك لتأمين موكب الإمبراطور من جهة، ولإقامة مراسم تنظيم الموكب العسكري من جهة أخرى[2]. كما كان يستعين حكام المدن التي يقوم بزيارتها الإمبراطور بفرق الشوا في المدن القريبة منها لزيادة تأمين هذا الموكب[3].

وعندما سمع (بئيد ماريام) وهو في أترونسا مريم عن قيام بعض أفراد الشعب بلعنة أسرعت كتائب الشوا إلى ذلك المكان لحماية الإمبراطور، وبعد أن انتهى من عقاب هؤلاء الناس أمر بعودة هؤلاء

- Perruchon:op,cit, p.45.

1 - وفي بالي وهدية عين الكثير كذلك من جنود الشوا، ومثلهم في بجه مدر، وجودجام، وعين شوا في فاطجار، وفي إيفات، وفي جدم، وقن، وفي أنجوت، وفي قدا، وفي تجري، وباحر أمبا، وفي سروا وبصر واجت.. وفي كل هذه المدن عين جنود شوا داعيًا أسماءهم حسب درجاتهم، وحسب بلادهم. انظر:

- Perruchon:op,cit, p.47.

2- Robert Silverberg: The Realm of the Prester Jone, Doubleday& Company Inc, New York, 1972, pp.53-54.

3-"وحين نزل ملكنا زرء يعقوب أرض أكسوم... استقبله كل أهل المدينة... وكل جنود الشوا التابعين لمدينة تجري ممتطين خيولهم، وممسكين بالقوس والسهم". انظر:

- Perruchon:op, cit, pp.48-49.

الشوا الذين كانوا في بلاطه، كل إلى بلاده، و يفهم من ذلك أن هذه الكتائب كانت في منزلة المسؤول الأول عن تأمين شخص الإمبراطور والمكان المتواجد فيه[1].

أما عن الدور الحربي لفرق الشوا، فتذكر تلك المصادر أيضًا استعانة كثير من أباطرة الأسرة السليمانية بجنود الشوا في إخماد التمردات التي نشأت في المقاطعات المختلفة، وذلك باشتراك هذه القوات مع كتائب الجيش والحرس الملكي، فيذكر النص الملكي في عهد الإمبراطور (زرء يعقوب) أنه حين أراد إحضار تابوت أبيه (داود) من مدينة صهيون بالطرق السلمية أرسل إلى أهل (مواعال) ثلاثة من (الصاسرجوتش)[2]، وهم (أب رداني، وجبرو، ومطوس)، إلا أن أهل المدينة رفضوا تسليمهم التابوت، وهنا كلف الإمبراطور فرقة من جنود الشوا بإحضار هذا التابوت، وقد نجحت هذه الفرقة، لا في إحضار التابوت فحسب، بل في أسر كل رجال المدينة الذين رفضوا أمر الملك[3].

كما يذكر النص الحبشي في عهد الإمبراطور (بئيد ماريام) اشتراك هذه الكتائب في محاربة من أطلق عليهم (الدوبينا)[4] الذين سببوا الكثير

1- "وأرسل عندئذ كل كهنة الدبترا وجنود الشوا الذين كانوا في بلاطه، كلًا إلى بلاده". انظر:

- Perruchon:op,cit, p.129.

2 - هم حاملوا الزينة الملكية. انظر:

- Perruchon:op,cit, p.84.

3- "وأحضر تابوت ملكنا داود، بعد أن أرسل إليهم الصاسرجوتش الذين يدعون: أب رداني، جبرو، ومطوس قائلين لهم: أن جاءوا إليكم بأمر الحطي والبطاركة. لا تعطوا تابوت ملكنا، لهذا السبب غضب الملك على أهل المدينة أولئك، وأرسل إليهم (فرقًا من) جنود الشوا الذين يدعون بأدل جان، فأسروا كل رجال المدينة الذين رفضوا أمر الملك، هم ونساءهم وأولادهم، وأحضروهم إلى باب الملك" انظر:

- Perruchon:op,cit, p.84.

4- تنسب هذه القبيلة إلى أحد الزعماء المسلمين الذي يدعى يحيى في القرن الثالث عشر الميلادي، ويطلق عليهم ألفاريز اسم "الدوباس" نسبة إلى اسم بلادهم، والمعروف أنهم فرع من قبائل المورة المسلمين، ويذكر أليدا أنهم كانو رعايا مملكة تجري، كما يذكر العديد

من الاضطربات للمملكة، إذ كانت غزاوتهم مقلقة للإمبراطور. كما أننا نجد أنه حين استمرت هذه الحروب لمدة طويلة لاعتماد الدوبينا على حروب الإغارات التي تعتمد على الكر والفر. لذلك أمر الإمبراطور كل جنود الشوا في البلاد بالسير إلى الدوبينا[1] وفي أرض "صوتا" أقام الإمبراطور معسكرًا لجنوده و قام بتنظيمهم إلى عدة فرق و أقام لكل فرقة منهم معسكرًا خاصًا[2].

ورغم أن المورخ الملكي ذكر أن الإمبراطور أمر فرق الشوا بالبقاء معه في محاربة الدوبينا، إلا أنه ناقض نفسه بعد أن تم هزيمتهم في معركة قتل فيها كثير من المسيحيين، وعلل هذه الهزيمة بأنهم لم يأخذوا رأي الإمبراطور الذي لم يتلق الإذن من ربه يسوع للدخول في هذه المعركة، وعلى ذلك دخل قادة الشوا إلى الإمبراطور لمعاتبته أنه لم يأذن لهم بخوض هذه الحرب[3].

من الباحثين أن هذه القبيلة قد عاشت على الغزوات المتكررة على طرق القوافل التجارية، وقد تميزت غزواتهم بالكر والفر لا المواجهة المباشرة على حدود المقاطعات مما سبب للمملكة الحبشية بعض الاضطربات السياسية، وقد اتسع نشاط هذه القبائل حتى استطاعت احتلال أقصى حدود الهضبة الشرقية في الحبشة. كما كانوا كثيري الإغارات على المساحة الممتدة بين ديبروا إلى حيق، وقد استطاعت قوات الإمبراطور إياسوا الأول (1730-1755م) هزيمتهم في الكثير من المواقع وهو الأمر الذي أدى إلى انتشارهم واختلاطهم بقبائل الياجو (فرع من قبائل الجالا) حيث عاشوا بعد ذلك في منطقة يوجيرتا حتى عام 1814م ولم نقرأ عنهم في التاريخ بعد ذلك شيئًا آخر. انظر:

- Trimingham : op,cit, p.81.See also Almeida op,cit, p.15.

1- "وبينما كان عندها (أرض داجو) جاء كل جنود الشوا في إثيوبيا للسير إلى الدوبينا، انظر:

- Perruchon:op,cit, p.132.

2- "وأمر أن يقيم جنود الشوا كذلك معسكرًا لكل منهم: (فرقة) الجان صجنا بمفردها، وأهل بالي بمفردهم، ومثلهم أقام جميع الشوا التابعين لفطجار، وجدم، وجن معسكرًا". انظر:

- Perruchon:op,cit, p. 137.

3- يا سيدنا كنا نقاتل أمبا نحد عن صلمت مثلما أمرتنا، ولكن حين سرت إلى أرض الدوبينا لماذا لم تستدعنا حتى نتقاتل معهم؟ ألم يعينا أبوك هنا من أجلهم؟ والم يكن

وعلى أية حال فبعد إخضاع أهل الدوبينا وإصدار عفوٍ عنهم، قام الإمبراطور بتعيين بعض قادة الشوا على الدوبينا داعيًا أسماءهم "داويت أمبا، وبمان جدفو"[1]. كما قام بتعيين البعض الاخر من قادة الشوا أيضًا في بعض المدن الأخرى[2].

وبالرغم من القداسة والإعزاز الذي كان ينظر به هؤلاء الجنود إلى الإمبراطور، إلا أنه كان عرضة للثورة عليه، ورغم تأكيد المصادر الحبشية ارتفاع درجة ولاء جنود الشوا للإمبراطور الحبشي، إلا أن ذلك لم يمنع أحيانًا من التمرد عليه، فقد أشارت تلك المصادر إلى اشتراك هؤلاء الجنود مع من يدعون "التناشي"[3] وقرروا مع تابعي (جراد بالي) الذي يدعى (جبر إياسوس) وجميع جنوده الهجوم على مقاطعة عدل، ما حدا بالإمبراطور إلى استدعائهم إلى البلاط، وأمر بعض الفرسان والمشاة الذين كانوا في بلاطه بإحضارهم عن طريق ما يعرف بالشكائم[4]

من الأفضل أن يقاتل الجميع، كل في بلده حيث يعرف طرقه وولكننا الآن عبيدك، نرجو سعادتك، وننفذ مشيئتك، ونموت من أجلك حتى نهزم أعداءك أهل الدوبينا". انظر:

- Perruchon:op,cit, p.143.

1 - "وعين بينهم جنود شوا داعيًا أسماءهم: داويت أمبا، وبمان جدفو". انظر:

- Perruchon:op,cit, p.148.

2 - "وقد تعاهد هؤلاء مع ملكنا بنيدماريام وجددوا الكنائس التي كانوا قد أحرقوها في مدنهم من قبل، وقد نظم لهم قوانيين الشريعة المسيحية، وعين جنود شوا جددًا". انظر:

-Perruchon:op,cit, p.173.

3 - التناشي: كلمة أمهرية تعني الشخص الذي أتى لعقد السلم، أو هو سفير السلم، ويرجح بعض الباحثين أنهم أتباع الإمبراطور من المسلمين المسالمين الموجودين في بالي كفرق عسكرية تابعة للإمبراطور، انظر مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص 111.

4 - الشكائم: هي سيور تصنع من جلد الثيران في صليب برتديه الرهبان. انظر:

- Abu Salih The Armenian: Churches & Monasteries of Egypt and Some Neighbauring Countries, Translated by. B.T.A Evetts, The Clarendon press, Oxford, 1895, p.164.

واقتادوا هؤلاء التناشي الذين يبلغ عددهم ألف وستمئة وستون شخصًا وساقوهم بها إلى الإمبراطور[1].

على أنه ينبغي ألا يفهم من ذلك أن هذه الفرق العسكرية كانت متمردة على الإمبراطور الحبشي بصورة مستمرة، فقد ذكر النص الحبشي في عهد الإمبراطور (ناؤود) أنه حينما تمرد (تكلا كرسيوس) على الإمبراطور واستطاع الهروب إلى مقاطعة شوا، ومنها رحل أثناء الليل إلى مقاطعة إيفات مع أصدقائه، كما سعى إلى استمالة كل جنود الشوا الذين كانوا في هذه المحافظة، إلا أنهم لم يستجيبوا له، واستطاعوا إلقاء القبض عليه واقتادوه مقيدًا بالسلاسل إلى الملك الذي قام بنفيه، إلا أن بعض أفراد الحرس الملكي قاموا بفقء عينيه أثناء ترحيله إلى المنفى، كما تم اعتقال العديد من أنصاره[2].

أما في عهد الإمبراطور (لبنا دنجل) فيذكر النص الحبشي أن هذه الكتائب المختلفة سواء الملازمين للإمبراطور (الذين أطلق عليهم كتائب الحرس الملكي) أو الموجودين في المقاطعات المختلفة، أنهم اشتركوا مع الفرق العسكرية للجيش الحبشي في الحروب العديدة التي خاضتها

1- "وفي أرض الامالاي بينما كان هناك أخبروه أن من يدعون التناشي، وتابعي جراد بالي الذي يسمى جبر إياسوس قد خططوا هم وجميع جنود الشوا في مدينة بالي (قائلين): نسير إلى عدل، وحين سمع ذلك الأمر أمر أن يحضروا هؤلاء الناس الذين دبروا هذا التدبير الشرير على وجه السرعة، دون أن يبقوا لهم أي شيء في مدينتهم... ولكن الملك أمر أن يعدوا الخيالة والمشاة الذين كانوا في بلاطه، ومنح كنيسة بيت جنساني عشرة ثيران كي يذبحوها ويأكلوا لحمها، وقال لهم: أما جلودها فاجمعوها وجهزوها. وقبضوا عندئذ على هؤلاء التناشي وعددهم ألف وستمئة وستون، ووضعوا في رقابهم شكائم صنعت من جلد الثيران الذي ذكرته آنفًا، وساقهم جميع جنود الشوا خداري إلى أرض جودجام...". انظر:

- Perruchon:op, cit, pp. 158-159.

2 - "ووصل إلى أرض إيفات وسعى أن يضم إلى عمله الظالم كل جنود الشوا الذين كانوا في هذه المحافظة، ولكن هؤلاء وهم عارفون بتفكيره تركوه بسبب خيانته وقيدوه بالسلاسل واقتادوه إلى الملك". انظر:

- Perruchon:Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.364.

المملكة السليمانية ضد المسلمين بقيادة الإمام أحمد بن إبراهيم الجران[1].

أما عن عمل هذه القوات العسكرية في أوقات السلم، فقد كان الإمبراطور يكلفها بإنجاز بعض المهام السريعة، فقد اشترك هؤلاء الجنود في بناء كنيسة الرب يسوع المسيح التي لم يستغرق بناؤها أكثر من ثمانية أيام حين أمرهم الإمبراطور بالإسراع[2]. وعندما شرع (زرء يعقوب) في بناء قصر يدير منه شؤون الحكم في دبر برهان أمر جنود الشوا بمساعدة البنائين في بناء ذلك القصر والسور المحاط به[3]. كما اشترك جنود الشوا أيضًا في إقامة المراسم المختلفة مع الإمبراطور الحبشي عند زيارة الإمبراطور للمدن المختلفة[4]. وعندما أمرهم (بئيد ماريام) بالذهاب إلى أرض "مبرا" لمحاربة الدوبينا إن وجدوهم، وإن لم يجدوهم يقوموا بتعبيد الطريق[5].

1 Manfred Kropp: Die Geschichte Des Lebna- Dengel,p.5-21.

2- "ولهذا أحب الجميع ذلك المكان، فأسماه دبر برهان، وبنى هناك كنيسة مزينة، باسم ربنا يسوع المسيح، وأكمل كل الصناع، وكل ولاة الشوا بناءها في خلال ثمانية أيام، حين أمرهم الملك بالإسراع". انظر:

- Perruchon:Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p. 71.

3 - "وأمر أن يساعدوا جميع جنود الشوا الذين كانوا عند عتبتها لبناء القصر، وبناء السور". انظر:

- Perruchon:op,cit, p.73.

4 - "وكذلك جاء الملك إليهم مقيمًا مراسم معقدة مع كثير من فرق الشوا والجنود". انظر:

- Perruchon:op,cit, p.117.

5- "وأرسل عندئذ جنود الشوا إلى أرض "مبرا" كي يتقاتلوا إن وجدوهم، وإن لم يجدوهم يمهدوا الطريق، وحين ذهب جنود الشوا هؤلاء، لم يجدوا شعب الدوبينا، فعادوا وقضوا أيامهم في إصلاح الطريق". انظر:

- Perruchon:op ,cit, p.138.

- ويشير بعض الباحثين إلى أن الحبشة في العصور الوسطى لم يكن بها سوى أربع طرق ممهدة يمكن السير فيها، وهو ما جعل الإمبراطور يسند مهمة إصلاح بعض الطرق أمام الموكب الإمبراطورى عند سيره، في حين يشير البعض الآخر من الباحثين أن هذه المهمة لم تكن ضمن مهام جنود الشوا، وإنما كان ذلك نوعًا من العقاب لهؤلاء الجنود بسبب

أما عن علاقة الإمبراطور بهذه الكتائب. فقد تميزت بالمودة والولاء فيما بينهم. فقد كان الإمبراطور يعقد لهم الكثير من الولائم حتى يرضيهم، إذ تشير المصادر أنه حين تكتمل مراسم طقس القربان يعطون جميع جنود الشوا الخبز. وشراب العسل المخمر حتى يشبعوا للغاية[1]. ويذكر أن هناك جزءًا مخصصًا من الضرائب المفروضة على المقاطعات يذهب إلى كتائب الشوا. كما أننا رأينا شيئًا جديدًا في عهد (بئيد ماريام) لم يكن لدى سابقيه وخلفائه من الأباطرة في تلك الفترة وهو الحرص على تزين جنود الشوا بملابس فاخرة، وخروج الإمبراطور بنفسه لتوديع جنوده[2].

ወእንዘ ፡ ያሠርግ ዎሙ ፡ በአልባስ ፡ ክቡራት ፡ ምስለ ፡ ብዙኅ ፡ ፄዋ ። ወለሊሁኒ ፡ ንጉሥ ፡ ለፄዋ ፡ እማኅደሩ ፡ አስተፈነዎሙ ፡ በክብር ፡ ወበዕበይ ፡ ወወሪዶሙ ፡ እሉ፡

ج- فرق حكام المقاطعات

شكلت قوات حكام المقاطعات جزءًا كبيرًا من القوات الملتحقة بالجيش النظامي الحبشي، بعد أن تعهد هؤلاء الحكام بدعم الجيش

فرارهم من المعركة". انظر مراد كامل: الحبشة بين القديم والحديث، محاضرة ألقيت بالجمعية الجغرافية المصرية يوم 4 مارس عام 1959م، ص ص 10-11، انظر أيضًا

- Roland Oliver Anthony Atmore :op ,cit,p.52.

1- وحين يكتمل طقس القربان، يعطون جميع جنود الشوا الخبز، وشراب العسل المخمر حتى يشبعوا للغاية". انظر:

- Perruchon:op,cit, p.36.

2- "حيث زينهم وكثيرًا من جنود الشوا بملابس فاخرة، وودع الملك بنفسه جنود الشوا من مسكنه بالتقدير والاحترام". انظر:

- Perruchon:op,cit, p.180.

النظامي للدولة الحبشية حين تم إسناد مهمة حكم المقاطعات لهم[1]. كما كان حاكم كل مقاطعة يحتفظ بقوة دائمة، إضافة إلى القوة الاحتياطية التي يستدعى أفرادها في وقت الحرب[2].

وإضافة إلى قوات حكام المقاطعات التي كانت تنضم للجيش الحبشي، انضمت له أيضًا الفرق التابعة لأصحاب الإقطاع، والتي تباينت أعدادها بتباين عدد الأفراد التابعين لصاحب الإقطاع، وطبقًا لعدد قوات كل صاحب إقطاع منهم، و رغم أنها في الغالب كانت أقل عددًا من تلك القوات التي جلبها حكام المقاطعات. إلا أن الحكم الملكي اعتمد بدرجة كبيرة على هذه القوات رغم الشك في ولائها (نظرًا لقيام كثير من أفرادها ببعض الثورات)[3]، و قد كان قوام هذه القوات في الغالب من أهالي المقاطعات المختلفة والمتمثلة في القبائل المختلفة في الدين واللغة، وقد احتفظت قوات كل إقليم بخصائصها المحلية واشتركت في الحروب في شكل فرق متعددة، مثل فرقة التيجري- ولاستا- وأمهرا – وشوا[4].

وإمعانًا في تفتيت وتقسيم الجيش فقد عمد الأباطرة الأحباش كذلك إلى تقسيم كل فرقة إلى وحدات أصغر بحيث يتولى قيادة كل وحدة منها قائد محلي[5]. والغالب أن كل وحدة منها كانت مكونة من قبيلة معينة، وينضم هؤلاء القواد جميعًا تحت قيادة قائد الجيش في المقاطعة الذي يطلق عليه لفظ الرأس Ras[6]. وكان مسؤولًا عن تعيين هؤلاء القواد المحليين، وبذلك كان الجيش الملكي يتكون من عدد من الرؤوس يشكلون

1 - بولس مسعد: المرجع السابق، ص36.

2 - Taddesse tamrat: op,cit., pp.89-90.

3 - Mordechai Abir: op,cit., pp.70-79.

4 - عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا، دار مطبعة يوسف، القاهرة، ص45.

5 - Francisco Alvarez: op, cit ,p.306.

6 - Francisco Alvarez: op, cit ,p.426.

جميعًا المجلس الحربي للإمبراطور الذي يستشيره في المهام الحربية الخطيرة[1].

وفيما يختص بطريقة انضمام جنود المقاطعات للجيش الحبشي، فالغالب أن جنود المقاطعات كانوا يأتون إلى العاصمة بأوامر من الإمبراطور، حيث يقوم أحد هؤلاء الجنود بحمل علم المقاطعة التي ينتمي إليها، حيث كان لكل مقاطعة علمها الخاص. إلا أنه يكاد يتماثل مع العلم الحبشي في الطابع العام[2].

أما عن الأسباب التي دعت الملوك الأحباش إلى تقسيم الجيش إلى فرق من أقاليم وأجناس مختلفة، فهي تتلخص أساسًا في اعتقادهم بأن اتخاذ الجيش من جنس واحد مدعاة لظهور الأخطار والتخريب والفساد، وعدم الجدية في البلاء في الحرب، حيث تكمن خطورة الاعتماد على جنس واحد في انعدام التنافس بين أفراد الجيش في مجال الخدمة العسكرية[3]. أما في حالة التعدد في الأجناس فإن كل جنس منهم يقاتل في المعارك والحروب ببسالة حفاظًا على سمعته، ولكي لا يقال إن الجنود من هذا الإقليم وهنوا وتقاعسوا في القتال، وكان كل فريق في القتال يبلي بلاء حسنًا ويبذل غاية جهده إظهارًا لقدرته وتفوقه على الآخرين[4].

وقد وضع زرء يعقوب نظامًا لسرعة جلب جيوش المقاطعات في حالة استدعائها، وأصبح بذلك قادرًا على تعبئة الجيوش الكبيرة في وقت قصير نسبيًا[5]، خاصة أنه أصبح هناك وحدات جيش جاهزة في المناطق الخطيرة (خاصة ضد القبائل الرعوية التي تميزت بأسلوب الكر

---

1 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p.48.

2 - Harold G. Marcus: op, cit, pp. 19-20.

3 - Harold G. Marcus:op, cit, p.22.

4 - Roland Oliver: The African Middle Age 1400-1800,p.49.

5 - Mordechai Abir Ethiopia and The Red Sea. p.47.

والفر). وهكذا استطاع ملوك الحبشة تكوين فرق عسكرية بلغ عددها أربع وعشرين فرقة. كما زاد عمدا صيون عدد هذه الفرق بإنشاء عدة فرق متخصصة في أنواع معينة من الأسلحة. فإنشاء فرقة خاصة مسلحة بالسيوف. كما أنشأ أخرى من حاملي الدروع الذي يستعمل لحراسة النبالين مما يزيد من فعالية الجيش[1].

أما جيوش المسلمين والتي تميزت بكثرة أعدادها، فقد انقسمت أيضًا إلى قبائل، وكانت كل قبيلة تمثل فرقة في الجيش، وكانت كل فرقة متخصصة في استخدام نوع معين من الأسلحة في المعارك إضافة إلى استخدامها باقي أنواع الأسلحة[2]. فيذكر عرب فقيه أن الإمام أحمد قسم جيشه، حيث كانت قبيلة جري من أهل الخيل، وقبيلة هرتي أهل السيوف، وقبيلة يبري أهل القسي[3]. لكن جيشه كان من المتطوعين الذين يلتحقون بالجيش لفترة محدودة، أو دائمة لتأدية فريضة الجهاد[4]، ولذلك لم يكونوا مطيعين له تمامًا، ففي بعض الأحيان كانوا يخالفون أوامره مثلما حدث بعد انتصاره في معركة صمبر كوري عام 935هـ/1529م، كما تكرر هذا العصيان عندما دخل إقليم فطجار ورفض الجند دخول الحبشة وأجبروه على العودة إلى هرر، "فتعب الإمام وبكي بكاء شديدًا حتى أحمرت عيناه من شدة البكاء"[5].

4- الشفتا ودورهم العسكري في الحبشة

أطلق تعبير الشفتا على عصابات اللصوص وقطاع الطرق الذين انتشروا بالمملكة الحبشية بداية من القرن الرابع الميلادي في عهد الملك عيزانا، واستمروا بها طوال عهد الأسرة السليمانية. ولقد تخصصت

---

1 - Taddesse tamrat: op.cit., pp. 89-92.

2 - Roland Oliver Anthony Atmore: op.cit, pp. 114-118.

3 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 154.

4 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. pp.84-85.

5 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 23-24.

هذه العصابات في الإغارة على القرى والمدن والقوافل التجارية، وقامت باختطاف الرجال والنساء والأطفال لبيعهم في أسواق الرقيق المختلفة داخل وخارج الحبشة[1]، والاستيلاء على أموال القوافل التجارية وبضائعها، كما كانت تستولي أيضًا على أموال ومواشي سكان القرى[2]. وكانت هذه العصابات في ذاك الوقت لا تتردد في قتل كل من يتصدى لهم من الأهالي والرعاة وأصحاب المواشي التي يستهدفونها[3].

ولم تقتصر خطورة هذه العصابات على قوة وشراسة أفرادها فحسب، بل ازدادت خطورتهم باستمرار في ظل انضمام بعض القبائل التي كانت تعيش على الحدود الشرقية والغربية للمملكة إليهم، إضافة إلى اشتراك قبائل البجة والزنافج التي كانت تعيش على الرعي مع تلك العصابات[4].

ولم يتوقف نشاط عصابات الشفتا عند حد إلحاق الضرر بالأهالي فقط، بل لم تسلم الكنيسة نفسها من شرهم، إذ سرقوا أكثر من خمسين بقرة تابعة لها، وأحرقوا خلايا النحل الخاصة بها، فضلًا عن إشعال النار في بعض مزارعها[5]. وقد ساعدت عوامل عديدة على اتساع نشاط تلك العصابات، يأتي في مقدمتها تلك الحروب التي لم تنقطع في الحبشة خاصة في عصر الأسرة السليمانية وعدم قيام حكومة مركزية فيها، مما أدى إلى عدم استقرار الأمن والسلام[6]، فضلًا عن وجود العديد من الاضطرابات الأمنية الأمر الذي أدى في النهاية إلى اتساع

---

1 - Paul E.le Roy: Slavery In The Horn Of Africa. " Horn Of Africa" , Vol 2 ,N3, July, September 1979,p.24.

2 - منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص6، زاهر رياض: الشفتا، ص215.

3 -Francisco Alvarez: op.cit., pp.277-279.

4 - استطاعت هذه القبائل أن تكون من نفسها عصابات جديدة تمارس هذا النشاط. انظر الحيمي: المصدر السابق، ص86.

5- Francisco Alvarez: op.cit., p. 195.

6 - رجب عبد الحليم: موقف الحبشة من ممالك الزيلع، ص631.

نشاط هذه العمليات، أخذًا في الاعتبار أن كثرة الجبال الطبيعية بالحبشة - والتي اتخذت منها تلك العصابات مسكنًا لها - زاد من ضعف الحكومة وعدم قدرتها على السيطرة على تلك العصابات خاصة في ظل المناخ الحار الذي كان ينهك جنود الحكومة في تلك المناطق[1].

وقد استشعر معظم سكان الحبشة الخطورة الشديدة لتلك العصابات، حيث عمدوا إلى حمل السلاح معهم أينما ذهبوا خاصة في حالات السفر بين المقاطعات المختلفة، وقاموا بالتدريب على استخدام السلاح كمحاولة للدفاع عن أنفسهم ضد أي مخاطر ناجمة عن التصدي لهذه العصابات[2]. إلا أن أفراد هذه العصابات لم يتيحوا أي فرصة لمقاومة الأهالي لهم فكانوا يقتلونهم ويقتلون المواشي الخاصة بهم في حالة الفشل في سرقة هذه المواشي وذلك لكي يشفوا غليلهم. وفي هذا الشأن يشير ألفاريز أنه رأى الطرق مليئة بالرجال والنساء والأطفال يحمل الكثير منهم أسلحتهم، فالبلاد دائمًا ما تكون في حالة حرب[3] وكان السكان على دارية كاملة بالطرق التي تتواجد بها تلك العصابات والطرق الآمنة منها، فقد كان هناك طرق شبه مأمونة يقطنها بعض العصابات يستطيع التغلب عليها، وكان هناك طرق غير مأمونة خاصة للمسافرين. يذكر أن تلك العصابات كانوا محاربين جيدين متمارسين، يعرفون فنون الحرب والقتال حيث كانت الجبال مجالًا واسعًا للتدريب عليها[4].

---

1 - زاهر رياض: الشفتا في إثيوبيا منذ العصور الوسطى، ص 215-226.

2 - لقد كانت القوافل التجارية تتعرض لسلب تجارتها وقتل بعض أفرادها، وذلك أثناء مرورها في الأنحاء المختلفة من الإمبراطورية، حتى أن هذه القوافل كانت تحرص علي أن تكون كبيرة العدد مدججة بالسلاح الكفيل بحمايتها. انظر.
Francisco Alvarez: op.cit., pp.283-301.

3 - يمدنا الأب الفاريز بكثير من الوقائع التي تبين أن السفارة البرتغالية قاست الأمرين من جراء حوادث السرقة والقتل، فقد فقدت سيوفًا، وخوذة، وملابس متنوعة، وعباءة، وأربعة أوعية نحاسية، وأربعة أواني. انظر:
- Francisco Alvarez: op.cit., pp.104-108,137.

4 - الحيمي: المصدر السابق، ص 88.

لم يكن لعصابات الشفتا غرض سياسي واضح تسعى إليه، كما أنها لم تستهدف الإطاحة بأحد الملوك أو منافسته على مقعد الحكم، إنما كان هدفهم الأول الإغارة على القرى والمدن واقتحامها ونهب أموالها. وقد انتهز قادة وزعماء هذه العصابات حالة الفوضى والاضطرابات التي ألمت بالبلاد خلال فترات ضعفها لتحقيق أغراضهم أو للانضمام إلى أحد الجيوش المعارضة للحكومة مقابل الاستيلاء على ما يقع تحت أيديهم من غنائم[1]. ولم يتمكن الأباطرة الأحباش أو حكام المقاطعات من التصدي لهم، بل ربما شجعهم البعض مقابل مشاركتهم في اقتسام هذه الأموال من ناحية، وكمحاولة لكسب ولائهم من ناحية أخرى[2].

علاوة على ما سبق فقد استعان أباطرة الحبشة بهذه العصابات في أحيان كثيرة لضرب المسلمين والإغارة علهم وسرقة أموالهم ومواشيهم، وربما أمدهم البعض باحتياجاتهم من الأسلحة التي تساعدهم على أداء هذه المهام. وقد أشار عرب فقيه إلى كثير من هذه الإغارات على مقاطعات المسلمين والتي استهدفت إثارة الفتن في بلادهم[3]، وكان ذلك

1 - Sergew Hable Selassie: op, cit., p.69.

2 - ويقول الأب ألفاريز إنه قيل له إن هناك زعيمًا من عصابات الشفتا مكلفًا بنصب خيام الإمبراطور، وذلك دون أي مقابل وانه يتلقى أتعابه من السرقة، وأن هذه العصابات ذات قيادة منظمة وتؤدي ضرائب عما تسرقه. انظر:

- Francisco Alvarez: op.cit., pp.110,166,199.

3 - كان أباطرة الحبشة ينتهزون فرصة أي خلاف يقع بين ملوك الزيلع وبين أمرائهم وقوادهم ورعاياهم، فيغرون هؤلاء على الهروب إليهم ويولونهم المناصب ويهبونهم الإقطاعات وتجنيدهم لحرب المسلمين، وليس أدل على ذلك من أن حاكم مدينة قاقمة الذي كان الإمام أحمد بن إبراهيم قد عزله عن حكمها، وذلك لشكوى الناس منه، ومن ظلمه لهم. فاغتنم إمبراطور الحبشة الفرصة وجذب ذلك الأمير إليه وولاه على هذه المدينة نفسها جرذًا أي حاكمًا. انظر عرب فقيه: المصدر السابق، ص 94.

Taddesse tamrat: op.cit., p. 114.

عاملًا مهمًا من العوامل التي أدت إلى ثورة بعض مسلمي الزيلع بهدف القضاء على هذه العصابات والإطاحة بها[1].

وحينما انقسمت المملكة الحبشية بين أكثر من أمير يرغب كل منهم في اعتلاء العرش مثلما حدث بعد أن مات الإمبراطور ناؤود بن أدماس Na'od (900-914هـ/ 1494-1508م). استعان كل أمير منهم بأحد عصابات الشفتا وعمد إلى تجنيدهم وتمويلهم بالأسلحة اللازمة مقابل قيامهم بنهب البلاد وحرقها ليثبت ضعف الأمير الحاكم وعدم قدرته على إدارة شؤون البلاد. إلا أن هذه العصابات قد استغلت هذه الحالة من الفوضى، وعبثت في البلاد متطلعة إلى تحقيق أغراضها في السلب والنهب[2] وكانت لا تتردد في التحالف مع أي أمير يدفع لها أكثر. ولم يتوفر لأي من هؤلاء الأمراء الثائرين القدرة على إيقاف الأضرار الاقتصادية التي أوقعتها هذه العصابات في جميع أنحاء البلاد[3].

وهكذا استمر نشاط عصابات الشفتا في الاتساع بجميع أرجاء المملكة الحبشية، إلى أن بدأ بعض أباطرة الحبشة الأقوياء الذين لم يكن يرضيهم عمل هذه العصابات في التصدي لهم. فلم يكد عمدا صيون (714-745هـ/ 1314-1344م) يسمع عن اتساع خطر الشفتا خاصة في الأجزاء الشرقية من البلاد حتى دخل في حرب طويلة معهم استمرت لأكثر من أثني عشر عامًا مما اضطرهم إلى هدوء عملياتهم[4]. كما استطاع داود (784-814هـ/1382 – 1411 م) الحد من نشاطهم

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 31.

2 - انغمس ملوك المسلمين في النصف الثاني من القرن الخامس عشر والربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي، في الصراع على كرسي الحكم، وكذلك في الصراع مع هؤلاء الأمراء الأئمة حتى ينتقصوا من سلطاتهم أو يقضوا عليهم، إذا سنحت لهم الفرصة بذلك وكانوا في ذلك أيضًا يستعينون بتلك العصابات. انظر:

- Trimingham: op.cit. p. 48.

3 - السخاوي: المصدر السابق، ص71.

4 - القلقشندي: صبح الأعشي، جـ5، ص 378.

ووقف اتساع عملياتهم، حتى جاء زرء يعقوب (838-873هـ/ 1434-1468م) والذي أراد القضاء عليهم نهائيًا حيث نجح بالفعل في تحقيق هدفه إلى حد ما[1].

مما سبق يمكن استخلاص أن الدور العسكري لعصابات الشفتا لم يرجع إلى خطورتهم، ولا إلى رغبتهم في تحقيق أي مكاسب سياسية. فتلك العصابات لم يكن لها سوى أهداف محددة تدور حول سلب الأموال واصطياد الرقيق لبيعهم. وفي مقابل ذلك يمكن القول إن دورهم العسكري إنما جاء نتيجة ضعف بعض الأباطرة الأحباش في ذاك الوقت ورغبتهم في التحالف مع هذه العصابات لكسب ولائهم واستخدامهم في بعض حروبهم ضد المسلمين. وأيًا كان الأمر فلم تؤد محاولات الأباطرة للتحالف مع عصابات الشفتا إلى تحقيق أهداف هؤلاء الأباطرة بقدر ما أدت ذلك إلى الإضرار بالمصالح الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبلاد خاصة خلال فترات ضعفها.

5- دور الرقيق في الجيش الحبشي

نشأ الرق بالحبشة كظاهرة اجتماعية تقوم على استغلال إنسان قوي لإنسان ضعيف بدلًا من قتله. فالأصل أن يولد الإنسان حرًا، إلا أن يكون من رقيق فيولد حينئذ رقيقًا، ويكون ملكًا لمالك والديه. ولقد كانت الحروب الحبشية في بادئ الأمر عاملًا على نشأة الرق الحبشي، ثم أصبحت الرغبة في صيد الرقيق سببًا لشن الحروب[2]. وقد نجم عن التوسع في عمليات صيد الرقيق بالحبشة عدة نتائج حيث أصبح الرق

---

1 - وعندما اتسع نشاط تلك العصابات في عصر لبنا دنجل حتى اكتسحت قرى بأكملها تدمر بيوتها وتحرق كنائسها وتسوق أبقارها، اضطر ذلك الإمبراطور إلى الاستعانة بأحدهم وهو جانا سور انبري ومعه أتباعه لصد غارات هذه العصابات. انظر بدر السيد بدر نصار: المرجع السابق، ص88،

Francisco Alvarez: op.cit., pp.114,118,139.

2 - عبد السلام الترمانيني: الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، الكويت، نوفمبر1979، ص 15-16.

مصدرًا لاستثمار رؤوس الأموال وتوطيد الملكية الفردية، وبذلك أصبحت الثروة قوة اجتماعية[1].

وإذا كانت الحروب الحبشية هي بداية نشأة الرق في البلاد، فقد أضيف مصدر آخر للرقيق الحبشي وهو اضطرار بعض الحبشيين ممن استحكم فيهم الفقر وباتوا جياعًا إلى بيع أنفسهم أو بيع أولادهم، ومثلهم الذين أثقلت الديون كاهلهم وعجزوا عن الوفاء بديونهم[2]، وإضافة إلى ذلك فقد قضت بعض القوانين باسترقاق من يرتكب أعمالًا تؤدي إلى الإخلال بالنظام الاجتماعي والسياسي السائد. وبذلك تمثلت مصادر الرقيق في الحرب والفقر والجريمة[3].

وحينما ازداد الطلب على الرقيق الحبشي وازدادت الحاجة إليه، أضيف للرق مصدر آخر وهو الرقيق المجلوب من خلال عمليات الاختطاف أو الشراء[4]. فقد تألفت عصابات في بلاد الحبشة في البر والبحر تخصصت في الإغارة على القوافل أو على الجماعات الآمنة، فأسرت رجالهم وسبت نساءهم وأطفالهم وساقتهم إلى مدن بعيدة حيث تم بيعهم فيها، في الوقت الذي شجعت فيه الكنيسة والملوك هذه التجارة[5] حيث اعتبرت أن امتلاك العبيد حق مقدس للملوك[6].

---

1 - Richard Pankhurst: op.cit.p.73.

2 - K.Ingham:op.cit.p77.

3 - عبد السلام الترمانيني: المرجع السابق، ص17، بولس مسعد، المرجع السابق، ص60-63.

4 - أحمد شفيق: الرق في الإسلام، ترجمة أحمد زكي، القاهرة،1938، ص8.

5 - تجدر الإشارة إلى أنه بالرغم من دعوة السيد المسيح بالمساواة بين الناس، إلا أنه نتيجة الضغط الذي تعرضت له الكنيسة في عصورها الأولى، اضطرت إلى الإعلان بأن المساواة التي دعا إليها السيد المسيح إنما هي مساواة في الروح، أما الجسد فإنه يخضع لكل ذي سلطان عليه، ومن يقاوم هذا السلطان يدينه الله. فقد دعا القديس بطرس العبيد إلى طاعة سادتهم حين قال لهم: "كونوا خاضعين ليس للصالحين فقط، بل للعنفاء أيضًا حتى أن العتق لا بد وأن يكون أمام الكاهن وثلاثة من الشهود". انظر عبد السلام الترمانيني: المرجع السابق، ص 31.

6- Richard Pankhurst: The Ethiopians,p.58.

ورغم تعدد مصادر الرقيق الحبشي على النحو السالف ذكره، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن أهم هذه المصادر جميعًا هو مصدران رئيسان، يشير المصدر الأول منهما إلى أسرى الحروب التي قامت بين الممالك الإسلامية والمملكة النصرانية، ويؤكد النص الحبشي في عهد لبنا دنجل أن هذه الغارات أصبح لها طابع انتقامي يثيره التعصب الديني، وكان قراصنة كل ملة يغيرون على مناطق الملة الأخرى، حيث يأسرون الرجال ويسبون النساء ويسوقونهم إلى بلادهم[1]، وقد أخذت هذه العمليات طابعًا حربيًا عسكريًا[2].

ولعل ما يدل على كراهية رجال الدين المسيحي للمسلمين ما يؤكده النص الحبشي عن الإمبراطور[3].

كما نجد على الجانب الآخر ما فعله المسلمون أيضًا بالأحباش المسيحيين حيث يوضح النص الحبشي ذلك[4].

أما المصدر الثاني فقد تمثل في عصابات الشفتا التي انتشرت ونشطت في الحبشة (كما سبقت الإشارة) في صيد الجماعات الضعيفة التي لا تقوى على التصدي لها[1].

1 - Mordechai Abir: Salt,Trade and Politicsin Ethiopia in The Zamana Masafent.Journal of Ethiopian Studies, Vol.IV.No2.1966.p.8.

2 - " وأسر أبناء وبنات المسلمين وهدم مساكنهم التي هناك وأحرق بيوتهم الحبشية". انظر:
W. Conzelman: op,cit,p.37.
منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص65.

3 - " ويصعد إلى جبال المسلمين ويأسر كل من وجد..." حيث يتضح من النص أن الإمبراطور فعل ذلك بإيعاز منهم. انظر W. Conzelman: op,cit,p.38
، منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص65

4 - وسيطروا على الكنيسة الحبشية... وهدموا كل بيوت العبادة الموشاة أسوارها بالذهب والفضة والأحجار الكريمة... وقتلوا معظم المؤمنين بالخناجر وسبوا الشباب والعذارى وكذلك الأولاد والبنات ثم باعوهم عبيدًا بؤساء". انظر: W. Conzelman: op,cit,p.4.
منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص63.

أ- طرق صيد الرقيق الحبشي:

يمكن الإشارة إلى طريقتين أساسيتين لصيد الرقيق الحبشي وذلك من قبل التجار وعصابات الشفتا، حيث تتمثل الطريقة الأولى في قيام هؤلاء التجار وأفراد العصابات بتنظيم حملات مسلحة يطوفون خلالها بالقرى ليلًا والناس نيام، ثم يقومون بإشعال النيران في بيوت القرية المصنوعة من القش أو كانوا يطلقون الرصاص في الهواء، فيفزع السكان ويخرجون من بيوتهم حيث يغير التجار عليهم ويتصيدونهم ويسوقونهم إلى مراكز تجارتهم[2]. أما الطريقة الثانية لصيد الرقيق هي قيام التجار بشراء الأسرى الزائدين عن احتياجات الأباطرة الأحباش، أو يندس بعض هؤلاء التجار في الحروب حيث يقومون باختطاف الجرحى وعلاجهم ومن ثم بيعهم في أسواق الرقيق[3].

ونتيجة لكثرة الحروب الحبشية، وكذلك اتساع نشاط عصابات الشفتا، فقد ازدهرت تجارة الرقيق في الحبشة[4]، بحيث أصبح المصدر الرئيس لصادرات الحبشة إلى مختلف دول العالم، حيث اكتظت بهم بلاد الهند واليمن وهرمز والحجاز ومصر والشام والروم والعراق وفارس[5]، وكان يتم تصديرهم من خلال موانئ الزيلع وبربرة ومالندي وسواكن وعدول[6]. ومما ساعد على انتعاش تجارة الرقيق الحبشي حسن بلائهم ومهارتهم الفائقة في الحروب، لذلك زاد الطلب على هؤلاء الرقيق رغبة من الدول المستوردة في تجنيدهم بجيوشها، وليس أدل

1 - Henry Darley: Slaves and Ivory in Abyssinia, Negro universities Press, 1969, pp.62-65

2 - Paul B. Henze: op. cit , pp.64-65.

3 - Francisco Alvarez: op.cit., p 259 see also Paul E.le Roy: op.cit., p.24.

4 - فقد كان يباع الواحد من هذا الرقيق "بربطة ورق وبخاتم واحد نظرًا لرخصهم وكثرتهم". انظر. المقريزي، الإلمام، ص16، أحمد فؤاد بليغ: مؤسسة الرق من فجر البشرية حتى الألفية الثالثة، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى،2003، ص 38.

5 - المقريزي: الإلمام،ص 18.

6 - الحميري: المصدر السابق، ص284

على ذلك من أن معظم قوات الدولة الرسولية في اليمن كانوا من الرقيق الأحباش[1].

يذكر أنه بعد قيام التجار والعصابات بصيد الرقيق، كانوا يعمدون إلى إجراء عملية إخصاء الرجال منهم بمجرد صيدهم، حيث كانت مدينة شقلو مركزًا لإجراء عمليات الإخصاء، وقد تعرض الكثير من الرجال الرقيق لأخطار الوفاة من جراء وسائل الخصي المستعملة آنذاك. إلا أن من نجا منهم كان يرسل إلى مملكة هدية لتلقي العلاج اللازم[2]، "فتعاد عليهم المواسي مرة ثانية، حتى ينفتح مجرى البول، لأنه يكون قد انسد"[3]. ولذلك فقد اشتهرت هدية بتجارة الرقيق الخصيان الذين أطلق عليهم اسم "الطواشي"، والذين تميزوا بارتفاع أسعارهم. وقد انعكس ذلك في النهاية على ازدياد قوة هدية العسكرية حيث اعتبرت من أقوى ممالك الطراز الإسلامي عسكريًا، إذ قدر عدد المحاربين بها "بأربعين ألف فارس غير الرجالة فإنهم كثير مثل الفرسان مرتين أو أكثر"[4].

ب- <u>استخدامات الرقيق</u>

لعب الرقيق الحبشي دورًا بارزًا بالجيش الملكي، فقد اختص الأباطرة الأحباش بعض الرقيق الأقوياء الأمناء المخلصين، وأشركوهم في بعض التدريبات العسكرية حيث تم تأهيلهم كجنود في الحرس الملكي خاصة في ظل توسيع المملكة الحبشية[5]. وقد ظهر ذلك بجلاء أثناء سير الموكب الإمبراطوري بين المقاطعات المختلفة، علاوة على ذلك فلقد كان

1 - وقد استطاع هؤلاء الرقيق الوصول إلى مناصب الحكم في اليمن، بل أسقطوا دولة بني زياد. للمزيد انظر الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1975م، ص 180، 244.

2 - Henry Darley:: op.cit., p 68.

3 - المقريزي: الإلمام، ص 8.

4 - العمري: مسالك الأبصار، ص 44.

5 - K.Ingham:op.cit.pp79-80.

حكام المقاطعات والنبلاء يتخذون من هؤلاء الرقيق حراسًا وأمناء على أسرارهم وأعمالهم[1].

ومن الاستخدامات العسكرية الأخرى للرقيق الحبشي هي استغلاله كقوة نقاله لحمل المؤن والمستلزمات الحربية المختلفة، فقد سمح للفرسان والنبلاء (كما سبقت الإشارة) باصطحاب عبيدهم لمعاونتهم أثناء الحرب، حتى إذا أصيب أحدهم يمكن أن يقوم خدمه أو عبيده بمساعدته لإنقاذ حياته[2].

ونتيجة زيادة عدد أسرى الحروب من الرقيق بسبب كثرة الحروب بين الأمهرة ومسلمي الزيلع، فقد اتخذ الأباطرة الأحباش من هؤلاء الرقيق فرقًا إضافية بعد أن أعيد تدريبهم، وكان أول من أقدم على هذا العمل هو عمدا صيون عام 725هـ/ 1325م، والذي خطط لبناء جيش قوي عماده الأساسي هذه الفرق المكونة من أسرى الحروب والسكان المحليين في الأراضي التي تم احتلالها. وقد عهد إلى هذه الفرق بمهمة حماية حدود المقاطعات المختلفة، حيث نجحت بالفعل في دحر جيوش المسلمين من القبائل الرعوية والتي اتسمت بتباين نظامها وطرق تدريبها[3]. وفي عهد زرء يعقوب أعيد تنظيم الجيش من خلال توسيع فرق الحرس الملكي وزيادة عددهم بإضافة الجنود الجدد الذين جلبوا كرقيق من المقاطعات المختلفة[4]. وهكذا فقد شارك الجنود من الرقيق في العديد من الحروب الحبشية حيث قتل منهم أعداد كبيرة، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى معركة صمبر كوري عام 935هـ/ 1529م حيث "قتل عبدان طواشيان من أهل خزانة الملك أحدهما يسمى جوهر والآخر يسمى مندل"[5]. وخلاصة القول أن هؤلاء الجنود من الرقيق قد

1 - Francisco Alvarez: op.cit., p 248.

2 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea ,p.23.

3 - Paul B. Henze: op. cit , p.65see also Paul E.le Roy: op.cit., p.24

4 - Paul B. Henze: op. cit ,p.66.

5 - عرب فقيه: المصدر السابق، 34-35.

ساهموا في بناء واستقرار وحدات للجيش بالمناطق الحدودية وأدوا دورًا بارزًا في التصدي لهجمات المعتدين على المملكة أو على الأقل تأخير هجوم الأعداء وتعطيلهم حتى تصل التعزيزات من العاصمة[1]، وذلك علاوة على ما لعبوه من دور مهم في العمليات العسكرية ضد الزبالعة. وفي حمل لواء الملك الحبشي[2].

ولما كانت قوة كل حاكم من حكام المقاطعات المختلفة التابعة لملك الحبشة تقدر بما لديه من قوة عسكرية، لذلك اضطر هؤلاء الحكام إلى تجنيد آلاف الرقيق وإلحاقهم بجيوشهم للتباهي بمدى قوة وعدد الجنود بهذه المقاطعة أو تلك[3]. كما كان على هؤلاء الحكام إرسال بعض مما لديهم من رقيق كإتاوة سنوية إلى الإمبراطور الحبشي حيث كان يضمهم الإمبراطور إلى بلاطه لاستخدامهم في أعمال الخدم وتوفير متطلبات واحتياجات الإمبراطور فضلًا عن تدريبهم كمحاربين في الجيش إذا اقتضت الضرورة[4].

إضافة إلى ما لعبه الرقيق الحبشي من دور بالغ الأهمية بالجيش الحبشي، فلقد كان لهؤلاء الرقيق أدوار مهمة أخرى سلمية. فلقد استخدم النبلاء ورجال الكنيسة الرقيق في مجالات العمل الشاقة المختلفة خاصة في رعي الماشية و زراعة الأرض والخدمة في المنازل، لدرجة أن بيوت الأحباش الأثرياء كانت تزخر بالإماء والعبيد للقيام بأعمال الخدمة وقضاء الحاجات، فهم الذين ينقلون السلع والمحاصيل على رؤوسهم بدلًا من الدواب لخدمة النساء[5]. ويشار إلى أن مثل هذه

1 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea ,p.65.

2 - Trimingham,: op, cit, p. 83.

3 - Budge: op.cit., pp.298-301.

4 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea ,p.47.

5 - Mordechai Abir: Salt,Trade and Politicsin Ethiopia, pp.8-9.

الأدوار لم تكن قاصرة على الرقيق المملوك للنبلاء فقط، بل لم تتوانَ الكنيسة أيضًا في استخدامهم في مثل هذه الأغراض جميعًا[1].

وإضافة إلى استخدام الرقيق لخدمة نساء القصر الملكي والقيام بالأعمال المهنية الأخرى، فقد تم استخدامهم كذلك في حمل الهدايا القيمة لإرسالها إلى ملوك الدول الأخرى[2]، مثلما فعل الإمبراطور داود حيث أرسل إلى الظاهر برقوق سلطان مصر (874-791هـ/ 1382-1388م) التجار يرافقهم واحد وعشرين رجلًا من الرقيق يحملون الهدايا القيمة من القماش والتحف وعدة قدور ملئت بالذهب، وزباد وعود وجوار جبشيات وطواشية أحباش، وعد ذلك من تحف الحبشة وطرائفها، حيث صعدوا بها إلى القلعة لتقديمها إلى الملك[3]. كما أرسل زرء يعقوب وفدًا إلى مصر عام 848هـ / 1444م في عهد السلطان الظاهر جمقمق (842-857هـ/ 1438-1453م) وبرفقته تاجر رقيق يحمل أكثر من مائتي رأس من الرقيق كهدايا لهذا السلطان، كما استخدمهم الأباطرة الأحباش كذلك في ضرب المعارضين المسلمين للمملكة حتى أن أحد هؤلاء التجار (يدعى عبد الرحمن) قد تمكن من قتل سلطان عدل الإسلامية شهاب الدين أحمد بدلاي[4]، علاوة على بعض الاستخدامات الأخرى للرقيق في تأمين مرافق المملكة وبناء معابدها وقصورها وقلاعها وحصونها وأيضًا جهازها الإداري[5].

1 - صادق المؤيد العظيم باشا: رحلة الحبشة، تعريب رفيق العظيم وحقي العظيم، القاهرة، 1326هـ/1908م، ص103، .Paul E.le Roy: op.cit., pp.22-24

2 - Trimingham: op.cit., p.60.

3 - ابن إياس: بدائع الزهور، جـ1، ص 379.

4 - تجدر الإشارة إلى أن بعض المراجع العربية قد انساقت وراء إطلاق الأحباش لهذا الاسم (بدلاي) دون فهم المعنى، فالأحباش قد أردوا تحقير بدلاي بهذا الاسم الذي يعني في اللغة الجعزية (الحيوان أو المتوحش)، غير أن بعض الباحثين يرى أنها تحريف من كلمة" أورعي" وهو لقب أطلق على مشايخ المسلمين والتي يرى أنها من الهررية من كلمة aw التي تعني الأب، وكلمة رعي فيكون المعنى (الأب الراعي)، وللمزيد انظر المقريزي: الإلمام، ص 7-8، مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 34.

5 - يذكر أن الإمبراطور إسحاق استخدم أحد تجار الرقيق والأسلحة في توصيل رسالة إلى الحكام الأوربين، وذلك بغرض مهاجمة مصر. إلا أن هذا التاجر انكشف أمره وتم إعدامه في مصر. للمزيد انظر:

وهكذا تعددت وتباينت الأدوار التي قام بها الرقيق في بلاد الحبشة. إذا انضم بعضهم إلى الجيش الحبشي والحرس الملكي، فحملوا السلاح ضد أعداء الدولة، كما ساهموا في حماية حدودها والدفاع عن مصالحها. كما شارك هؤلاء الرقيق في مساعدة الجنود وخدمتهم في أثناء المعارك المختلفة خاصة الفرسان وكبار قادة الجيش. وأخيرًا كان للرقيق دور في السلم كهدايا إلى ملوك وسلاطين الدول الأخرى وكذلك في حمل أثقال السفراء والوفود القادمين إلى الحبشة علاوة على قيامهم بأعمال تأمين المرافق وبناء المعابد والقصور وغيرها.

6- حجم الجيش الحبشي

أولى الأباطرة الأحباش اهتمامًا بالغًا بزيادة أعداد الفرق العسكرية. كما حرصوا على عدم الاستغناء عن أي فرقة منها، وبذلك وصل حجم الجيش السليماني إلى أعداد ضخمة من الجند، الأمر الذي دعا بعض المؤرخين للادعاء بأن كثرة الجيش الحبشي باتت من الأمور الظاهرة المسببة للنصر[1]، كما أبرزت المصادر الحبشية عظم الجيش الحبشي وكثرة جنده[2].

ويؤكد عرب فقيه ضخامة أعداد الجيش الحبشي فيقول إن هذا الجيش "كالجراد المنتشر لا يحصيهم إلا الله تعالى".. كما قال أيضًا إن "عساكرهم لا تعد لكثرتها"، "وكانوا عديدون كالجراد ونجوم السماء أو كحبوب الرمل في ناحية البحر". كما ذكر عرب فقيه أيضًا: "وكان هناك

Paul B. Henze: op. cit ,pp.65 see also Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea ,p.24.

1 - Mordechai Abir:Ethiopia and The Red Sea. p.50.

2 - "وذلك بما لديه من جيوش غفيرة فهزمه جيش المسلمين في ظل الملك المسوح بالدهن الذي كان بينهم". انظر:

W. Conzelman: op,cit,p.14.

منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص18.

أربعة وعشرون بطريقًا، كل بطريق تحته جيش كثير لا يحصى"[1]، كما تؤكد المصادر الحبشية ما يرويه عرب فقيه[2].

ومما أظهر الجيش الحبشي بحجم أكبر أن النبلاء والفرسان وقادة الجيش كان لهم الحق في اصطحاب الخدم ممن يعدون لهم الأطعمة ويحملون عنهم الأثقال وبعض الأسلحة، كما سمح لهم أيضًا باصطحاب زوجاتهم معهم، وكان الغني منهم يفضل اصطحاب إحدى محظاياته بدلًا من زوجته[3]. ونظرًا لما ساهم به الخدم والزوجات ممن يصطحبهم النبلاء والفرسان في الزيادة العددية للجيش[4]، فقد قدرت بعض المصادر والمراجع التاريخية حجم الجيش الحبشي بأعداد كبيرة (قدرت بأكثر من خمسمائة ألف جندي بما في ذلك الفرسان والمشاة والزوجات والمحظيات)، إلا أن البعض الآخر يرى أن هذه التقديرات مبالغ فيها إلى درجة كبيرة، فلم يستقر الجيش على هذا الحجم طوال الوقت، حيث مر الجيش بفترات قوة وفترات ضعف، وكان الجيش الحبشي يصل إلى عدد من ذلك في فترات قوته (مثل عهود عمدا صيون وإسحاق وزرء يعقوب)، في حين كان يقل عدد الجنود عن ذلك بكثير في فترات ضعفه وخاصة حينما يتعرض للخسائر البشرية في أثناء المعارك[5].

---

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 38.

2 - "كثرة جيوشه ككثرة الجراد يتعدوا في عددهم العشرة آلاف... منهم الفرسان ولابسو الدروع الحديدي ومنهم المشاة... ومنهم من يقاتل بمنجنيق الزيت". انظر: W. Conzelman: op,cit,p.19

منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص41.

3 - زاهر رياض: العصر الأول من الأسرة السليمانية، ص112.

4 - يذكر أن الإمبراطور بند ماريام أبعد النساء عن المعسكرات عن أماكن المعركة، حتى لا ينشغل الجنود بهن أثناء المعارك، لكنه جمع كل النساء في معسكر خاص بهن، وتقوم الملكات زوجات الإمبراطور بالإشرف عليه. انظر:

Perruchon: op,cit, pp136-137.

5 - Paul B. Henze: op. cit , p.30.

وقد اهتم ملوك الحبشة بتدبير احتياجات جيوشهم من المؤن أثناء الحرب، خاصة في ظل اتساع الحدود وقيام بعض المعارك على بعد آلاف الأميال من العاصمة، فقد عمد هؤلاء الملوك إلى تشكيل فرق خاصة تتبع الإمبراطور مباشرة بحيث توكل إليها مهمة حمل المؤن إلى القادة، وكانوا يحصلون على هذه المؤن لجيوشهم من المناطق القريبة من ميدان المعركة. أما عن طبيعة تلك المؤن فكانت تشمل المياه والخبز بصفة رئيسة. وليس أدل على ذلك مما ذكره أحد الباحثين أنه في أثناء حكم الإمبراطور "لبنا دنجل" كانت هناك حملة تابعة له كانت تحمل المؤن إلى قادة الجيش لكنها أسرت في أيدي المسلمين[1].

وهكذا فقد توافر لدى الجيش الحبشي التموين الكافي له، وذلك أثناء دخوله إلى أي مقاطعة، حيث اهتم الأباطرة الأحباش وبخاصة زرء يعقوب بأمر توفير المؤن تحت كل الظروف، إلى درجة أنه حتى إذا أراد السفر أمر بحمل الكثير منها على سبيل الاحتياط، وكانت كثرتها تعجب الأمراء أثناء تناول الطعام[2]. وفي هذا الصدد يدلل بعض الباحثين على ذلك بالقول إنه أثناء دخول الجيش الحبشي في عهد زرء يعقوب من بلد إلى آخر، كانوا يتسببون في انخفاض أسعار السلع الغذائية نظرًا لما يجلبه معه الإمبراطور الحبشي من مؤن كثيرة زائدة عن حاجته فتسهم في زيادة السلع وبالتالي انخفاض الأسعار، فضلًا عن المكاسب الكبيرة التي تعود على التجار كنتيجة لكثرة تعداد الجيش وكثرة ما يحمله من إمدادات ومؤن[3].

ولعل من الأسباب الأخرى التي دفعت إلى الاهتمام بزيادة تعداد الجيش، هو ما أسند إليه من مهام أخرى غير عسكرية. ذلك أن بعض الفرق المنوطة بمهمة حماية المقاطعات أسندت إليها كذلك مهمة حماية

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 249.

2 - عبد العزيز إبراهيم: المرجع السابق، ص201.

3 - Jones and Monroe: op. cit.,p59.

القوافل التجارية خاصة تلك التابعة للأباطرة[1]، فضلًا عن تكليف فرق أخرى ببعض المهمات الداخلية مثل تعبيد الطرق وإعداد الأرض للزراعة، الأمر الذي تطلب دائمًا وجود أعدادًا كبيرة من الجند لاستخدامها سواء فيما يتعلق بالحروب أو المهمات الأخرى الداخلية[2].

بناءً على ما سبق فقد اتضح بجلاء قوة الجيش الحبشي في العدد والعدة، كما اتضح أيضًا اهتمام الأباطرة الأحباش بإصلاح نظام التعبئة فيه وإدخال أحدث أنواع الأسلحة[3]،إلا أن ذلك كله لم يمنع وجود العديد من المشاكل داخل هذا الجيش منها ضعف ولاء الجنود لهؤلاء الأباطرة، بل على العكس من ذلك يمكن الادعاء بفقد الأباطرة للسيطرة على الجزء الأكبر من الجيش، ذلك أن ولاء جنود المقاطعات كان يرتبط بحكام هذه المقاطعات أكثر من ولائهم إلى الإمبراطور نفسه نظرًا لعدم وجود حكومة مركزية[4]. علاوة على ذلك فقد عانى الجيش في أحيان كثيرة من افتقاد الترابط بين القادة في ميادين القتال وضعف القدرة على تنظيم أنفسهم في وحدات وأقسام مختلفة نظرًا لما تميزت به كل وحدة من نمط خاص في القتال وسلاح معين تخصصوا في استخدامه، الأمر الذي يمكن معه القول أن الجيش في أحيان كثيرة (خاصة في فترات الضعف) كان يمثل خطرًا على الحكومة الملكية، لا سيما خلال تلك الفترات التي تجاهلت فيها الأسرة السليمانية ظروف البنية الأساسية للثقافة الدينية والعسكرية لملكتهم المتباينة في ذلك الوقت[5]. هكذا لعبت المقاطعات دورًا مهمًا في جيش الإمبراطورية الحبشية، لذلك سنعرض تعين حكام المقاطعات الحبشية والمناصب العسكرية في تلك المقاطعات.

1 - فوزي مكاوي: المرجع السابق، ص185-186.

2 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p.82.

3 - Francisco Alvarez: op, cit ,p.116.

4 - Taddesse tamrat: op.cit.,pp. 207-215.

5 - Mordechai Abir Ethiopia and The Red Sea. p.46.

7- التدريب القتالي

أما عن التدريب القتالي لهؤلاء الجنود الأحباش، وهو إعداد الجند للقيام بالأعمال القتالية الأساسية في القتال الفردي أو القتال الجماعي[1]. وقد اهتم أباطرة ذلك العصر بالتدريب لدرجة أن أصبحت حياتهم تدريبًا دائمًا وتنقلًا مستمرًا و تحولت حياتهم إلى غزو ودفاع طوال الوقت، ورغم أن التدريب لم يكن إلزاميًا لهؤلاء الجنود، إلا أن بعض الأباطرة انتهزوا فرصة المعسكر الإمبراطوري الذي كان يجوب المملكة الحبشية لتدريب جنودهم على فنون الحرب والقتال[2].

وقد اعتاد الأباطرة تدريب أبنائهم على فنون الحرب والفروسية منذ نعومة أظفارهم، فكانوا يرسلون إلى أحد الحصون أو المقاطعات البعيدة حيث يكونوا مسؤولين من حاكم المقاطعة، وهناك يقضون فترة تدريب على فن الحرب والفروسية، وقد نشأ لبنا دنجل وقضى فترة شبابه بالكامل في ركوب الخيل ورمي السهام والصيد. وقد تربى أبناء الملوك على هذا السلوك لكي يتدربوا على فن إدارة المملكة فيما بعد[3].

ومن مبادئ التدريب الاستمرار وتطوير السلاح والتدرب عليه، واستخدام الأسلحة الجديدة، مع مراعاة الحذر أثناء التدريب وأخذ احتياطات الأمن لئلا يصاب أحد[4]. كما كان على القواد والجنود، التدريب والاستعداد واتخاذ السلاح الجيد والخيل الجياد والتدريب على رياضة الخيل، والأبدان[5].

---

1 - نعمان ثابت: المرجع السابق، ص 64.

2 - Budge: op.cit.,p.289 & Francisco Alvarez: op.cit.,p.285.

3 - Taddesse Tamrat: op, cit , p 276.

4 - ابن جماعة الحموي: مستند الأجناد في آلات الجهاد ومختصر في فضل الجهاد، تحقيق أسامة ناصر النقشبندي. منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1982م. ص115.

5 - مجهول: مجموع في الفروسية والخيل والرمي، ميكروفيلم مصور بمعهد المخطوطات الغربية، رقم 47 فنون حربية، ورقة 24.

وبناءً على ما سبق وإيمانًا من الأحباش بأهمية التدريب على القتال، فقد أصبحت حياتهم تدريبًا دائمًا وتنقلًا مستمرًا حيث تحولت حياتهم إلى غزو ودفاع طوال الوقت[1]. ولما كان لا بد لمن يقوم بهذه الأعمال أن يجيد ركوب الخيل واستعمال السيف والرمح ورمي النشاب، فقد أولى الجنود الأحباش اهتماما بالغا بالتدريب على هذه المهارات القتالية، وذلك رغم أن هذا التدريب لم يكن إلزاميًا. ففي الوقت الذي حرص فيه معظم الجنود الأحباش على تلقي التدريب المناسب على القتال، فإن منهم كذلك من كان لا يحرص على هذا التدريب[2]. فقد انتهز الملوك الأحباش فرصة المعسكر الإمبراطوري الذي كان يجوب الدولة الحبشية لتدريب جنودهم على فنون الحرب والقتال[3].

ولعل من أهم الجوانب التي ركز عليها الجنود الأحباش خلال تدريباتهم القتالية ركوب الخيل والسباق من خلال الجري على الأقدام والرماية والضرب بالسيف والطعن بالرمح، والنضال بالسهام. وقد اهتم الأحباش بكل هذه الأمور بشكل جيد على اعتبار أن الجيش يقضي حياته كلها إما غازيًا أو مغزوًا[4].

كما اهتم الأحباش المسلمون بالتدريب العسكري، فقد حث الإسلام على التدريب العسكري وأول ما حث عليه إتقان الرمي، ولقد آمن المسلمون الأحباش بأن التدريب هو أهم وسائل كفاءة الجيش[5] وأن العرق في التدريب يوفر الدم في المعركة، وذلك إعمالًا لما ورد في القرآن

---

1 - Budge: op.cit.,p.289.

2 - Francisco Alvarez: op.cit.,p.285.

3 - زاهر رياض: العصر الأول، ص104.

4 - زاهر رياض: الفرسان و الفروسية في إثيوبيا في العصور الوسطى، ص 263.

5 - أحمد بن حجر العسقلاني: الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1970، القاهرة، ص 103.

الكريم قال تعالى: "وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً"[1].

وعلى ذلك وكنتيجة لاهتمام المسلمين الأحباش بالتدريب القتالي تنفيذًا لتعاليم دينهم، فقد اتسم جنود الجيش الإسلامي بالالتزام التام بأداء واجباتهم، كما تحلوا بالصبر في القتال، واعتبروا أن الهدف منه هو الجهاد في سبيل الله وليس حصد الغنائم. لذلك فقد كان الجندي الحبشي المسلم يقوم بتسليم كافة المغانم التي في حوزته إلى قيادة الجيش وكان يلتزم بطاعة الأمير وتنفيذ أوامر القائد(2).

لذلك فإن جنود الجيش الإسلامي التزموا بالقيام بواجباتهم والتزاماتهم، ومنها الصبر في قتال العدو، والقتال في سبيل الله وليس من أجل المغانم، وتسليم كل ما يقع في يده إلى قيادة الجيش، والالتزام بطاعة الأمير، وإطاعة أوامر القادة وتنفيذها(3).

8- الموكب والمعسكر الإمبراطوري

حكم ملوك الأسرة السليمانية إمبراطوريتهم المتباينة من خلال المعسكر الإمبراطوري، فلقد اقتضت حياة الحروب المستمرة وجود الملوك دائمًا في خيام حيث تعودوا على الحياة فيها وعزفوا عن حياة القصور، ولم تكن هذه الحياة جديدة على ملوك السليمانيين. بل كان ذلك تقليدًا منذ القدم[4] فلقد عاش ملوك الزغاوة في هذه المعسكرات كزعماء عسكريين للبلاد، وكانوا يقيمون المعسكرات خلال فصل الجفاف من كل عام[5]. وكان الملك يخرج في جولات تفتيشية لكي يراقب تنفيذ تعليماته بأقاليم الدولة المختلفة، ويعطي أوامره، ويؤكد سلطانه،

1 - سورة النساء، الآية 102.

2 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 316.

3 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 67.

4 - Mordechai Abir: op.cit., p.46.

5 - Ronland Oliver: The African Middle Age 1400-1800, p.47.

ويعاقب كل من يحاول الخروج عن طاعته[1]. لذلك كله فلقد اعتبر المعسكر الإمبراطوري هو المركز الرئيس للمملكة المسيحية في الحبشة في خلال فترة العصور الوسطى[2].

ولعل من أهم الظروف كذلك التي اقتضت ضرورة وجود الموكب الإمبراطوري، كثرة تجوال الإمبراطور الحبشي في ربوع مملكته وعدم استقراره في مكان ثابت، مستخدمًا خيام كثيرة له ولبلاطه. حيث اعتبرت هذه الخيام والمعسكرات المتنقلة بمثابة عاصمة للدولة. لذلك فلقد كان الموكب الإمبرطوري يكتظ بالآلاف من الرجال والنساء الذين تتراوح أعدادهم ما بين 30-40 ألف نسمة[3] وكان هذا العدد الهائل من الأفراد يقف على الطرق المليئة بالرجال والنساء والأطفال من أبناء المقاطعة الراغبين في التقرب من الإمبراطور، ولكن الحرس الملكي كان يحول بينهم وبين ذلك إلى أن يسمح لهم الإمبراطور بالاقتراب ليرفع كل منهم مظلمته ويأمر المسؤولين بالعمل على حلها. وبذلك يترسخ الاعتقاد الشائع بمطابقة المعسكر الإمبراطوري في كل شيء لدور العاصمة الثابتة[4].

ولقد كان الموكب الإمبراطوري يضم بالإضافة إلى الإمبراطور في أثناء تنقل موكبه كل من آل بيته، وحاشيته، وخدمه، وكبار مسؤولي دولته، فضلًا عن القساوسة ورجال الدين[5]. ولقد كانت الحاجة إلى جهود هؤلاء القساوسة ورجال الدين تزداد إذا ما صادف وقوع أحد الأعياد

1 - Francisco Alvarez: op.cit., p 266.

2 - ت. تامرات: السليمانيون في إثيوبيا، ص 435، زاهر رياض: تاريخ إثيوبيا، ص 89-92، ص 227.

3 - Francisco Alvarez: op. cit., pp137,268.

4 - Jones and Monroe: op. cit.,p.67.

5 - كان على رأس رجال الدين المصاحبين للملك في موكبه المطران، حيث يصحبه معه في رحلاته خوفًا من أن يصل أحد منافسيه إليه ويجبره على تتويجه، وكذلك لكي يعلم الشعب أن هذا الملك هو الوحيد الذي تؤيده الكنيسة- للمزيد انظر: أنتوني سوريال، المرجع السابق، ج2، ص43، الشكل رقم (21) في الجزء الثاني من الكتاب.

الدينية أثناء إقامة الموكب، حيث كان يقام احتفال بالغ الأبهة يرتدي خلاله رجال الدين أفخر الثياب والقبعات التي تشبه التيجان[1]. ويقومون بخدمة الكنائس الملكية العديدة ويلبون الحاجات الروحية للإمبراطور وحاشيته[2]. ويذكر في هذا الصدد أن الموكب الإمبراطوري كان يتحرك من منطقة إلى أخرى ليعسكر فيها دون أن يعود إلى العاصمة[3].

أما عن طريقة سير الموكب، فلقد كان يسير بطريقة منتظمة لا يتوقف إلا في الأديرة بجانب الطريق، حيث يتقدمه رجال الحرس الملكي الذين ارتدوا قمصانًا وقماشًا حريريًا أبيض وغطوا أكتافهم بجلود الأسد. كما ارتدوا الجواهر حول رقابهم، في الوقت الذي تدق فيه الطبول لإسماع الناس بمقدِم الموكب حتى يسارعوا للانضمام في الموكب[4]. كما كان "يتقدمه قوم مرصودون لإصلاح طرقها بآلات القطع لأشجارها ويطلقون فيها نار لحرقها وأولئك القوم كثير عندهم"[5]. وكان إسحاق بن دواد (817-834هـ/ 1414-1429م) لا يخرج إلى موكبه إلا وهو يحمل صليبًا ضخمًا من ياقوت أحمر[6]، وكان الموكب يسير وتحف به

1 - Ullendorff: op. cit. pp.170-171.

2 - Budge: op. cit., p. 291.

3 - Taddesse tamrat: op.cit., pp.269-272.

4 - قامت الإمبراطورية الحبشية بتعيين شخص يقوم بكشف طريق الموكب أولا، ويختار مكان إقامة المعسكر، ويعرف مواقع الماء والأخشاب اللازمة للموكب، ويغرس علمًا عندما يقع على المكان المناسب حيث توضع خيمة الملك فيقبل الخدم لإقامة المعسكر، وهذا المنصب هو "الفيتاوراري"، وهو يعني "المشرف على مقدمة الجيش" للمزيد انظر القلقشندي: المصدر السابق، جـ 5، ص 334، محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص375.

Blundell: op. cit., p.236.

5 - العمري: المصدر السابق، ص45.

6 - المقريزي: الإلمام، ص 5.

دائمًا المهابة والأبهة، ويحيط به على الجانبين الفرسان والجنود يحملون السيوف والدروع في أيديهم كما لو كانوا على استعداد للحرب[1].

وهكذا فلقد أصبح الغرض الرئيس من هذا الموكب هو إظهار قوة المملكة وهيبتها وسيطرتها على جميع أرجاء البلاد، خاصة في ظل ضعف الحكومة المركزية التي سعت إلى السيطرة على حكام المقاطعات التي كانت تحاول الاستقلال ذاتيًا، لذلك فقد اعتبر المعسكر الإمبراطوري هو رأس مال الملك ووسيلته الأساسية لحكم البلاد[2].

وعند استقرار الموكب الإمبراطوري في منطقة من المناطق، كان يتحول تلقائيًا إلى معسكر إمبراطوري أطلق عليه لفظ ججول Jagol

أو Djjogul

بمعنى السور[3] وكان من أهم نتائج استقرار الموكب في مكان من الأماكن وتحوله إلى معسكر ملكي هو ازدهار التجارة في مكان استقرار هذا الموكب بما يعني تحول هذا المكان إلى مركز للتبادل التجاري، حيث يقبل التجار من جميع أرجاء المملكة الحبشية ومعهم بضائعهم، والتي تباع بأرخص الأسعار نتيجة الرواج الاقتصادي وكثرة عمليات البيع والشراء نتيجة كثرة حجم الجيش وأفراد الموكب خاصة في ظل وجود كبار مسؤولي المملكة في المعسكر[4].

1 - Francisco Alvarez: op.cit.p.285.

2 - Budge: op. cit., p. 294

3 - وهي تعني في الأمهرية السور، أو السياج، وبالبلاط سور خارجي وسور داخلي، والاستخدام الأوسع للكلمة يعني أسوار البلاط ككل بحيث تؤدي دلالته إلى معنى القصر. انظر مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص18.

Taddesse tamrat: op.cit., p.269.

4 - Jones and Monroe: op. cit.,p59.

مكونات المعسكر الإمبراطوري

يتكون المعسكر الإمبراطوري من مجموعة من الخيام خاصة بالإمبراطور وحاشيته وممتلكاته، حيث تختلف مكونات كل خيمة وطريقة ترتيبها وتنظيم محتوياتها باختلاف استخدامات كل منها وذلك وفقًا لما هو مبين بالشكل رقم ( ). وفيما يلي وصف توضيحي لهذه الخيام وملحقاتها واستخدامات كل منها بشيء من التفصيل:

أ- خيمة الإمبراطور

يتوسط المعسكر الإمبراطوري خيمة الإمبراطور، وهي خيمة كبيرة بيضاء كبيرة عالية يبلغ ارتفاعها 50 ذراعًا وطولها 60 ذراعًا، وقد صممت بهذا الارتفاع الكبير حتى تسمح بدخول الإمبراطور إليها محمولًا على فرسه[1]، وهي تقام عند ما يسمى بيبتا أبنسا دج (أي باب بيت الأسد)[2]. وتحتوي خيمة الإمبراطور على العديد من الستائر التي تحجب الرؤية حتى لا تكون مشاهدة الإمبراطور سهلة[3]، وكانت هذه الخيمة تقام في مكان بارز وحولها أرض فضاء للحماية من بعض المخاطر[4]. ويوجد حول خيمة الإمبراطور ثلاثة عشر مخرجًا منفصلًا يسمى كل منها باسم خاص، إلا أن أهم هذه المخارج جميعًا هو الباب الرئيس والذي يأخذ اتجاه الغرب وسمي Widinash Daj، وهو موجه لمكان لإقامة الإمبراطور في المنتصف، وعلى جانبي هذا الباب كان يوجد ستة أبواب أخرى على الجانبين على مسافة متساوية من بعضهم البعض[5].

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 302،انظر الشكل رقم (22) في الجزء الثاني من الكتاب.

2 - وتقام بجوارها خيمة صغيرة بجوارها تسمى شلمات دج وهو باب تسليم الأوسمة أو الميداليات. انظر مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص19.

3 - أطلق على هذه الستائر اسم "المنطولاعت" وهو ستار من الديباج ويبلغ طوله ما يقرب من مئة وأربعين ذراعًا. انظر مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص22.

4 - Ronland Oliver: T he African Middle Age 1400-1800, p.47.

5 - يقول ألفاريز إن عدد هذه الأبواب اثنا عشر باب، لكنه رأى بعينه أربعة فقط بالإضافة إلى الباب الرئيس الذي كان في مقدمة الموكب.

Francisco Alvarez: op.cit.,pp.266-269.

ولعل طريقة توزيع المخارج الخاصة بخيمة الإمبراطور بواقع ستة مخارج على جانبي الخيمة، يشير إلى وجود نوع خاص من نظام الازدواج بمؤسسة البلاط الملكي، بل وفي مسؤولي مكتب الإمبراطور أيضًا، مما يعني أن هؤلاء المسؤولين يتوزع ترتيبهم على جانبي المعسكر يمينًا ويسارًا من الباب الرئيس[1]، وكانت هذه الأبواب يقوم على حراستها كبار مسؤولي الحرس الملكي، بحيث يضمن هذا النظام عدم دخول أي فرد من أي باب منها، إلا بموافقة الإمبراطور شخصيًا[2].

ب- الخيام الملحقة بخيمة الإمبراطور

إضافة إلى الخيمة الإمبراطورية الرئيسة، كانت هناك أيضًا مجموعة أخرى من الخيام الملحقة بها، فقد وجدت خيمة خاصة بكنوز الإمبراطور، كما وجدت خيمة خاصة بالملكة الأم، والتي ضمت أيضًا أطفال الإمبراطور، وكانت خيمة الملكة الأم قرب الباب الذي يسمى Qulf Daj[3].

ونظرًا لتعدد زوجات الإمبراطور (حيث أنه من المعتاد أن الإمبراطور الحبشي كان له على الأقل ثلاث زوجات) فلقد وجدت ثلاث خيام للملكات[4]، كذلك فقد وجدت أيضًا الخيام الخاصة بخدم هؤلاء الملكات والحرس الخاص بهن، إضافة إلى خيام المطابخ الملكية والمسؤولة عن تقديم الطعام للإمبراطور وعائلته[5].

1 - Taddesse tamrat: op.cit., p.269.

2 - يقدر ألفاريز عدد جنود الحرس الملكي بحوالي ثلاثة عشر ألف حارس، انظر

Francisco Alvarez: op.cit., pp.437-438.

3 - Taddesse tamrat: op.cit., p.270.

4 - عن تفاصيل هذه الخيام الإمبراطورية ومسمياتها انظر:

Sergew Hable Selassie: op, cit., pp.264-269.

5 - وتسمى أبواب هذه الخيام مبلعا دج وهو باب الطعام وللمزيد انظر:

Taddesse tamrat: op.cit., p.271.

يذكر أن الخيمة الملكية كانت تُحاط بسور على شكل دائرة عرفت باسم المكابيبا Makkababya[1] حيث يلي هذا السور ثلاث خيمات أخرى تستخدم لأغراض مختلفة، فالأولى هي الخيمة الأقرب للإمبراطور وتسمى الخيمة العليا (لاعلاي فيت) وهي مخصصة لإدارة أمور الدولة والبت في القضايا المستعصية من قبل رجال الدولة[2]، أما الخيمة الثانية وهي الخيمة السفى (تاحتاي فيت) وهي خيمة معدة لسكن حارس البلاط الملكي، أما الخيمة الثالثة فهي تتوسط الخيمة العليا والخيمة السفلى وتسمى بالخيمة الوسطى، وتستخدم كممر يفصل بين الخيمتين السابقتين حيث يستخدم هذا الممر كل من القادة والكهنة ورجال الدين[3].

ج- المصليات الملكية

اشتمل المعسكر الإمبراطوري كذلك على ما يسمى بالمصليات الملكية[4] والتي أقيمت على كل جانبي خيمة الإمبراطور، كما وجد رجال الدين الذين قاموا على خدمة هذه المصليات،إلا أن المسؤول الأول عنها هو الأكابي ساعات aqabe sa at[5] وبجواره إلى اليمين كان هناك مصلى آخر كان المسؤول عنه هو الأسقف المصري والذي أقيمت له خيمة خاصة قرب مصلى الصليب[6].

---

1 - أي الدائرة التي تحيط بخيمة الإمبراطور، وتعني في الأمهرية (أحاط) انظر: مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص21.

2 - يذكر أنه لا يصعد إلى هذه الخيمة إلا الجان دربا، وهو الحاجب المسؤول عن حجرة الملك أو الخصي.

3 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص22.

4 – هي كنيسة صغيرة تصلي فيها العائلة المالكة والنبلاء مع أحد رجال الدين.

5 - الأكابي ساعات يعني بالنسبة للأحباش "ولي أمر الساعات"، وهو يعني ترتيب المكاتب والمجالس للملك وهو يعلن أيضًا أوامر الملك، وهو يعيش دائمًا في بلاط الملك.

6 - Taddesse tamrat: op.cit., p.272.

د- الخيام الخاصة بقادة الجيش ومسؤولي البلاط وأتباعهم

كانت الخيام الخاصة بقادة الجيش ومسؤولي البلاط تقع ضمن دائرة الإمبراطور، إلا أن الخيام الخاصة بأتباعهم وضعت بعيدًا خارج نطاق المعسكر، ولكن على نفس جانب سادتهم. ولعل من أهم المسؤولين العسكريين بالمعسكر الملكي، وزيرين كبيرين يدعى كل منهم باسم Bihtwaddad وبالأمهرية Bitwaddad[1] حيث أقيمت الخيام الخاصة بهما على أطراف المعسكر الإمبراطوري، في حين أقيمت الخيام الخاصة بقواتهما الخاصة خارج المعسكر وذلك لحمايته من دخول أي شخص طبقًا للقوانين الملكية المعمول بها[2].

ن- الخيام الخاصة بأتباع الإمبراطور

أقيمت الخيام الخاصة بأتباع الإمبراطور من العبيد، والمزارعين والإقطاعيين، وحكام المقاطعات، خارج المعسكر، كُل مع أتباعه المتعددين وخصص لهم البابان الإماميان (على جانبي الباب الرئيس) حيث أطلق على كل باب اسم Sargwan Daj[3]، ويذكر أن هؤلاء الأتباع لا يدخلون على الإمبراطور إلا بعد موافقته شخصيًا، كما سمح لحكام المقاطعات الخاضعين للجزية بالمرور من هذين البابين فقط عند تقديم الجزية أو عندما يريدون رؤية الإمبراطور[4]. وربما يشير ذلك إلى اهتمام الإمبراطور بالضرائب بمختلف أنواعها حيث خصص خيمة

---

1 - لقد أطلق على الوزير الكبير أو الوزير الأول في حكومة الحبشة لعدة قرون، ويقال إنه منصب أنشأه زرء يعقوب. للمزيد انظر:

Huntingford: The glorious victories of amda tseyon, P. 12.

2 - Francisco Alvarez: op.cit., p.312.

3 - Taddesse tamrat: op.cit., p.272.

4 - وكان ذلك لا يتم إلا بموافقة رئيس الخصيان. انظر: عرب فقيه: المصدر السابق، ص302.

- Budge: op. cit., p.581.

كبيرة مقسمة إلى ثلاثين خيمة أصغر سميت ترشما[1]. والتي استعملها في وضع كل الضرائب التي جاءت من أرض الحبشة[2].

هـ- خيمة محكمة العدل

يواجه المعسكر الإمبراطوري مباشرة خيمة محكمة العدل. والتي يجاورها أيضًا خيمتان لاثنين من رؤساء المحكمة، وخيمتان أخريان للسجون حيث يبقي فيها السجناء الذين ينتظرون المحاكمة. هذا بالإضافة إلى خيمة أخرى لكنيسة العدالة[3]. ولقد وصف ألفاريز مكونات الخيمة الخاصة بمحكمة العدل، على أنها تحتوي على ثلاثة عشر مقعدًا بحيث يوضع مقعد طويل في المنتصف وستة مقاعد أخرى صغيرة على كل جانب، ويذكر أن هذه المقاعد جميعًا لا يجلس عليها أحد لأنها كانت مقاعد رمزية، في حين كان القضاه يجلسون على الأرض منقسمين إلى مجموعتين يمينًا ويسارًا[4]، حيث يحضر المدعي والمتهم ويسأل القاضي كلًا منهما ويجيبان عليه، ثم يقوم بتلخيص هذه الإجابات إلى أن يعطي قراراته، وأخيرًا يجمع رئيس المحكمة كل هذه الحجج التي كتبها القضاة ورأي كل منهم النهائي في القضية حتى يصدر فيها القرار النهائي، إضافة إلى ذلك فقد سمح بوجود قضاة استئناف في حالة القضايا المهمة والتي كانت تتم بحضور الملك شخصيًا أو نائبًا عنه[5].

1 - وهي خيمة ملكية صغيرة تحت خيمة أكبر. مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 20.

2 - هي خيمة ملكية صغيرة تحت خيمة أكبر. وهذه الخيمة الأكبر هي النازريت بيت: انظر مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص 20.

3 - حيث يوجد بداخلها الأزازوتش أي القادة وهم القادة المختصون بمحاكمة البلاط.

4 - Francisco Alvarez: op.cit., p.241.

5 - Jones and Monroe: op. cit.,pp. 68-72.

و- قفص الأسود

وضع بجوار خيمتي القضاة قفص الأسود الأربعة، وهي أسود أسيرة ربطت بالسلاسل الذهبية، يمسكها أربعة من رجال البلاط، وهي ترافق الإمبراطور أينما ذهب لأنها تعد رمزًا له. وبجوار قفص الأسود بمسافة بعيدة وجدت كنيسة السوق حيث يوجد التجار والصناع في مختلف الحرف[1].

من خلال عرض ما سبق ذكره حول الموكب والمعسكر الإمبراطوري ومكوناته المختلفة، يمكن الإشارة إلى عدة استنتاجات وأمور مهمة، يشير الاستنتاج الأول إلى أن هذا المعسكر الإمبراطوري الضخم وإن كان كثير التحرك والتنقل من مكان إلى آخر، إلا أنه أثناء السير كان يحافظ على مثل هذا التنسيق والترتيب[2]. أما الأمر الثاني فهو يشير إلى أن كثرة انتقالات الإمبراطور من مكان إلى آخر كانت مرتبطة أما لضرورة حربية أو لزيارة إحدى الكنائس أو متابعة إحدى المقاطعات[3]. أما الأمر الثالث فهو يشير إلى تجمع حشد هائل من السكان المختلفين لغويًا وعرقيًا حول المعسكر الإمبراطوري وهم يغنون كل بلغة بلاده، وقد شكل الإمبراطور وعائلته نواة هذا التشكيل المعقد من الجاليات العرقية والدينية. وبذلك فقد لعب المعسكر الإمبراطوري دورًا توحيديًا مهمًا حيث قرب بين الآف الأفراد الذين تفصل بينهم اللغة والجنس والدين[4].

وعلى الرغم مما حققه المعسكر الإمبراطوري من إيجابيات إلا أنه قد اعترضه بعض السلبيات أيضًا، ذلك أنه في ظل إقامة المعسكر الإمبراطوري في منطقة واحدة لفترة قصيرة نسبيًا، فقد ظلت الاتصالات

1 - يذكر أنه كان يوجد خيام خاصة بالصناع والحرفيين تقام في المعسكر الإمبراطوري، وقد أطلق على هذه الخيام " أقيت دبنا" بمعنى الحرفي أو الصانع. انظر مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص19.

2 - Sergew Hable Selassie: op. cit., p.267.

3 - Ronland Oliver: The African Middle Age 1400-1800, pp.47-48.

4 - Mordechai Abir: op.cit., pp.46-48.

التي يجريها الإمبراطور مع السكان المحليين اتصالات سطحية عابرة، بل كانت تتخذ -أحيانًا- طابعًا قمعيًا، لذلك ظلت العادات المحلية لملوك المقاطعات تحكم حياة السكان اليومية في مختلف المقاطعات والإمارات قبل كل شيء[1].

9- الأعلام والرايات في الجيش الحبشي

تعزز الرايات والأعلام روح الفريق في الجيش، وتبث في نفوس المقاتلين الفخر والاعتزاز والانتماء، فالرايات لها أثرها في الجيش وأثناء المعركة بل تؤثر في مصيرها، فإذا سقطت الراية دبت الفوضى في الجيش المحارب، لذلك فمن المفروض أن يحمل الراية بطل من أبطال الجيش، أو باسل من بواسل القبائل[2]. كما كانت هناك عدة طرق لحمل الراية، فيحمل الجندي الراية بطريقة لا تؤثر الريح فيه، ويجعل على عاتق حامله الأيسر ممسكًا بيده اليمني السيف، وقد يحمل الراية بيمينه والسيف بشماله[3].

ولقد اتخذ الأحباش أعلامًا متباينة من حيث الشكل واللون وذلك أثناء حروبهم المتعددة، ولقد كان لكل حاكم من حكام المقاطعات المختلفة راية خاصة تميز مقاطعته. أي إن عدد رايات الجيش الحبشي في حروبه يساوي حكام المقاطعات المشاركين في هذه الحرب، أما عن حملة هذه الرايات فغالبًا ما يكونون من الرقيق[4].

وكانت الرايات الخاصة بالمقاطعات المختلفة تماثل العلم الخاص بالمملكة الحبشية من ناحية الشكل إلا أنها كانت تحمل علامة خاصة تميز هوية هذه المقاطعة، ولقد كانت هذه الرايات تشترك جميعًا في

1 - Pichard Pankhurst: op.cit., pp.52-53.

2 - محمد جمال الدين محفوظ: العسكرية في الإسلام، سلسلة اقرأ الثقافية، مجلة شهرية، دار المعارف، رقم 598، 1994م، ص327.

3 - المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص359، محمود عواد، المرجع السابق، ص214.

4 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea ,p.24.

كونها مطرزة بعلامة الأسد (الخارج من سبط يهوذا)، إلا أن هذه المقاطعات المختلفة لم تحافظ على لون معين لهذا الأسد[1]. فبعضها استخدم اللون الأبيض، والبعض الآخر استخدم اللون الأحمر، وفريق ثالث استخدم اللون الأصفر. وتجدر الإشارة أنه غالبًا ما كانت تعلو هذه الرايات كره بيضاء مفرغة من الذهب يعلوها صليب ذهبي[2].

أما الجيش الإسلامي فلقد اتخذ العديد من الرايات ذات الألوان المختلفة أيضًا، فنجد أن القائد محفوظ كان يستخدم علم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) المصنوع من الحرير الأخضر والذي جلب له من حكام مكة[3]. إلا أن الأحباش المسيحيين قد استولوا عليه في أحد المعارك[4]. كما اتخذ الإمام أحمد بن إبراهيم العديد من الرايات المتباينة الألوان منها البيضاء والحمراء والخضراء والسوداء وكذلك تلك التي تستخدم لونين مختلفين كالأصفر والأحمر في راية واحدة، أو الأصفر مع الأبيض[5].

ويذكر أنه كانت هناك فروق عديدة بين الرايات التي استخدمها الأحباش المسيحيون وتلك المستخدمة من قبل الأحباش المسلمين. فالأحباش المسيحيون قد كتبوا أسماء ملوكهم على راياتهم كدليل على مشاركة هذا الملك أو ذاك في المعركة، كما اهتم أباطرة الحبشة وقوادها برفع الصلبان أثناء الخروج إلى المعارك المختلفة. وقد حدث ذلك منذ منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي (وهو عصر ازدهار الحروب الصليبية) حيث أشار أحد أباطرة الحبشة في رسالة منه إلى بابا روما بأنه عندما يخرج إلى قتال أعدائه يكون محاطًا بثلاثة عشر

1 - زاهر رياض: الفرسان والفروسية، ص288.

2 -Francisco Alvarez: op.cit., p.135.

3 - Trimingham,S: op, cit, p. 83.

4 - Budge: op, cit, p.72, p. 329.

5 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص111.

صليبًا من الذهب[1]. كما كان إسحاق بن دواد لا يخرج في موكبه إلا وهو يحمل صليبًا ضخمًا من الياقوت الأحمر[2]. وكان الجيش الحبشي المسيحي يهتم بتخصيص عدد من الجنود يصل إلى حوالي عشرين جندي لحمل الصلبان والرايات[3].

وفي مقابل ذلك فقد عمد الأحباش المسلمون إلى كتابة آيات من القرآن الكريم تحث الجنود على القتال والنصر والشهادة في سبيل الله. كما كتبوا عليها بعض الحكم والمواعظ والأبيات الشعرية، ولذلك كانت راية المسلمين دائمًا أكبر في الحجم من تلك التي حملها الجنود المسيحيين، وكان الملوك المسلمين لا يخرجون إلى القتال إلا بصحبه عدد من المشايخ والفقهاء ورجال الدين الإسلامي، والذين يحثون الجنود على الثبات والاستشهاد في سبيل الله دفاعًا عن بلادهم وعقيدتهم[4]. وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى ما فعله الإمام أحمد بن إبراهيم أثناء الحروب التي شارك فيها، فقد استخدم رايات كتب عليها الآيات القرآنية الآتية: قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)[5] وكذلك: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)[6] وأيضًا (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)[7].

ونظرًا لكثرة الآيات القرآنية التي كانت تكتب على الرايات، فلقد كانت الراية كبيرة جدًا يحملها أكثر من جندي، حيث كان طولها يصل إلى

1 - Jones and Monroe: op, cit, pp.59-61.

2 - المقريزي: الإلمام، ص 5، رجب عبد الحليم: العلاقات السياسية،ص99-101.

3 - Trimingham,S: op, cit, p. 87.

4 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 41 - 84.

5 - [سورة: الروم - الآية: 47].

6 - [سورة: المجادلة - الآية: 21].

7 - [سورة: الصف - الآية: 13].

أكثر من سبعة أمتار، ورغم ذلك إلا أن عدد الجنود حملة الرايات بالجيش الإسلامي كان أقل دائمًا من نظيره المسيحي. ويذكر أنه في حالة استشهاد أحد الجنود من حملة الرايات، تجد من يحل محل الجندي المستشهد ليحمل الراية بدلًا منه[1].

أما عن طريق تقسيم الرايات والكتابة عليها، فلقد قسمت إلى أربعة أسطر بحيث يكتب على الأسطر الثلاثة الأولى منها آيات قرآنية، في حين يكتب على السطر الرابع أبيات من الشعر قيل إن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - كتبها في رايته وهي:

الحرب إن باشرتها ... لا يمكن منك الفشل

واصبر على أهوالها ... لا موت إلا بالأجل[2]

10- ملابس القتال

تختلف هيئة الجنود بصفة عامة في وقت الحرب عنها في وقت السلم، وذلك في معظم الدول على اختلاف العصور، بحيث يكون للمقاتل هيئة في أهله، وأخرى عند مقابلة الأمراء والمسؤولين، وثالثة عند لقاء الأعداء في ساحة الحرب[3]. إلا أن بعض المصادر والمراجع التاريخية المتاحة لم تشر إلى وجود مثل هذا التمايز أو الاختلاف في عصر الأسرة السليمانية، الأمر الذي يمكن معه الادعاء بعدم وجود اختلاف جوهري لملابس الجنود في ذلك العصر في أوقات السلم عنها في أوقات الحرب، إلا أنه يمكن الإشارة إلى وجود تمايز أو اختلاف من نوع آخر، وهو ذلك الاختلاف بين ملابس الملوك وأمراء الجيوش من ناحية، وملابس الفرسان والجنود من ناحية أخرى[4].

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 41-43.

2 - المصدر السابق، ص84.

3 - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م، ج8، ص 289-290.

4 - K. Ingham: op. cit., pp. 71-72.

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن أهم تغيير طرأ على ملابس القتال الحبشية قد حدث خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حيث عني الملوك خلال هذه الفترة الزمنية عناية فائقة بالملابس. فأدخلوا عليها الكثير من التعديلات والتحسينات، حيث ظهرت في النهاية بأشكال متنوعة تمايزت خلالها ملابس الملوك والأمراء من جهة، وملابس رؤساء القرى من جهة أخرى، وملابس الجنود والفرسان من عامة الشعب من جهة ثالثة[1]. وفيما يلي وصف لملابس القتال الحبشية خلال الفترة التاريخية موضوع الدراسة:-

أ- الملابس الخاصة بطبقة الحكام والنبلاء

ارتدى الحكام والنبلاء المعاطف الحريرية ذات المشابك الذهبية. وتزين بعضهم بالتيجان كما يشير إلى ذلك النص الحبشي[2]، كما استرسلت شعورهم على أكتافهم في ضفائر كثيرة، وتحلوا بالعقود والأساور[3]، كما كان للملك ملابس خاصة به إذا ما ظهرت بوادر المعركة يرتديها، وعادة ما يرتدي الملابس المذهبة التي كانت تصنع عادة من الحرير الوارد إليهم من اليمن[4].

وُيرجع المقريزى هذا التطور في الملابس إلى فخر الدولة –الكاتب القبطي- الذي فر من مصر إلى الحبشة في عهد إسحاق (817-833هـ/1414-1429م): إذ تميز زى هذا الإمبراطور عن رعيته بالملابس

1 - Francisco Alvarez: op, cit , p. 69.

2 - "وفوضه الملك وهو يكلله بإكليل الملكة الذي هو من الذهب الخالص ومرصع بالأحجار الكريمة متعددة الألوان... وزينه بكل حلي المملكة". انظر:

- W. Conzelman: op, cit ,p.44.

، منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص 16.

3- Richard Pankhurst: op,cit,p.76 see also Richard Reush (D.D):History Of East Africa , London,1954,p. 64.

4 - العمري: المصدر السابق، جـ4، ص39.

الفاخرة، بعد أن كان أبوه داوود بن أرعد (784-814هـ/ 1382-1411م) لا يلبس هذه الملابس[1]. وشهد الحيمي على ذلك عندما زار الحبشة ودخل بلاط الملك (فقد تهيئوا بأعظم وأبهة حيث لبسوا مطارح الديباج... وجعلوا في أواسطهم مناطق الذهب المحلاة بالفصوص الفاخرة ونفيس الجواهر... وأخذوا في أيديهم السيوف السنارية المحلاة كذلك بعين الذهب الخالصة، ورؤسهم مكشوفة عن الشعر الجعيد الناعم، وفي أيديهم أساورة الذهب وفي آذانهم الأقراط المتلألئة كاشتعال اللهب)[2].

علاوة على ذلك فإن سفراء الملوك الأحباش إذا ما أرسلوا إلى دولة أجنبية لغرض ما، فقد كانوا يتحلون بأبهى زينة حيث يرتدون الحرير الملون، ويضعون على رءوسهم قبعات طويلة من الحرير، وتحلوا بأقراط ذهبية كبيرة وبأساور ذهبية أيضًا[3].

ب- ملابس الفرسان الأحباش

وكان الفرسان الأحباش أنفسهم هم الذين يدبرون احتياجاتهم ويجهزون ملابسهم وأسلحتهم للحرب، وإن اختلفت مراتب هذا الإعداد حسب قدرة المحارب المادية، فهناك من امتلكوا المقدرة على تدبير أنفسهم بصورة لائقة وهؤلاء هم الذين كانوا يمتون بصلة ما إلى الملك، وهناك من افتقدوا هذه المقدرة على التدبير فكانوا يتخذون ملابس وأسلحة متواضعة[4].

1 - المقريزي: الألمام، ص4.

2 - الحيمي: المصدر السابق، ص 29-30.

3 - ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ص7.

4 - زاهر رياض: الفرسان والفروسية في إثيوبيا، مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة، المجلد 19، 1951م، ص267.

وبصفة عامة فقد كان الفرسان الأحباش يعصبون رؤوسهم بلبد الأسد التي تلتف حول رؤوسهم لزيادة هيبتهم تاركة أعلاها مكشوفة[1]. كما كانوا يرتدون السروال الطويل الأبيض وعليه رداء طويل يصل إلى ما بعد الركبة بقليل وفوقه قميص واسع من القماش القطني المخطط. ويلبس الأغنياء منهم الحرير وفي وسطهم حزام عريض من الجلد يعلق به السلاح، وفوق هذا كله رداء من الجوخ ينسدل على الظهر والصدر ويصل إلى ما فوق القدم بقليل، لكنه يقصر عند الذراعين فلا يصل إلى ما فوق الكوع. والنصف الأمامي منه مقسم إلى قسمين متشابكين بمشابك من الفضة والذهب عند الصدر، وأطراف هذا الرداء مطرزة بخيوط من الذهب والفضة حسب قدرة الفارس الاقتصادية[2]. وقد يستبدلون عصابة الرأس برباط عريض من القماش المحلى بخيوط من الذهب جميلة، وينتهي من الخلف بمشبك تتدلى منه خصلة طويلة على ظهر الفارس. وتتدلى من أطراف عصابة الرأس كرات صغيرة من القماش المذهب معلقة في خيوط ذهبية رفيعة. أما من الأمام فتتزين هذه العصابة بقطعة ذهبية مستديرة الشكل أو مربعة يرتفع منها ما يشبه القرن من المعدن المذهب. كما يحمل الفارس مظلة صغيرة مجدولة من الخوص[3].

وقد عرف الفرسان الأحباش الخوذات[4]. فضلًا عما كان يعرف بالزنوط[5]. وهو أيضًا لباس للرأس. وإن كان هذا اللباس الأخير أكثر

1 - العمري: مسالك الأبصار، ج 4، ص 39.

2 - السيد فؤاد شكر الله: المرجع السابق، ص 49.

3 - زاهر رياض: المرجع السابق، ص 279، كذلك

Richard Reush : op,cit,p.78.

4 - القلقشندي: المصدر السابق، ج2، ص135.

5 - الزنوط: ترجمت إلى التاج أو الإكليل الملكي، ويرجح أنها لباس الرأس التي يلبسها الملوك الأحباش السليمانيون، والزنط عبارة عن قلنسوة حمراء استعملت أول الأمر للطبقات الدنيا خاصة في مصر في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي. ثم أصبح

شيوعًا بين الملوك، وكانت الدروع تستعمل للفرسان أكثر منها للرجالة، لأنها كانت تشغل الراجل وتعيق الرامي عن الحركة، وكانت هذه الدروع لها أسماء متعددة، وأخبرنا المقريزي أن أحد المماليك نقلها للحبشة، حيث أنشأ لهم زردخاناه[1]. حيث كان يوجد ثلاثة أنواع من الدروع استعملت في العصور الوسطى كان أغلبها قميص الزرد[2].

وكان الأحباش يستوردون ما يلزمهم من هذه الأقمشة الغالية المستخدمة في صناعة هذه الملابس من اليمن، وبخاصة الأردية والعمائم القطنية والبرود اليمنية، حيث كان اليمنيون يستوردون المواد الخام من الهند وينسجونها، ويصدرونها إلى شتى أنحاء العالم ومنها الحبشة[3].

وإضافة إلى ما سبق تجدر الإشارة إلى أن الفرسان الأحباش لم يعرفوا الدروع الحربية المصنوعة من الحديد أو الصلب والمستخدمة في وقاية الجسم. إلا أن جيوش الإمام أحمد بن إبراهيم عرفوها واستعملوها في حروبهم نتيجة اتصال ومساعدة الأتراك لهم[4].

وكان الفرسان المسلمون يفضلون العمامة على عصابة الرأس ويتخذون شالها من الحرير الأبيض مطرزة ببعض قطع الذهب الرفيع، كما كان الفارس الحبشي يتحلى بأقراط ذهبية أو فضية. أما في وقت السلم فكان يلبس عقود الذهب والجواهر حول عنقه ويتمنطق بحزام

طابعًا مميزا للزى العسكري الجركسي المملوكي، وللمزيد انظر. عرب فقيه، المصدر السابق، ص 228، محمود نديم: المرجع السابق، ص 46.

1 - الزردخانات: بيت الزرد أي بيت السلاح، وبها "من السيوف والقسي العربية والنشاب والرماح والدروع... وفي كل سنة يحمل إليها ما يعمل بخزائن السلاح من الأسلحة، ويقيم فيها بعض الصناع لإصلاح العدد وتجديد المستعملات من الأسلحة". انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص11-12.

2 - محمود نديم: المرجع السابق، ص 50.

3 - الحيمي: المصدر السابق، ص 14.

4 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 263. و قد ظل الفرسان الأحباش يحرصون على هذه الملابس طيلة العصور الوسطى حتى تولى العرش الإمبراطور هيلاسيلاسي في عام 1931م الذي حرص على أن يدخل النظام الحديث في جيشه بما في ذلك تطوير ملابس وأسلحة القتال.

عريض من الجلد أو الحرير الملون تزينه فصوص الجواهر الكريمة. كما كان الفارس يتجمل بالكحل ويسدل على كتفيه برنس من الحرير أو القطيفة له حافة مطرزة بالذهب والفضة[1]، وبالرغم من هذا الثراء في الملابس إلا أن الفارس الحبشي كان حافي القدمين؛ إذ لم يعرفوا النعال الصلبة إلا في العصور الوسطى، لكنهم عرفوا الخفاف البسيطة المصنوعة من جلد الماعز، ويبدو أن اتصالهم بالبرتغاليين هو الذي علمهم ذلك[2].

جـ- ملابس الخيول

وقد اهتم الأحباش أيضًا بملابس الخيول مثلما اهتموا بملابس الجنود، فكان الفرس يغطَّى من رأسه إلى نهاية كفله بقماش يكون غالبًا من القطن، ويلتف حول الحصان حزام عريض من الجلد كي يحافظ على بقاء هذا الغطاء، وينتهي هذا الغطاء بخيوط رفيعة تنسدل على جانبيه. أما رأس الفرس فتُغطى من الجانبين بغطاء يُزين من جانبي الفم بريش طويل من ريش النعام يرتفع إلى ما يوازي الأذنين[3].

أما السرج الذي يركب عليه الفارس فيتكون من سندان أحدهما من الأمام والآخر من الخلف تغطيه الأغطية الجميلة الثمينة التي تتكون من المرشحة والركاب، وقد صمم السرج لتأمين الراحة للفارس وتسهيل مهمة أدائه لواجبه الحربي[4]. ويصف عرب فقيه خيول الأحباش عندما استولى عليها المسلمون في معركة زري (أحد روافد نهر عواش) حين قال: "وغنم المسلمون في أرض دوارا، خمسمئة فرس كانت مكسوة بالجوخ الأحمر والقطيفة والحرير والديباج المذهب"[5]. وتبعًا للدرجات الاجتماعية فلم يكن كل الأحباش - خاصة المسلمين منهم -

---

1- الطرابلسي: تحفة المجاهدين في العمل بالميادين، ورقة18.

- Richard Pankhurst: op.cit,p.76.

2 - زاهر رياض: المرجع السابق، ص 281.

3 - Francisco Alvarez: op, cit , p. 221.

4 - ابن هذيل: حلية الفرسان، ص78، عبد الرحمن زكي: السلاح في الإسلام، ص 33.

5 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 131.

يضعون السروج على الخيل، كما منعهم الملوك السليمانيون من ركوبها إلا على متن ظهورها[1]. لذلك تفنن المسلمون في استعمال الخيول سواء ارتدت السروج أم لم ترتديها، "وكان عدد خيل الوزير عدلي[2] ثلاثة آلاف فرس لابسة وثلاثة آلاف بغير لبس"[3].

11- الأسلحة والمعدات

استخدم الجيش الحبشي الأسلحة القديمة والتي كانت مستخدمة في معظم دول إفريقيا جنوب الصحراء، وعلى الأخص في شرق إفريقيا خلال فترة العصور الوسطى. كما استخدم أيضًا بعض الأسلحة المستحدثة في ذلك الوقت نتيجة هجرة بعض الأقباط المصريين للحبشة في عهد الملك إسحاق بن داود (817-833هـ / 1414-1429م) أو التي أخذوها عن الدول المجاورة لهم[4]. وتشير المصادر والمراجع التاريخية التي عالجت هذه القضية إلى تعدد المعايير التي يمكن على أساسها تصنيف الأسلحة والمعدات الحربية التي استخدمها الجيش الحبشي. وفي هذا الصدد يمكن تصنيف أسلحة الجيش الحبشي وفقًا لوزن السلاح أو نوعه إلى أسلحة خفيفة وأخرى ثقيلة وثالثة للعرض والزينة، والتي كان يستعرضها الجيش في مواكبه الإمبراطوري والاحتفالات العامة، كما يمكن تصنيفها وفقًا لمعايير عدد الجنود مستخدمي السلاح إلى أسلحة فردية وأخرى جماعية، ووفقًا لنوع الضرر الذي يسببه السلاح يمكن تصنيف هذه الأسلحة إلى أسلحة قاطعة وأخرى خارقة (نافذة) وثالثة حارقة، كما يمكن تصنيف الأسلحة وفقًا لنوع التأثير على معنويات الجنود إلى أسلحة معنوية وأخرى مادية، على أن التصنيف الذي يمكن اعتباره الأكثر شيوعًا: ذلك الذي يصنف الأسلحة وفقًا

---

1 - المصدر السابق، ص 281.

2 - عدلي: كان صديقًا للإمام أحمد حيث نشأ معًا وأصبح كأخيه، وكان يلي الإمام في القيادة، ولقب بالوزير حيث لعب دورًا مهمًا في قيادة الجيوش، فتح مناطق عديدة في المملكة الحبشية المسيحية، قتل في إحدى مواقعه مع الأحباش المسيحيين، وقد تأثر الإمام والجيوش الإسلامية بذلك، وحزن عليه الإمام حزنًا شديدًا، واعتبر مقتله ضربه كبيرة له وخسارة للمسلمين، انظر عرب فقيه: المصدر السابق، ص168-332.

3 - عرب فقيه: نفس المصدر، ص 261-262.

4 - Francisco Alvarez: op, cit , p.317.

لمعايير الهدف من استخدامها إلى أسلحة دفاعية (وقائية) وأخرى هجومية. وفيما يلي عرض لأهم الأسلحة الحبشية التي ذاع استخدامها لدى الجيش الحبشي خلال المجال الزمني للدراسة، مصنفة تبعًا للتصنيف الأخير على اعتبار أنه الأكثر قبولًا.

أولًا: الأسلحة الهجومية:

1- السيف

السيف سلاح ذو حد يضرب به باليد، وهو أشهر الأسلحة وأنبلها منذ القدم[1] وهو من أشهر الأسلحة التي استخدمت في المعارك على مدى التاريخ، وهو السلاح الأول في المعركة، واسمه مشتق من الهلاك الذي يسببه[2].

وتنقسم السيوف إلى قسمين: السيف المستقيم، والسيف المقوس. وقد استخدم ابتداءً السيف المستقيم، فلم يتغير شكله حتى بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[3]. والسيوف المستقيمة كانت إما ذات حد واحد أو حدين، واختلف أطرافها، فهي إما مدببة أو نصف مستديرة، وقد استغرق تحويل السيف من الاستقامة إلى التقوُس عدة قرون[4].

1 - مجهول: الفروسية برسم الجهاد، وما أعد الله للمجاهدين من العباد، ورقة 16، عبد الرحمن زكي، السلاح في الإسلام، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، دار المعارف، مصر، 1951م، ص 33.

2 - أطلق العرب على السيف من الأسماء والصفات ما يتجاوز المائة اسم ووضعوا له ولأجزائه من الأسماء ما يتجاوز الألف اسم. للمزيد مجهول: مجموع فن الفروسية، التساريح والتباطيل وهي رسالة في فنون الغزو والجهاد وآلات الحرب والرماية، مخطوطة بمكتبة الأزهر تحت رقم 7260، أباظة فروسية، ورقة12، نعمان ثابت، العسكرية في عهد العباسيين، مراجعة وتعليق حامد أحمد الورد، بغداد،1987م، ص 149-150.

3 - عبد الرحمن زكي: السلاح في الإسلام، ص33، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الأسلحة الإسلامية، السيوف والدروع، معرض مقام في قاعة الفن الإسلامي، 1411هـ. ص 20.

4 - عبد الرحمن زكي: السلاح في الإسلام، ص 33، مركز الملك فيصل، الأسلحة الإسلامية، ص 21.

وتختلف أطوال السيوف، فسيوف الفرسان أقصر من سيوف الرجالة ويكون سيف الفارس قصيرًا ليأمن التلف والانقلاب، على عكس سيف الراجل الذي يكون طويلًا معلقًا تحت الإبط كما يفضل الفرسان السيوف ذات النصل المقوس[1].

وقد استخدم الأحباش السيف كما استخدمته الأمم الأخرى، واتخذوا منه الطويل والقصير، حيث يعتبر السيف أهم سلاح هجومي حبشي[2].

وقد استعمل الجيش الحبشي السيف القديم المستقيم وظل مستخدمًا حتى نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. لكن السيوف المقوسة الطرف بدأ استعمالها عن طريق شرائها من التجار المسلمين، كما شاع استخدام السيوف المصرية[3] عندما أدخلها أحد الأقباط المصريين في عهد الملك إسحاق 828هـ/ 1425م[4]، كما قام الملوك الأحباش بشرائها من القاهرة عن طريق التجار المسلمين[5]، ويذكر أن جيش المسلمين بقيادة الإمام أحمد قد استولى على الكثير من السيوف المصرية من الجيش الحبشي في معارك عديدة[6]، كما أكثر جيش الإمام من شراء هذه السيوف المصرية لاستخدامها في حروبه ضد الأحباش. يذكر أيضًا أن السيوف استخدمت في تأمين القوافل التجارية

1 - ابن هذيل (علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلمي): حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، 1369هـ-1949م، ص 24.

2 - Francisco Alvarez: op, cit ,p.325.

3 - السيوف المصرية منها ما صنع في مصر وتمتاز بطولها واستواء سطحها، وعمومًا كان السيف المصري ذا نصل مستقيم وقصير ولا يزيد طوله على 3 أقدام، وله حدان وطرفه مدبب يستخدم كالخنجر، وكانت قبضته بسيطة ومقعرة الجانبين لسهولة القبض عليه، وترصع أحيانًا بالأحجار النفيسة أو المعادن القيمة. للمزيد. انظر عبد الرحمن زكي: السيف في العالم الإسلامي، ص 34 وحاشية رقم (2) بنفس الصفحة.

4- القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 2، ص132، 133، عرب فقيه، المصدر السابق، ص32- 48- 50.

5 - Francisco Alvarez: op. cit., p. 307.

6 - عرب فقيه: المصدر السابق ص139.

من خطر عصابات الشفتا[1]، ولحماية المسافرين بين المقاطعات المختلفة، كما استخدمها تجار الرقيق لاصطياد ضحاياهم[2]. وقد استمر استخدام السيف كسلاح رئيس في الجيش إذ بدأ يضعف استخدامه نتيجة ظهور الأسلحة الجديدة[3].

وكان السيف يوضع في جراب من المعدن ويغلف بالجلد. وهو مسنون من الناحية الخارجية. وللسيف حمائل وهي علائق السيف التي توضع على عائقه، وهي من الجلد أيضًا[4].

2- الحربة

الحربة هي سن يبلغ طولها ثلاثين سنتيمترًا من الحديد مدببة من أعلاها وتتسع كلما اتجهنا نحو القاعدة. وُتركب الحربة في أعلى عصا أسطوانية رفيعة يصل طولها إلى حوالي المترين وقد يكون الجزء الأدنى منها خطاطيف ملتوية بعضها إلى أعلى وبعضها إلى أسفل لتعلق بها قطع من القماش دلالة على استخدامها لقتل الأعداء[5].

وتعد الحربة من أهم الأسلحة الحبشية الهجومية والتي ينظر إليها باعتبارها أشرف أسلحة القتال. وذلك لأنها تعتبر واحدة من أقدم الأسلحة التي عرفتها الدول بصفة عامة، والدولة الحبشية على وجه الخصوص. وقد أقدم الأحباش على استخدام الحراب في المقاطعات المختلفة خلال حروبهم المتعددة[6] حيث غلب سلاح الحراب على باقي الأسلحة المستخدمة في الحروب الحبشية إلى الحد الذي يمكن معه

1 - لمعرفة المزيد عن هذه العصابات انظر الفصل الثاني من هذا البحث ص 129

2 - Francisco Alvarez: op.cit., p. 190.

3 - Taddesse Tamrat:: op.cit., pp. 89-90.

4 - النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 23 جزء، القاهرة، الطبعة الأولى، 1973م، ج6، ص 202، ابن هذيل: حلية الفرسان، ص193.

5- مجهول: مجموع فن الفروسية، التساريح والتباطيل وهي رسالة في فنون الغزو والجهاد وآلات الحرب والرماية، ورقة17.

6 - Budge: op, cit , P. 302.

القول إن معظم الجنود الأحباش كانوا يفضلون أن يكونوا من حملة الحراب. وقد أكدت بعض المصادر التاريخية المتاحة غلبة هذا السلاح على غيره من الأسلحة الأخرى[1]. حيث ذكر العمري في هذا الصدد: "وأكثر قتال هذه المملكة (الحبشية) بالحراب"[2]، كما أكد المقريزي ذلك بقوله: "إنما سلاحهم الحراب يرمون بها"[3]. كما استخدم الأحباش الحراب أيضًا في بعض المناسبات الاجتماعية والأعياد الدينية حيث كان يضاف إليها سنون من الذهب[4].

3- الرمح

الرمح عبارة عن عود طويل في رأسه حربة يطعن بها، وهو يشبه الحربة إلا أن عصاه أقصر نسبيًا لا يزيد طولها عن المتر. وليس له خطاطيف، وهو يلقى على العدو من بعيد. والرماح نوعان، نوع طويل يستخدمه الفرسان وأخر قصير يستعمله عادةً المشاة[5]، حيث يختلف طول الرمح ما بين خمسة إلى سبعة أذرع وقد يصل إلى عشرة أذرع[6]. لكن كلا النوعين يستخدمان إما للطعن أو للرمي عن بعد، وقد قيل إن الرمح من الفروسية كالرأس على البدن[7].

1 - الطرابلسي: تحفة المجاهدين في العمل بالميادين، ميكروفيلم مصور بمعهد المخطوطات العربية رقم من 11-16 فنون حربية، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 83 فروسية تيمورية، ورقة 12.

2 - مسالك الأبصار، ص40.

3 - الإلمام، ص4.

4 - السيد فؤاد شكر الله: المرجع السابق، ص 31.

5 - يطلق على الرمح الطويل لفظ "الشطاط"، بينما يطلق على الرمح القصير لفظ "النيازك". ومن أهم أجزاء الرمح المتن والكعوب والعالية والسنان والثعلبة والظبة. للمزيد عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، الطبعة الأولى،1961م، ص 143.

6 - ذكرت الرماح في القرآن بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ" سورة المائدة آية 94.

7 - علاء الدين طبيغا: بغية الرامي وغاية المرامي (في الرمي بالقوس والنشاب والبندقية) ميكروفيلم مصور رقم 5 فنون حربية، معهد المخطوطات العربية، ص 46،محمود نديم: الفن الحربي، ص40.

والرماح من الأسلحة الهجومية المهمة[1] التي استخدمها الجيش الحبشي في معاركه المتعددة[2]. وكان الجنود الحبشيون يستخدمون الرماح وهم راجلون كما كانوا يستخدمونها على ظهور الجياد، وكانوا يحملون الرماح على عدة طرق منها الحمل على ركاب الفرس والساق، أو حملها مستعرضة على ظهور الخيل أمام الفارس[3]. أو على عواتق الرجال، كما عمد البعض إلى جر الرماح على الأرض[4].

4- العنزة

هي نصف طول الرمح وتشبه شكلًا، ولكن عصاتها قصيرة ورفيعة وتستخدم للطعن فقط[5] ولها جراب توضع فيه يتصل بالحزام مباشرة. وهذا السلاح تفضله الجماعات غير النظامية في الجيش الحبشي[6].

5- السكين

استخدم الأحباش السكين في معاركهم الحربية[7] وهو سلاح بسيط له نصل مستقيم لا يتعدى طوله العشرين سنتيمترًا وتوضع في داخل جراب يوضع إلى اليسار فيما بين الحزام الجلدي والصدر[8].

1 - محمد عبد الفتاح إبراهيم: المذاهب العسكرية التي شكلت تاريخ العالم، إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة، مطبعة التحرير، يوليو 1968، ص80.

2 - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص279، وقد أرجعها الحموي إلى قرية يقال لها: سمهر بالحبشة وسماها الرماح السمهرية. انظر الشكل رقم (13) في الجزء الثاني من الكتاب.

-Taddesse Tamrat: op, cit , p. 91.

3 - جلال الدين السيوطي: السماح في أخبار الرماح، مخطوطة بمعهد المخطوطات العربية،رقم23، فنون حربية، تحقيق فوزي حمودي القيسي، مجلة المورد، م12، العدد2، بغداد، 1404هـ/1983م.ورقة 4.

4 - نجم الدين حسن الرماح المعروف بالأحدب: الفروسية والمناصب الحربية، تحقيق عيد ضيف العبادي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1404هـ/1984م،موجود بدير الدومينكان (25-1/785-9)، ص17.

5 - ابن هذيل: حلية الفرسان ص213.

6 - السيد فؤاد شكر الله: المرجع السابق، ص 31.

7 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص17 ويذكر أن أحد البطارقة الأحباش أنقذ نفسه من الموت عند مبازة صبي مسلم بهذا السكين "فأخرج البطريق سكينًا كانت معه فطعن بها الصبي". انظر عرب فقيه: المصدر السابق، ص 83.

8 - زاهر رياض: الفرسان والفروسية، ص283.

6- النفط

وهو سلاح حديث العهد نسبيًا ويعتبر أشد فتكًا من الأسلحة السابقة. وقد عرفه الأحباش عن طريق أحد أمراء المماليك المصريين وهو الأمير الطنبغا مغرق حاكم قوص[1] في عهد السلطان المؤيد سيف الدين شيخ المحمودي (815- 824هـ/1412-1421م). حيث قام هذا الأمير بتدريب الأحباش على استخدام النفط[2].

والنفط عبارة عن كرات كبيرة من القماش مشتعلة تغمس في البترول[3] لذلك عرفها الأحباش بالنفط[4] إلا أنها لم تكن شائعة الاستخدام لحاجتها إلى ملابس خاصة غير قابلة للاحتراق[5] ويقذف النفط والمواد الحارقة على الأعداء سواء بواسطة الآلات أو بواسطة اليد. فإذا كانت المسافة بينهم وبين الأهداف بعيدة كانوا يستخدمون المنجنيق[6]. أما إذا كانت هذه المسافة قريبة فكانوا يرمون النفط باليد[7].

1 - وهو أحد مماليك الأمير بزلار نائب الشام، استطاع بكفاءته أن يرتقي في المناصب حتى باشر ولاية قوص من بلاد الصعيد انظر المقريزى، السلوك، ج3،ص340.

2 - وقد عرف هذا السلاح باسم النار الإغريقية. انظر المقريزي، الإلمام ص4، سعيد عاشور، بعض أضواء جديدة، ص32.

3 - Paul B. Henze: op, cit ,p. 68.

4 - L Dudley stamp: op, cit ,p. 358.

5- Richard Pankhurst: The Ethiopians, p.72.

6 - المنجنيق: هو آلة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف، وفيه تجعل كفة المنجنيق التي تحمل الحجر، يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه، ثم يرسل فيرفع عموده الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه فما أصاب شيئًا إلا أهلكه، والمنجنيق له أنواع وأحجام متعددة، ويرمى به الحجارة والنفط وغيرها، ويشبه المنجنيق المدفعية الميدانية الثقيلة في عصرنا الحاضر. انظر: ابن أرنبغا الزردكاش، الأنيق في المجانيق، مخطوطة مصورة علي ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 4/ فنون حربية، تحقيق إحسان هندي، منشورات جامعة حلب، 1405هـ، 1985م، ورقة 8، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 2، ص 152.

7 - الهرثمي: مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون، المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1964م، ص59.

7- البنادق والمدافع

تعد البنادق والمدافع من الأسلحة الهجومية التي عرفها الأحباش خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وذلك نتيجة لاتصالهم بالأتراك الذين مدوا مسلمي الزيلع بتلك الأسلحة والبرتغاليون الذين مدوا نصارى الحبشة بهذه الأسلحة أيضًا، لذلك زود الملك الحبشي بعض الفرق في جيشه الجديد بالبنادق الحديثة والبارود الذي صنع محليًا[1] وتم تدريبهم على استعمال هذه الأسلحة بواسطة البرتغاليين[2].

ويبدو أن استعمال الأحباش للبنادق كان ضعيفًا، فقد ظلوا يفزعون من سماع أصواتها.. "كانوا يعجبون من رمي البندق غاية العجب... وهم يعتقدون أن صاحب البندقية إذا رمى يتمكن من متابعة الرمي من غير انقطاع ولا تحلل، ونحن من هذا التوهم توهمهم صدقة"[3].

ولقد كانت البنادق والمدافع تصل إلى الحبشة عن طريق القوى البحرية البرتغالية عبر مياه خليج عدن، حيث تحالفت القوتان الحبشية والبرتغالية للقضاء على القوى الإسلامية العربية المسيطرة على تجارة شرق إفريقيا والبحر الأحمر وتجارة الهند بصفة عامة[4]، وهو ما يؤكده النص الحبشي[5].

1 - Jones and Monroe: op , cit , pp.81-84.

2 - إبراهيم محمد حسن: الإمام أحمد بن إبراهيم الصومالي وفتوح الحبشة، رسالة ماجستير غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية،القاهرة، 1972، ص190.

3 - الحيمي: سيرة الحبشة، ص 85.

4 - حمدي السيد سالم: المرجع السابق، ص 397.

5 - قدم من البحر أبناء توبال من يافت (يقصد بهم البرتغاليين) وقد أعانوا الكنيسة على قتال المسلمين واستهلوا النصر. للمزيد انظر W. Conzelman: op, cit ,p.12. منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص 17-18.

ولم يقتصر دور البرتغاليين على إمدادهم بالأسلحة بل ومساعدتهم بجنود فنيين متخصصين بلغ عددهم أربعمائة وخمسين جنديًا مسلحين بالبنادق والمدافع بقيادة كرستوفر دي جاما[1]، كما قام جزء من هؤلاء الجنود بتعليم الأحباش كيفية استعمال هذه الأسلحة[2].

وقد أمد الأتراك العثمانيون المسلمين بهذه النوعية من الأسلحة[3]، حيث كان "يضرب لهم بها رجلان من العرب المسلمين على المسيحيين، أحدهم يسمى حسن البصري، والآخر عبد أصفر تركي، كما اشترى الأمام أحمد من الزيلع مدفعًا واحدًا كبيرًا نحاسيًّا واثنين صغيرين حديديين". وعلمهم على استخدامها مهتاران حاضران معه فإنهم كانوا جنودًا، فأعطاهم الإمام مئة أوقية ذهبًا، حيث أرجعوها إلى نوع من السحر"[4].

كما كان لتدريب الضباط الأتراك الذين حضروا مع هذه الأسلحة لقواد الإمام أحمد أثره الكبير في الانتصارات التي أحرزوها فيما بعد، فقد أخذت جيوش الإمام تكتسح البلاد دون توقف[5].

ثانيًا: الأسلحة الدفاعية:-

1- الأقواس والسهام

القوس من أقدم أسلحة القتال وهو قضيب من الخشب شد طرفاه بخيط أقصر من القضيب فيقوسه، وتستخدم في القوس السهام لإطلاقها، وتسمى أيضًا النبال والنشاب، وهو عمود من شجر صلب يقارب طول الذراع، ويركب في قمته نصل من حديد مدبب، له سنان في

1 - الحيمي: سيرة الحبشة، ص 85-86.

2- Mordechai Abir: op, cit , p. 99.

3 - عرب فقيه: المصدر السابق، صفحات 311/310/152/137.

4 – نفس المصدر، ص315-316.

5 - عرب فقيه: نفسه، ص160،الحيمي ص 33.

عكس اتجاهه ليصبح إخراجه صعبًا إذا نشب في الجسم[1] وأحسن الأقواس ما يصنع من الخشب المرن القوي أو الحديد[2]، ولذلك يعد القوس من خير الأسلحة "لاجتماع عدة خصال فيها أهمها سرعة الرمي وخفة الحمل وقوة الفصل"[3].

وتحتاج السهام إلى الكنانة لحفظها وحملها وتسمى الجعبة، والكنانة هي الوعاء الذي يحمل فيه المقاتل سهامه، وهي تصنع من الجلد أو جسم خشبي مغلف بالجلد. وهناك الجفير ويستخدم لحمل السهام أيضًا، ويصنع من الجلد وهو أكثر أتساعا من الكنانة[4]. ولقد كانت عملية صيانة السهام تتم بواسطة الحجارة وخاصة بعد وضع النصل على النار[5].

ومن أنواع القوس والتي استخدمها كل من الجيش الحبشي والإسلامي ما يسمى "القسي"، وهى عدة أنواع: منها القسي العربية، والقسي الفارسية، والقسي التركية، وهي تطلق سهامًا صغيرة وسريعة، باستعمال أنبوب مجوف تطلق السهام الصغيرة والمتعددة من داخله والتي لا يقل عددها عن خمسة تخرج دفعة واحدة[6].

1 - مجهول: الفروسية برسم الجهاد، وما أعد الله للمجاهدين من العباد، ورقة 15-16،عبد الرحمن زكي، السلاح في الإسلام، ص33،47.

2 - الأشرافي: بغية الرامي وغاية المرامي، ورقة 63، جهادية العزة غولي: العقلية العربية في التنظيمات الإدارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول 132هـ-232هـ دائرة الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد،1986م، ص186.

3 - ومن أهم أجزاء القوس البدن والمقبض والسية والقاب والوتر والغرضة. انظر: عبد الرحمن الطبري، الواضح في الرمي والنشاب، مكتبة الأزهر، مخطوطة تحمل رقم 7275، ورقة 26،28.

4 - النويري: نهاية الأرب، ج6، ص235، عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص91.

5 - من أهم أجزاء السهم- القدح، النصل، سنخ النصل، العقب، الشريحة، الريش. انظر مجهول: مجموع فن الفروسية، ص38، عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص139.

6 - محسن محمد حسين: الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، دمشق، الطبعة الأولى، 1986، ص287 – 288، الطرابلسي، تحفة المجاهدين في العمل بالميادين، ورقة 18.

وتتخذ القسي من عدة أنواع من الشجر أهمها شجر النبع والشواحط[1]، والسدر والضال والشريان والتين والعجرام والرمان، والسفرجل... وغيرها[2]. وأجود الخشب ما اجتمعت فيه الصلابة والخفة ورقة البشرة، وكلما ازداد لين القوس ومرونته كان أدق وأبعد رميًا، لذلك تترك بعد قطعها في الظل لتشرب ماء اللحاء[3].

ولقد كان حملة القوس من الجنود الأحباش هم أول من يبدأ المعركة في الهجوم والدفاع على حد سواء، وكان عدد هؤلاء الجنود الأحباش الذين يستخدمون الأقواس كبيرًا في الجيش الحبشي خاصة في عهد عمدا صيون، حيث كان جيشه به مشاة يحملون الأقواس والسهام[4]. وقد أكد العمري وغيره من المؤرخين على كثرة استخدام الأحباش لهذا السلاح، ومنهم الرماة بالنشاب[5]، كما ذكر في موضع آخر: "وسلاح المقاتلين منهم القسي والنبال الشبيهة بالنشاب"[6]. وقد قيل إن النشاب هي القوس الأعجمية أما النبال فهي سهام القوس العربية التي تسمى نبلاً[7].

2- الدرع

يعد الدرع من أهم الأسلحة الدفاعية وعُرف منذ العصور القديمة، وهو لباس حامٍ يرتديه المقاتلون للوقاية من الأسلحة في المعارك والاشتباكات العسكرية، ولم يكن الدرع الحبشي يغطي جسم الفارس مثل الدرع الأوروبي. وكان هذا الدرع الحبشي مصنوعًا من أربع طبقات

1 - عبد الرحمن زكي: السلاح في الإسلام، ص33.

2 - ابن هذيل: حلية الفرسان، ص214.

3 - عبد الرحمن زكي: السلاح في الإسلام، ص33.

4- Taddesse Tamrat: op, cit , p. 92.

5 - العمري: المصدر السابق، ص40، القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص318.

6 - العمري: المصدر السابق، ص47.

7 - مؤلف مجهول: السيف والرمي (أسلحة المجاهدين)، تحقيق عيد ضيف العبادي، مجلة المورد، المجلد 12، العدد 4، بغداد،1404هـ/ 1983م، ص38.

من جلد الجاموس السميك أو من الحديد[1] أو طبقتين من جلود الفيلة، وتضم هذه الطبقات إلى بعضها بمسامير صغيرة تدور حول حافته الخارجية[2]. وأحيانًا يكون للدرع حافة من المعدن تساعد على تثبيت الطبقات مع بعضها ثم تدور حول مركز الدرع حلقات من الشرائط المعدنية المثبتة بمسامير. وفي باطن الدرع في الوسط مقبض من الجلد السميك يمسك به الفارس فتكون وقاية ليده اليسرى التي تتحرك بسهولة لحماية صدره[3]. ولبعض الدروع مقبضان بدلًا من واحد يدخل الذراع الأيسر في الأول إلى ما قبل الكوع ثم تقبض على الآخر. وكانت بعض الدروع مخروطية الشكل يرتفع مركزها عن بقية سطح الدرع وتغطى هذه القمة بطبقة من المعدن ثم تدور الأشرطة المعدنية المثبتة بالمسامير حول هذه القمة حتى تنتهي بالحافة الخارجية[4].

3- التروس

وهو سلاح دفاعي من الحديد أو الخشب أو الجلد يستخدمه المقاتل لوقاية نفسه من ضربات السيوف والرماح والسهام[5]. وقد تعددت أنواع التروس، فمنها المسطح لاتقاء طعنات الرمح، والمستطيل ويتقى به النشاب، والمقيب ويتقى به السيف[6]. ومنها المستدير لتنزلق عليه

1 - ويؤكد النص الحبشي ذلك. انظر: W. Conzelman: op, cit ,p.19.
منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص 41.

2 - Taddesse Tamrat: op, cit , pp. 92-93.

3 - عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص137.

4 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص66-67-73-85-139.

5 - ومن أسماء الترس الجحفة والدرقة والمجن والفرض والصلب والترس العربي مستدير الشكل، إبن هذيل، حلية الفرسان،ص24.

6 - مؤلف مجهول: خزانة السلاح دراسة عن خزانة السلاح ومحتوياتها في عصر الأيوبيين والمماليك، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978م، ص56.

الرماح[1]، ويمكن استخدام أي منها لصد أي ضربة من الضربات بأي سلاح عند الضرورة[2]. وللترس علاقة يحمل بها في حالة عدم الاستعمال، أما في حالة الاستعمال فله عروة من الداخل يدخل المقاتل ذراعه فيها إلى المرفق، ويستعمل الترس عادة باليد اليسرى[3].

وتؤكد بعض المصادر التاريخية استخدام الجيش الحبشي للتروس في حروبه مع المسلمين في المعارك المختلفة خاصة في معركة صمبر كوري عام 935هـ/ 1529م[4].

4- الأسلحة الخفيفة

هناك بعض الأسلحة الخفيفة، والتي استخدمها كل من الجيش الإسلامي والجيش الحبشي[5]، ومنها الخنجر[6]، ومنها الطويل، ومنها القصير الذي يجعل تحت الثياب. يذكر أن الخنجر استمر استخدامه بصورة فعالة حتى في العصور الحديثة في الحبشة، فقد حارب الإمبراطور جلاوديوس قبائل الجالا واستطاع الانتصار عليهم بواسطة هذه الخناجر[7]. ومن هذه الأسلحة أيضًا العمود ويضرب به على الرأس والبدن، وتذكر المصادر الحبشية أن استخدام الخنجر ظل سائدًا في الحبشة حتى بعد أن شاع استخدام الأسلحة الحديثة من البنادق

1 - عبد الرحمن زكي: السلاح في الإسلام، ص16.

2 - الطرابلسي: تحفة المجاهدين في العمل بالميادين، ورقة 19.

3 - محمود أحمد سليمان عواد: الجيش والقتال في صدر الإسلام، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى،1407هـ-1987م، ص 392.

4 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص63 وللمزيد عن تفاصيل هذه المعركة انظر الفصل الثالث من هذا البحث.

5 - كرم الصاوي: المرجع السابق، ص20.

6 - الخنجر: عبارة عن سلاح صغير يحمله المحارب ليطعن به عدوه.

7 - Mordechai Abir: op, cit, pp85-92.

والمدافع[1]، [2]

ሖረ ፡ ንጉሥ ፡ ገላውዴዎስ ፡
ኀበ ፡ ትዕይንተ ፡ ጋላ ፡ ወፀብኦሙ ፡ ወአኀለቆሙ ፡
በመጥባሕት ፡ ወለአለ ፡ ተርፉ ፡ ረሰዮሙ ፡ ከመ ፡ እግ
ብርት ፡ ዘታኅተ ፡ ሥልጣኑ ።
ምድር ፡ እምኀትለ ፡ ጋላ ፡

ومن الأسلحة الخفيفة الدبوس وجمعه دبابيس[3] وهي عصا من الحديد لها رأس حديدية متوسطة ذات أضلاع ويضرب به مثل العمود. والمقلاع هو عبارة عن كفة من الجلد أو القماش[4]، إما بيضاوية أو مستديرة لها طرفان في الأول، أو ثلاثة في الثانية[5].

---

1 - "في ذلك الزمن، أقصى الملك العادل -أبو صاحب هذا التاريخ- عن عرشه، من أبناء ذلك الملك العادل من مات بالخنجر ومنهم من أسر ثم عاد" انظر W. Conzelman: op, cit, p.5.

، منال عبد الفتاح محمود عبد الله: المرجع السابق، ص 8.

2 - "ذهب الملك جلاوديوس إلى معسكر الجالا وحاربهم وأهلكهم بالخناجر". انظر W. Conzelman: op, cit ,p.53.

3 - الأشراقي: بغية الرامي وغاية المرامي، ص 48 الدبوس: آلة من الآلات الحرب في العصور الوسطى تشبه الإبرة. وكانت تصنع من عود طوله نحو قدمين من الخشب الغليظ في أحد طرفيه رأس من الحديد قطرها ثلاث بوصات تقريبًا. انظر عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص155، سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1976م،ص 422.

4 - عرب فقيه: المرجع السابق ص203.

5 - ابن أرنبغا: الأنيق في المنجانيق، ص37-38.

وإضافة إلى ما سبق يمكن الإشارة إلى بعض وسائل الحرب المهمة المتمثلة في بعض الحيوانات المستخدمة أثناء الحرب والعدة التي تحتاجها هذه الحيوانات لتجهيزها للحرب. أما أهم هذه الحيوانات المستخدمة خلال تلك الفترة فهي الخيل والتي تعتبر سلاح رئيس للفرسان الأحباش ومن أهم عدة الخيل اللجام والسروج والحدوة[1]، وكذلك البغال والتي تستخدم لنقل الجنود والكراع[2]، وكذا الإبل والتي كان لها دور مهم كذلك أثناء الحرب.

ثالثًا: الأسلحة المعنوية

وهي أسلحة استخدمها كل من المسلمين والمسيحيين في بلاد الحبشة، ومن أهم الأسلحة المعنوية التي استخدمها المسلمون القرآن الكريم، سلاح الإيمان، وهو أهم سلاح. لذلك كان ملوك المسلمين لا يخرجون للقتال إلا ومعهم المشايخ والفقهاء ورجال الدين، ليشدوا أزرهم على الثبات والاستشهاد في سبيل الله دفاعًا عن العقيدة وعن بلاد الإسلام. ورأس السلاح في الحرب عند المسلمين تقوى الله وكثرة ذكره والاستعانة به والتوكل عليه واللجوء إليه، وسؤاله التأييد والنصر والظفر"[3]. كما كان يصاحب الجيش الحبشي المسيحي أيضًا عدد كبير من رجال الدين من الرهبان والبطارقة والقساوسة لحث الجنود على قتال المسلمين ويبثون فيهم روح الشجاعة ويعرفونهم بأنهم يدافعون عن دين الآباء والأجداد، فكانوا بذلك يخلعون على القتال صبغة الحروب الصليبية[4]. ولذلك كان المسلمون يحرصون على قتلهم بمجرد

---

1 - محمود عواد: الجيش والقتال، ص 429-432.

2 - عرب فقيه: المرجع السابق ص78،83. والكراع تعني ذخيرة الحرب من الأطعمة والمؤونة انظر سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي، ص 449.

3 - الهرثمي: مختصر سياسة الحروب، ورقة 3.

4 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 150-152.

وقوعهم أسرى في أيديهم لأن جمهرة المسيحيين الأحباش كانوا يتأثرون بأقوالهم وبتحريضهم على قتال المسلمين[1].

من خلال العرض السابق يمكن إجمال الاستخدامات المختلفة للأسلحة، وذلك وفقًا لما ذكره النص الحبشي في عهد جلاوديوس[2].

وعلاوة على ذلك فقد أشارت بعض المراجع إلى مدى تقسيم هذه الأسلحة على الجيش "الفرسان لابسي الدرع الحديدي. ....، مشاة من حاملي السيوف، ....، مشاة من حاملي الحربة، مشاة مجهزين بمنجنيق، مشاة من رماة السهام، مشاة مجهزين بحاملة السهام"[3].

ويتضح من ذلك أن هذه الأسلحة لم تكن على نفس الدرجة من الانتشار بالنسبة لاستخدامات الجيش الحبشي، فقد استعمل بشكل رئيس الأقواس والسيوف والرماح والدروع والحراب. كما استخدمت جيوش المقاطعات المختلفة الأسهم على نطاق واسع. في حين استخدمت باقي الأسلحة على نطاق أضيق تحت ظروف محددة[4].

رابعًا- الصناعات الحربية

أما عن المصادر التي كان يتم من خلالها توفير الأسلحة سالفة الذكر، فهي متعددة ولكن يمكن القول أن أهم هذه المصادر هو قيام بعض القبائل الحبشية بتصنيع بعض أنواع الأسلحة وخاصة السيوف

---

1 - المصدر السابق، ص 152، رجب محمد عبد الحليم، العلاقات السياسية، ص 129.

2 - "كان هناك عدد لا يحصى ممن يحملون السهام ويضربون بها وكذلك يوجد مئات الآلاف من المشاة حاملي السيوف والرماح والترس والرجال الذين يستطيعون الضرب بالمنجنيق... وكان هناك خمسمئة من رماة القوس". للمزيد انظر:

- W. Conzelman: op, cit ,p.84.

، منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص 34.

3 - W. Conzelman: op, cit ,p.16.

، منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص 30.

4 - W. Conzelman: op, cit ,p.16.

، منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص 30.

والرماح والدروع والسهام المسمومة، فضلًا عن قيام بعض صناع الأسلحة من العرب بتصنيع الخناجر الحبشية[1].

ولما كان تصنيع الأسلحة محليًا من خلال القبائل الحبشية وصناع الأسلحة العرب لا يكفي لمتطلبات الحروب المتكررة، خاصة بين المسلمين والنصارى، لذلك فقد لجأ الملوك الأحباش إلى توفير مصدر آخر لإمداد الجيش بالسلاح ألا وهو استيراد هذه الأسلحة من الخارج من خلال الاعتماد على التجار المسلمين[2]، وفي هذا الصدد تشير بعض المراجع إلى انتهاز الملك إسحاق مجيء أحد المماليك الجراكسة (والذي كان يعمل بوظيفة زردكاش بديار مصر)[3]، حيث كلفه بعمل زردخانات عظيمة تشتمل على كافة أنواع الأسلحة من السيوف والرماح وغيرهم. كما قامت صناعات اشتغل بها بعض السكان مثل صناعة السلال والحقائب من الجلد والقماش كما احترف البعض الحدادة وسباكة المعادن وصناعة السيوف والحراب والدروع وتطريز الملابس بخيوط الذهب وتزيينها بلبد الأسد، كما عمل البعض بصناعة الذهب والمجوهرات النفيسة لاستخدمها في ملابس وأجساد النبلاء[4]، ولكنها كانت غالية الثمن لقلة عدد الصناع[5].

12- ظهور البارود واستخدامه في الحروب

<u>أ- ظهور البارود</u>

يعتبر البارود من الاكتشافات[6] التي غيرت مجرى التاريخ الإنساني نظرًا لما أحدثه من آثار كبيرة عبر الحضارات الإنسانية المختلفة، وهو

---

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 105، يوسف أحمد، المرجع السابق، ص32-33.

2 - Taddesse Tamrat: op, cit , p. 259.

3 - الزردكاش: هو الصانع الذي يعمل في صنع السلاح وإصلاحه وتجديده. انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص12.

4 - Budge: op, cit, p. 288.

5 - Paul B. Henze: op. cit., p. 64.

6 - يصح في رأينا استخدام تعبير "اختراع البارود" على أساس أنه اختراع لتركيبته الكيميائية الخاصة، كما يصح استخدام تعبير "اكتشاف البارود" على أساس أن المواد التي تدخل في تركيبته موجودة جميعًا في الطبيعة.

يعتبر شأنه في ذلك شأن معظم الأسلحة الأخرى من الاكتشافات ذات الاستخدام المزدوج، فبينما يمكن استخدامه في الأغراض الحربية والتدميرية فإنه أيضًا له استخدامات أخرى في الأغراض السلمية. فقد استخدم هذا السلاح استخدامًا تدميريًا في الحروب والمعارك المختلفة والثورات الأهلية عبر التاريخ الإنساني، كما استخدام أيضًا في مجالات سلمية كما هو الحال في استخداماته الصناعية والإنشائية المتعددة[1].

ولقد ذهب كثير من المؤرخين والباحثين إلى أن أول اكتشاف للبارود قد تم في الصين، وانتقل بعد ذلك إلى العرب المسلمين زمن الخليفة هارون الرشيد الذي وعد بعض الأسرى الصينيين لديه عام183هـ/ 800م بإطلاق سراحهم بشرط الكشف عن سر صناعة البارود والبوصلة، حيث قام هؤلاء الأسرى بذلك في مقابل إطلاق سراحهم[2]. كما وجدت مصادر أخرى تؤكد سبق العرب لاكتشاف البارود، حيث عمدت هذه المصادر إلى دراسة المخطوطات العربية التي كتبها علماء أسهموا في الكشف عن مادة البارود[3]، حيث تبين أن العربي نجم الدين حسن الرماح الأحدب (ت695هـ/ 1295م) قد وصف التركيب الكيميائي للبارود محددًا النسب الدقيقة لعناصره المختلفة[4]. كما تبين أيضًا أن

1 - رغد الرفاعي: البارود والبندقية، السلاح الناري الأول، مجلة الدفاع الخليجي، العدد الثاني، يناير 1993، ص49-50.

2 - صلاح حسين العبيدي: أنواع الأسلحة العربية والإسلامية وأوصالها، الجزء الرابع، دار الحرية، بغداد، 1988، ص152، عبد الرحمن زكي: العرب والكشف عن البارود، المجمع المصري للثقافة العلمية، الكتاب السنوي الثالث والأربعون، 1973، ص86

3 - عبد الرحمن زكي: ابن إياس واستخدام الأسلحة النارية في ضوء ما كتبه في كتاب بدائع الزهور، ص104-105.

4 - الرماح: الفروسية والمناصب الحربية، ولقد تكلم المؤلف عن التركيب الكيمياني للبارود محددًا النسب الدقيقة لعناصره، وكأنه سلاح معروف في مصر منذ زمن مبكر، فيذكر تركيبه من الملح والكبريت المسحوق، ورماد الفحم والبرادة والنشادر- والزرنيخ الأحمر والتيلة الزرقاء والقنابل، واللهب بينهما، وأن البارود يوضع في طاجن، وأوضح كيفية الحرب به، وكذلك تكلم الرماح عن الصواريخ، ويرى أنها من البارود وذكر القنبلة وكيفية عمل ذخيرة لها، وأنها لا تستعمل إلا إذا جاءتها النار، وقد اعترف مؤرخو العلوم الغربيون عند اكتشافهم لهذا الكتاب بفضل العرب في اختراع الأسلحة النارية. كما أورد ابن أرنبغا الزردكاش في كتابه "الأنيق في المجانيق" عن تركيبات الذخيرة مع العلم بأنه

مخطوطة "التعريف بالمصطلح الشريف" لابن فضل الله العمري قد قدمت دليلًا جديدًا على وصول العرب إلى اكتشاف البارود قبل غيرهم[1].

ب- استخدامات البارود

سبقت الإشارة إلى احتمال ظهور البارود في الصين قبل غيرها من الأمم، إلا أن الصينيين لم يستخدموا البارود في الأغراض الحربية، بل اقتصر استخدامهم له في الأسهم والألعاب النارية التي كانوا يطلقونها احتفالًا بالمواسم والأعياد المختلفة[2]. ويذكر أن استخدام البارود في الأسلحة النارية لم يتم إلا عند اكتشاف أن احتراقه في حيز محصور يولد ضغطًا عاليًا في فترة وجيزة من الزمن، وهو الأمر الذي لم يتم اكتشافه إلا لاحقًا[3]. أما عن استخدام العرب المسلمين للبارود كسلاح حربي، فقد تم ذلك خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي عبر المنجنيقات، ثم طوروا له أنابيب أطلقوا عليها في البداية "صناديق المخاسفة" والتي يتم إطلاقها بواسطة منجنيقات ذات مواصفات خاصة، وقد اعتبر البعض هذه الأنابيب هي بداية ظهور المدافع المستخدمة حاليًا. ويذكر أن العرب لم يطلقوا على هذه المادة المتفجرة اسم البارود، وإنما سموها باسم "الحجر الناري" أو "زبت الحجر" أو "النفط"[4]. هكذا يمكن القول أن العرب هم أول من طور استخدامات البارود وكذلك الأسلحة الجماعية (المدفعية) والفردية اللازمة

أسماها المنجنيق ونسبها إلى سلاح النفط- وكان يقصد البارود حيث أن تركيب الذخيرة الذي أورده مؤلفه يطابق تمامًا تركيب سلاح البارود.

1 - صلاح حسين العبيدي: المرجع السابق، ص 155-156.

2 - رغد الرفاعي: المرجع السابق، ص51.

3 - زياد أبو غنيمة: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، دار الفرقان، عمان، 1983، ص245.

4 - جرجي زيدان: المرجع السابق،ج4، ص202.

لاستخدامه[1]. حيث وجد ما يؤكد قيام العرب المسلمين بتطوير جميع أشكال الأسلحة المستخدمة في قذف النفط والكرات النارية[2]. وليس أدل على ذلك من شهادة الفارس الفرنسي جوانفيل JoinVille الذي شهد معركة المنصورة 1250/1249م بقيادة ملك فرنسا لوس التاسع[3].

ولعل استخدام العرب المسلمين للبارود وتفوقهم في تطوير ذلك السلاح قد جاء كرد فعل طبيعي لمهاراتهم في استخدام النار الإغريقية[4] والتي عرفوها قبل استخدام البارود. فقد توافر سلاح النار الإغريقية في بلاد المسلمين، واستعمله المماليك في مصر في معظم معاركهم الحربية.

---

1 - ثبت تطور استخدام هذا السلاح في الأندلس بمملكة غرناطة وفي المغرب الأقصى تطوزا عظيمًا. وهناك من المخطوطات ما يؤكد استخدام الأندلسيين للمدفعية منذ أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، في حين نجد رواية "ابن خلدون" عن استخدام العرب المسلمين لهذا السلاح في معركة سجلماسة في المغرب الأقصى عام 772هـ/1273م.عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، دراسة شاملة للنظم السياسية، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، 1964م، ص172-173، سهيل زكار: المدفعية عند العرب في أوائل القرن السابع عشر، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد 49، السنة الخامسة، 1403هـ / 1982م، ص6، ابن خلدون، المرجع السابق، جـ7، ص388 وقارن ذلك بما ورد في مقال سهيل زكار، ص15.

2 -Ayalon, David: Gun Powder and fire Arms in the Mamluk Kingdom, London, 1956. No.14. p.6.

3 - عن هذه الشهادة و تحليل هذا النص من وجهة النظر الحربية. انظر محمود نديم أحمد فهيم: المرجع السابق، ص178-179.

4 - ابن أرنبغا: الأنيق في المجانيق، ورقة 5 وسميت بالنار الإغريقية نسبة إلى مخترعها المهندس الإغريقي الكلينيكوس Kallinikos الذي اخترعها في عهد الإمبراطور قسطنطين الرابع (668-685م) وتركيب هذه النار عبارة عن مزيج من النفط والزيت والكبريت المجمد بنوع من الصمغ القابل للاشتعال وكان هذا المزيج يوضع في أنابيب من النحاس لها فم يوقد منها، وفي مؤخرتها قوس يدفعها بقوة الضغط إلى الإمام، وكانت تلك الأنابيب النحاسية توضع بكميات كبيرة في أسطوانة هائلة مستديرة، وتلقى في المنجنيق ثم تقذف على العدو، فتصليه نارًا حامية وأنها نفس نظرية قاذفات اللهب حاليًا والتي تطورت إلى النابلم. انظر جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على مصر، الإسكندرية، 1968م، ص157، محمود نديم: المرجع السابق، ص175-176.

وأطلقوا على الجنود مستخدمي هذا السلاح لفظ "النفطية"، وقد أظهر هؤلاء الجنود مهارة فائقة وخبرة عالية في استعمال هذا السلاح، الأمر الذي أدى إلى تمتعهم بنفس المهارة والخبرة حين استخدموا البارود والذي يمكن اعتباره تطورًا طبيعيًا لسلاح النار الإغريقية[1].

أما عن استخدام الأحباش للأسلحة النارية بصفة عامة والبارود بصفة خاصة، فقد سبقت الإشارة إلى معرفة الأحباش لسلاح النار الإغريقية، حيث قام الأمير الطنبغا حاكم قوص بتدريب الأحباش عليه، إلا أنه لا توجد دلائل تشير إلى إجادة الأحباش لاستخدام هذا السلاح، ربما لحداثته بالنسبة لهم وعدم تعودهم على استخدامه، فضلًا عن عدم توافر الملابس الحربية الواقية من الحرائق والتي لا بد من استخدامها مع هذا السلاح. وعلى أية حال فلم يستمر استخدام الأحباش لهذا السلاح لمدة طويلة، فقد عرفوا سلاحًا أكثر تطورًا وربما أسهل نسبيًا في الاستخدام وهو البنادق والمدافع[2]، والتي عرفت بالحبشة كنتيجة لاتصال الأحباش بالأتراك العثمانيين والبرتغاليين. وفي هذا الصدد فقد قام الإمبراطور لبنا دنجل بتزويد بعض فرق الجيش

---

1 - كان استخدام البارود وآلاته من المدافع أو البنادق قاصرًا على أبناء مصر وسودانه وحدهم، إذا يقول ابن إياس أن من يرمي بالمدافع أو البنادق في أيام دولة المماليك هم أولاد الناس، أي المصريين وسودان مصر، وذلك لأن المماليك كانوا من الفرسان لا يستعملون إلا السيف أو ما في نوعه، وهو يؤكد أيضًا رفض فرسان المماليك استخدام مثل هذه الأسلحة آنذاك. انظر عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص23،ابن إياس، بدائع الزهور، جـ3، ص 369، عبد الرحمن زكي، ابن إياس واستخدام الأسلحة النارية، ص 114،

- Roland Oliver: The Middle Age Of African History , Oxford 1968,p.64

2 - تعتبر البندقية أول سلاح ناري عرفته الجيوش حيث كانت في بداية صناعتها طويلة بدائية، وكان الجندي يقضي وقتًا طويلًا لإعادة تعميرها، كما أن مرماها كان محدودًا، وكان الرمي بها قليلًا، ولهذا كان على حملة البنادق أن يقاتلوا من قاعدة قوية صلبة يكونها حملة الحراب الذين يدافعون عن حملة البنادق أثناء إعادة تعميرها، لذلك كان من الطبيعي أن تكون نسبة حملة البنادق إلى حملة الحراب قليلة. انظر محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص116.

الملكي بالبنادق والبارود المصنوع في الحبشة[1]. ويذكر أن استعانة الأحباش بالبرتغاليين لتلقي التدريب الكافي لاستخدام البنادق قد استغرق فترة طويلة من الزمان[2].

ورغم ظهور مثل هذه الأسلحة بالحبشة، والمحاولات التي بذلت لتدريبهم عليها، إلا أنه يمكن القول بأن انتشار استخدام هذه الأسلحة في ميدان القتال واكتساب مهارة هذا الاستخدام لم يتم إلا في العصور الحديثة. وربما يمكن إرجاع أسباب عدم انتشار مثل هذه الأسلحة بالحبشة قبل هذه العصور إلى عدة أسباب لعل من أهمها أن المدافع قد مثلت سلاحًا مستحدثًا تمامًا من وجهة نظر الجندي الحبشي حيث لم يسبقها أي سلاح مماثل لدى هذا الجندي. فضلًا عما تطلبه استخدام هذه الأسلحة من إحداث تغييرات جوهرية في التكتيك العسكري وأساليب القتال[3]، وما يستتبعه من حدوث ثورة في الحكومة الحبشية العسكرية بحيث تختار سبيلًا يختلف اختلافًا عظيمًا عن روح نظامها القديم. وكلها أمور صعب توافرها خلال هذا العصر ربما لانشغال الجيش بعدة حروب متواصلة[4].

علاوة على ما سبق، يمكن الإشارة إلى بعض الأسباب النفسية لعزوف الفرسان الأحباش بصفة خاصة عن استخدام البنادق. ذلك أن البندقية تعتبر سلاحًا شخصيًا وجماعيًا في نفس الوقت، وكانت من أهم دواعي استخدامه ضرورة تجريد الجندي المستخدم له من أدوات الحرب القديمة مثل القوس والرمح والسيف[5]. وكان هذا التجريد عملية لا يقبلها الفارس الحبشي، إذ أنها تعتبر من وجهة نظره بمثابة حرمانه من سلاحه التقليدي وفرسه اللذين كانا سببًا في ارتفاع مكانته وعلو شأنه.

1- Jones and Monroe: op. cit. p. 81.

2 - إبراهيم محمد حسن: المرجع السابق، ص190.

3 - محمد عبد الفتاح: المرجع السابق، ص117-118.

4- Roland oliver, op.cit.p.182.

5 - محمد عبد الفتاح: المرجع السابق، ص118.

وهكذا فقد رفض الفارس الحبشي أن تنخفض مكانته. فيقاتل على قدميه كجندي المشاه المضطر للسير على قدميه[1]. ولذلك كان استعمال السلاح الناري لا بد وأن يحدث تغييرات بعيدة المدى في التنظيم القتالي وأساليب الحرب، ومجمل القول أن أي جهود تستهدف نشر البنادق في الجيش الحبشي على نطاق واسع، كان لا بد لها من استحداث فرق عسكرية جديدة ينتمي جنودها إلى طبقات أقل شأنًا ولا يتوافر لهم مبادئ التدريب القتالي التقليدي إلا القدر اليسير[2].

يذكر أن هذا العزوف عن استخدام هذه الأسلحة استمر في الحبشة على وجه الخصوص حتى أواخر القرن الحادي عشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، فحينما زار الحيمي بلاد الحبشة وجد أن الأحباش يفزعون من سماع أصوات البنادق "وكانوا يعجبون من رمي البندق غاية العجب... وهم يعتقدون أن صاحب البندقية إذا رمى يتمكن من متابعة الرمي من غير انقطاع ولا تحلل"[3].

ورغم المبررات السابقة والتي أشارت إلى عدم إقبال الأحباش على استخدام البنادق بالكفاءة والمهارة المطلوبة، إلا أن هذا لا يعني أنهم عزفوا عن استخدام! على الإطلاق، بل إن الراجح أنهم استخدموها على نطاق محدود وفي عهد حديث نسبيًا، وكان هذا الاستخدام لمثل هذه الأسلحة يتم من خلال تدريب شاق يستغرق فترات طويلة

---

1 - من الواضح أنه كان من المرغوب فيه أن يستطيع جندي المشاة إطلاق بندقيته وأن يصمد لهجوم خيالة العدو وخاصة بسبب أن الجمع بين حملة البنادق وحملة الحراب قد أربك التكتيكات، يذكر أنه تم حل هذه المشكلة على يد رجل فرنسي يدعى "بيوسيجور" عام 1647م عندما استطاع أن يثبت إلى فم ماسورة البندقية خنجرًا صغيرًا، وهو الأمر الذي أدى إلى اختفاء حملة الحراب والرماح، وصار جندي المشاة يحمل سلاحًا ذا غرض مزدوج في البندقية، مما يمكنه من إطلاق مقذوف في المرمى الطويل، وهي أيضًا تمده بحربة في المدى القصير، ومن ثم استطاع جندي المشاة أن يصمد وحده لهجمات الخيالة. انظر محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص117.

2 - عبد الرحمن زكي: ابن إياس، ص121.

3 - الحيمي: المصدر السابق، ص85.

بالاستعانة بالضباط والجنود البرتغاليين وغيرهم[1]. ومن هنا يمكن القول إن الجيش الحبشي في عهد الأسرة السليمانية لم يتوسع في استخدام البارود والأسلحة الحديثة إلا في منتصف القرن السادس عشر الميلادي، حيث كانت هذه الأسلحة في ذاك الوقت تصنع من النحاس والحديد، وكانت مختلفة الأحجام، فقد اشترى الإمام أحمد "مدفعًا واحدًا كبيرًا نحاسيًا واثنين صغيرين من حديد"[2]، كما يوجد إشارات كثيرة تشير إلى امتلاك جيش المسلمين بالحبشة المدافع التي جلبت غالبًا من جنوب شبه الجزيرة العربية نظرًا لقربها من بلاد الزيلع. وقد تكون تلك المدافع قد تسربت إلى الجنوب العربي من العثمانيين الذين كانوا يعملون على السيطرة على اليمن آنذاك[3]. وما كاد الإمام أحمد يمتلك هذه الأسلحة حتى بدأ يستعد لخوض المعارك ضد المملكة الحبشية المسيحية، حيث استطاع دخول إمارة دوارو وفيها جرت معركة أنطوكية (937هـ/1531م) واستخدم فيها المدافع لأول مرة، ولذلك استطاعت قواته من إحراز نصر ساحق على الأحباش المسيحيين[4].

وإذا كان بعض المؤرخين المحدثين قد رجحوا احتكار الإمام أحمد بن إبراهيم وجنوده وحدهم لهذا السلاح الفتاك، إلا أن هناك إشارات عديدة تنفي هذا الاعتقاد، فلقد كان اتصال أباطرة الحبشة بملاك هذه الأسلحة من الأوربيين منذ زمن بعيد نسبيًا، ما يشير إلى امتلاك هؤلاء الأباطرة لهذه الأسلحة بفترة أسبق من امتلاك الإمام أحمد لها، والدليل

1 - Jones and Monroe: op. cit. p. 82.

2 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 315-316.

3 - المصدر السابق، ص 109.

4 - تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى تفوق عرب المهرة بالذات في هذه المعركة، وخاصة رجلين منهم أشاد بهما عرب فقيه وقال إنهما يجيدان رمي القوس فلم يكونا يخطئان أحدًا رموه من الأحباش المسيحيين، ولم يحسم المعركة إلا مقدم المهرة سعيد بن صعبان المهري الذي أمره الإمام أحمد بضرب الأحباش بمدفعه، فكان له أثر كبير في انتصار المسلمين. انظر عرب فقيه: المصدر السابق، ص109، 312، رجب محمد عبد الحليم، العروبة والإسلام، ص183-184.

على ذلك تلك الإشارات التي وردت عن عرب فقيه (الذي كان معاصرًا لتلك الأحداث) توضح أن الإمام أحمد قد غنم في موقعة وقعت في مكان يسمى (دخن دور) ومعناها مسكن الفيل في عام 937هـ/ 1531م، ستة مدافع من الأحباش المسيحيين[1]. وقد مكن استخدام نصارى الحبشة البارود من حسم كثير من المعارك لصالحهم، وهو الأمر الذي يؤكده النص الحبشي[2]

ወወድቁ ፡ በውእቱ ፡ መዋዕል ፡ ብዙኃን ፡ ሰብአ ፡ እመሳ
ፍንተ ፡ እስላም ፡ ወእሊአሆሙ ፡ በኀይን[9] ፡ ዘውስተ ፡ እ
የዊሆሙ ፡ ለጉራፍት ፡ ንእሳን[10] ፡ እምሥራዊተ ፡ ገዢት ፡
ንጉሥ[11] ፡

ليس هذا فحسب، بل إنهم استخدموا أيضًا هذه المدافع في الدفاع عن جبل العنبا، وذلك من خلال صب نيرانها على المسلمين من فوق ذلك الجبل[3].

تأسيسًا على ما سبق يمكن الادعاء بامتلاك كلٍ من نصارى الحبشة والمسلمين الأحباش للأسلحة الحديثة المعتمدة على استخدام البارود في العقد من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، أما عن أثر ذلك السلاح في ترجيح كفة أي من الفريقين على الآخر، فيمكن القول إن ذلك قد ارتبط بكفاءة الجنود في استعماله، وأدى استخدام المسلمون لهذا السلاح إلى ترجيح كفة المسلمين والذين أوشك جيشهم على الاستيلاء على الحبشة بأسرها بسبب مساعدة الأتراك لهم وتدريبهم

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص165.

2 - وفي تلك الأيام سقط عدد كبير من قادة المسلمين وذويهم بقوة أيدي فرق صغيرة من جيوش ذلك الملك.

W. Conzelman: op.cit,p.10.

، منال عبد الفتاح محمود، المرجع السابق، ص9.

3 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 311-315.

للمسلمين على استخدام هذه الأسلحة. إلا أن انتصاراتهم قد توقفت عندما أخطأ الإمام أحمد وتوهم أنه بهذه الانتصارات قد قضى على أعدائه نهائيًا، وانتهى الأمر لصالحه إلى الأبد، لذلك رفض المساعدات التركية وأعادها إلى باشا زبيد[1] في الوقت نفسه تجمعت قوات البرتغاليين مع الإمبراطور جلاوديوس بعد أن جمعوا أسلحتهم وأعادوا تدريب الجنود عليها، وهو الأمر الذي مكنهم من القضاء نهائيًا على الإمام أحمد بن إبراهيم في عام 949هـ/ 1543م[2].

وهكذا يمكن القول إن ظهور البارود واستخدامه لدى القوات نصارى الحبشية قد مكن هذه القوات من التغلب على كثرة وشجاعة الجيوش الإسلامية، حيث لاحظ بعض المؤرخين السرعة الزمنية التي استغرقتها القوات النصرانية الحبشية في إلحاق الهزيمة بالقوات الإسلامية حينما ازداد اعتمادها على هذه الأسلحة الحديثة[3]، حيث بلغت هذه المدة الزمنية نحو ثلاث سنوات فقط، وقد رجع هؤلاء المؤرخون أن قصر هذه المدة ربما يرجع إلى رفع كفاءة واستعدادات القوات النصرانية الحبشية في القتال بصفة عامة بسبب تدخل البرتغاليين بشكل مؤثر وفعال ومساندتهم ودعمهم لهذه القوات وإمدادها بالأسلحة الحديثة[4].

---

1 - يظهر أن الإمام أحمد قد رفض المعونة العسكرية التي قدمها له الأتراك العثمانيون، لأنه كان متخوفًا من علاقته بهم، فقد ظن أنه بعد انتهاء الحروب الحبشية، سيضطر إلى أن يدخل في حرب أخرى مع هؤلاء الحلفاء، بحجة تدخلهم في الشؤون الداخلية للحبشة ومن ثم سيطرتهم على البلاد. انظر حمدي السيد: المرجع السابق، ص370، كذلك

Jones and Monroe: op. cit. p. 84.

2-Trimingham: op.cit.p.89, Roland Oliver, op.cit.p.182.

3 - رجب محمد عبد الحليم: العلاقات السياسية، ص118، إبراهيم محمد حسن، المرجع السابق، ص 196.

4 - Lew,Im,: the Somali conquest of the Horn of Africa, the Journal of African History, edited by R. A Oliver and J.D. Fage(Cambridge. Cambridge University Press 1966) Vol. 1. N1.2 P. 223.

15- <u>الإقطاع العسكري {نظام الجلت Gult}</u>

عند النظر إلى الأصل اللغوي لمصطلح الجلت Gult

يتضح أنه أشتق من اللفظ gallata و gaullta في اللغة الأمهرية وفي اللغة الجعزية، وهو تعبير خاص بالإقطاعية. وقد أولى المؤرخون اهتماما كبيرًا لنظام الإقطاع العسكري، حيث اعتبروه قاعدة لقوة العرش الملكي في الحبشة خاصة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين[1].

أ- نشأة نظام الإقطاع العسكري في الحبشة

إن نظام الإقطاع العسكري بالمملكة الحبشية لا يمكن في واقع الأمر إرجاع نشأته وبداية ظهوره إلى عهد السليمانيين، بل على العكس من ذلك تمامًا يمكن القول أن هذا النظام كان سابقًا على عهد السليمانيين بفترات زمنية طويلة، وذلك اعتمادًا على القاعدة التي تقضي بأحقية الملك في أن يحوز جميع الأراضي التي تقع في نطاق مملكته[2]. وعلى ذلك فقد ورث "يكونو أملاك" وخلفاؤه تلك العلاقة الإقطاعية التقليدية التي كانت سائدة على عهد ملوك الزغاوة[3]. وعلى ذلك يمكن القول إنه رغم أن نظام الإقطاع العسكري ترجع نشأته إلى عهد سابق على عهد السليمانيين، إلا أن المنح الإقطاعية قد شهدت تطورًا كبيرًا وزيادة ملحوظة من قبل الملوك الأحباش في ذلك العهد، والذين أفرطوا في تقديم المنح الإقطاعية التي توافرت لديهم عن طريق الغزو العسكري وضم أراضٍ جديدة للملكة[4].

ولقد ارتبط نظام الإقطاع العسكري ارتباطًا قويًا بالحياة الحبشية في العصور الوسطى، وذلك من النواحي السياسية والاقتصادية

---

1 - Taddesse Tamrat: op, cit , p. 98.

2 - Ibid, p. 98.

3 - Mordechai Abir: op, cit , p. 43.

4 - Donald Crummey: op, cit., p.10.

والاجتماعية بل والدينية، الأمر الذي ربما يشير إلى مدى الصعوبة والتعقيد في دراسة هذا الموضوع، خاصة في ظل ما تميز به البناء الاجتماعي في الحبشة في تلك الفترة من تداخل شعوب قبلية متعددة (من الجالا والأجاو والزنوج والعرب وغيرهم) في محيط سياسي واجتماعي لا يقوم على أسس قبلية[1].

وقد تطور النظام الإقطاعي الحبشي في عهد الأسرة السليمانية كرد فعل طبيعي لرغبة ملوك هذه الأسرة في التوسع في نظام الجيش والفرسان ليجعلوه قوة فعالة في ميدان الحرب، ولكن هذا التوسع كان يتطلب نفقات ضخمة لإعداد ما يحتاج إليه الجندي من فرس ودرع وسلاح وملابس، فضلًا عن أن هؤلاء الجنود يجب أن يتوافر لهم موارد يعيشون عليها حتى يتفرغوا لشؤون الحرب والقتال[2]. ولما كانت موارد الدولة محدودة بحيث لا تفي بكل هذه المطالب، فإن ملوك هذه الأسرة لجأوا إلى حل يتفق وتقاليد ذلك العصر، فقاموا بتسجيل أسماء المحاربين وأعطوا كل منهم إقطاعًا يكفي لسد مطالب معيشته، على أن يبقى هذا الإقطاع في حوزته ما دام يقوم بالخدمة العسكرية[3]. وعندما وجد ملوك هذه الأسرة أنه من الصعب توافر الأرض اللازمة لهذا العدد الكبير من الجنود، وأنهم لا يستطيعون إضعاف موارد الحكومة بتوزيع الملكية على الجند، بدأوا يتطلعون إلى أراضي الإمارات الإسلامية والوثنية المجاورة لهم، وقد حدث ذلك أيام عمد صيون بغرض إخضاع هذه الإمارات له، إضافة إلى السيطرة على الطرق التجارية التي تمر عبر مملكته[4].

---

1 - L. Dudley Stamp: op, cit., p. 356.

2 - Taddesse Tamrat: op, cit , pp. 98-99.

3 - Francisco Alvarez: op, cit , pp. 116-117.

4 - بالإضافة إلى هذه الأسباب، كان الجيش الحبشي يقوم بعمليات السلب والنهب مستوليًا على ما يجده من الماشية والخيل والرقيق وممتلكات الأهالي، نظرًا لأن الملك كان يمنح هذه الأشياء إلى الجنود. فبعد الغزو يتم توزيع حصص الأراضي على الجنود وقادة

وإذا كان ما سبق يمثل البدايات الحقيقية لظهور النظام الإقطاعي الحبشي، فإن هناك ظروفًا سياسية واجتماعية ساعدت على نمو هذا النظام وتفرعه، وذلك أن المنازعات التي استمرت بين الأبناء بعد وفاة أبيهم، أثارت جوًّا من الفوضى، ثم جاءت الأخطار الخارجية لتزيد من اضطراب الأوضاع، لأن إغارات المسلمين على أراضي الحبشة جعلت أهالي القرى والمدن والمؤسسات الدينية لا يأمنون على أنفسهم إلا في ظل القوة المسلحة[1]. وفي هذه الأوضاع القلقة أصبح لزامًا على الرجل العادي الحر أن يختار أحد طريقين، إما أن يصبح جنديًا وإما أن يصبح تابعًا، لأنه لا يستطيع البقاء بمفرده دون سيد قوي يحميه، وهكذا أخذ الملوك وكبار الأمراء يبحثون عن أتباع مسلحين يساعدونهم في التغلب على ما يواجههم من أخطار[2]. ولعل هذه التبعية الأقطاعية تعني عضوية صاحبها في طبقة المحاربين وتبعًا لذلك يتصف بأخلاق الشجاعة والكرم والمروءة وهي الصفات التي عرف بها فرسان العصور الوسطى[3].

على أية حال يتضح أن نظام الإقطاع العسكري بالحبشة قد ساهم في إضعاف السلطة المركزية للدولة، وذلك بسبب عجزها عن مواجهة الأخطار المحيطة بها، الأمر الذي دفع الملك إلى التفكير في اختيار بعض ذوي النفوذ واليأس لينعم عليهم بحقوق وامتيازات في عدة مناطق مقابل شروط خاصة، (غالبًا ما تتمثل في قيام الشخص المنعم عليه بمساعدة الملك ومناصرته في وقت الحاجة أو متى طلب منه ذلك)، الأمر

الجيش، فضلًا عن أتباع الملك، لذلك رجعت هذه الجيوش منتصرة وامتلأت منازلهم بالغنائم من الماشية والعبيد والمواد الغذائية. وللمزيد انظر:

-Taddesse Tamrat: op, cit , p.102.

1 - Budge: op, cit, pp.290-291.

2 - Mordechai Abir: op, cit , p. 48.

3 - Francisco Alvarez: op, cit, p. 114.

الذي أضفى على هذا النظام أبعادًا اقتصادية واجتماعية إضافة إلى أبعاده السياسية والعسكرية[1].

ب- التزامات الإقطاعيين

إن العلاقة المتتابعة بين السادة الإقطاعيين لم تتطلب نوعًا من الالتزامات الشخصية فحسب، بل ترتب عليها أيضًا حقوق عامة والتزامات سياسية وحربية، فمن الطبيعي أن يكون التعاون في ميدان الحرب هو المحور الأساسي للعلاقات الإقطاعية بين الملك وتابعيه. لأن المهمة الأولى لهؤلاء التابعين هو الخدمة في جيش الملك، وهكذا أصبح المجتمع الإقطاعي يدور حول محور واحد هو الجندي المحارب، فيتعهد الأمير الإقطاعي بالحضور فورًا على رأس عدد معين من الجنود لمساندة الملك متى طلب منه ذلك، وبالتالي يتعهد أفصال الملك بمساندته وقت اشتباكه في حرب مع عدو له[2].

وفي واقع الأمر فإنه لم تحدد المصادر والمراجع المتاحة مدة معينة للخدمة العسكرية التي يؤديها هؤلاء الجنود لسيدهم الإقطاعي خاصة في الوقت الذي اشتدت فيه الحروب بين الدولة وبعض الإمارات الإسلامية، فأصبح لزامًا عليهم أن يهبوا لحمل السلاح دون قيد أو شرط وقتما طلب منهم ذلك.

وإلى جانب هذه الالتزامات السياسية والعسكرية، تجدر الإشارة إلى أن هؤلاء الإقطاعيين كانت عليهم بعض الالتزامات الاقتصادية الأخرى، ذلك أنه صار لزامًا على هؤلاء أن يدفعوا عدة مقررات وضرائب إقطاعية صارت بمثابة حقوق ثابتة للملك، ولم تكن هناك قاعدة ثابتة لتحديد قيمة المبلغ الذي يدفعه هؤلاء للملك، وإن اختلفت قيمتها من مكان إلى مكان آخر حسب خصوبة الأرض والهيكل الاجتماعي للمنطقة

1 - Taddesse Tamrat: op, cit , p.100.

2 - Francisco Alvarez: op, cit, p. 116.

وغير ذلك. وكانت هذه الضرائب تدفع بعدة أشكال منها ما هو نقدي ومنها ما يدفع على هيئة عينية كالحاصلات الزراعية والخيول الجيدة ورؤوس الماشية والأغنام والفؤوس والحرير...[1]، ويحضرون هذه الأشياء إلى حاكم المقاطعة الذي يضيف لهذه الأشياء 150 حصانًا ثم يرسلها إلى الملك مباشرة[2]. وكان صاحب الإقطاع قد قام بتعيين موظف مسؤول عن بعض الأمور المالية والإدارية في الإقطاعية وخاصة جمع الضرائب من الفلاحين، وأطلق عليه لفظ (Gultenya)[3]. وبعد جمع الضرائب يقوم بتسليمها لصاحب الإقطاعية الذي أطلق عليه لفظ (Abala-gult)[4]. والذي كان له جميع الحقوق على الأرض والفلاحين الذين يعملون عليها، وقد قسمت الأرض إلى أجزاء صغيرة ووكل لعدة أشخاص مسؤولية أجزاء منها وأطلق على كل شخص لفظ (Ristegna)[5].

كما كان هناك التزام آخر على هؤلاء الإقطاعيين، يمكن أن يطلق عليه "ضريبة الضيافة"[6]، فعند مرور الجيش عبر إحدى القرى أو المقاطعات المختلفة في طريقه لشن الحرب، وجب على أصحاب القرى والمقاطعات التي سيمر خلالها الجيش تقديم واجب الضيافة لجميع المحاربين وتوفير احتياجاتهم من المعدات والمؤن وغير ذلك. وفي حالة صدور الأوامر بإقامة معسكر حربي للجيش لفترة طويلة في إحدى

1 - Donald Crummey: op, cit, p.11.

2 - Francisco Alvarez: op, cit, p. 114.

3 - Donald Crummey: op, cit, p.12.

4 - Teshale Tibebu: The Making Of Modern Ethiopia (1896-1974), the red sea press, Lawrenceville, New Jersey, 1995, p. 80.

5 - Thomas P. Ofcansky and Laverle Berry: Ethiopia A Country Study, Federal Research Division Library of Congress,2004, p 122.

6 - Sandra Joireman: Property Right & Political Development in Ethiopia & Eritrea 1941-1974, Oxford, j currey; Athens; Ohio University Press, 2000, pp.53-55.

القرى. فقد كان يطبق نفس النظام ويزيد عليه اشتراك جميع القرى المجاورة في إمداد المعسكر باحتياجاته من المؤن والمستلزمات الأخرى التي تكفيه طوال مدة إقامة المعسكر[1].

وتجنبًا لحدوث صراعات بين الوحدات العسكرية أثناء مرور الجيش في حملة عسكرية أو أثناء مرور الموكب الإمبراطوري، فإن احتياجات ومستلزمات الجيش والتي كانت تجمع من البلاد التي يمر بها كانت توزع بعدالة بين القوات العسكرية المختلفة بغرض تسهيل وتنظيم عملية استيفاء احتياجات الجيش طوال فترة مروره أو إقامته بهذه البلاد. ويذكر أن مهمة التوزيع العادل للاحتياجات والمؤن كانت تعهد إلى عدد من كبار الأسر المنتمية إلى الجهات التي سيمر عليها الجيش أو الموكب[2].

ج- نظام توريث المنح الإقطاعية

لم يعرف نظام الإقطاع الحبشي في بداية ظهوره نظامًا معينًا لتوريث المنح الإقطاعية، بل كان الشخص يتمتع بهذا الحق الإقطاعي أثناء حياته فقط، أو لفترة مؤقتة في حياته طالما يقوم بتلبية الأعباء المرتبطة بحصوله على المنحة الإقطاعية. وبمرور الوقت فقد تطور النظام الإقطاعي الحبشي حيث تمثلت أهم مظاهر تطوره في تحويل المنح الإقطاعية من منح مؤقتة إلى منح وراثية. وعلى ذلك فقد اتخذت الأعباء المرتبطة بهذه المنح شكلًا ثابتًا بين الوريث والملك مما يمكن معه القول بأن الإقطاع العسكري في الحبشة بمعناه وأهميته الحربية القائمة على أساس المسؤولية الشخصية الممنوحة مقابل الاحتفاظ بحقه في المنحة، وهكذا فقد ارتبط الحق الشرعي للوريث في الحصول على إقطاع أبيه بأدائه لفروض التبعية للملك[3].

1 - Budge: op, cit, p.291.

2 - Taddesse Tamrat: op, cit, p.100.

3 - لم تكن منح الأرض التي يعطها الملوك للأفراد أو الكنائس تسجل في أول الأمر. ولكنها بدأت تسجل بأمر الملك لبنا دنجل وقد عرف هذا السجل باسم Susneyos. كما لم تكن

وبمجرد أن اتخذ الإقطاع صفة الوراثة فقد أطلق لفظ (Rist)على الأرض التي منحت إلى الشخص المسؤول عن الإقطاعية[1] وهذا اللفظ مشتق من الفعل Warrasa في الأمهرية، وWarasa في الجعزية، وهي تعني الوراثة، (آل إليه بالميراث)، والمعنى العام هو الحق العام لميراث الوالد، واستعمله الأحباش للإشارة إلى أي حق موروث بصفة عامة. وإلى الحق الثابت من زراعة الأرض بالوراثة على وجه الخصوص[2].

إضافة إلى ما سبق فلم ترد بالمصادر التي أمكن الاطلاع عليها أي إشارة إلى موقف أراضي الإقطاع إذا مات صاحبها دون ترك وريث ذكر، أو دون ترك وريث على الإطلاق. ولكن الراجح أن الأرض التي منحت لهذا الشخص كانت ترد تلقائيًا إلى الملك مرة أخرى، أما إذا مات هذا الشخص وكان الوريث أنثى، يكون على الملك أن يبحث لها عن زوج مناسب، خاصة أنه التف حوله عدد من الفرسان الشباب الذين يتوقون للحصول على إقطاعات خاصة بهم.

بناءً على ما سبق يمكن استنتاج أن نظام الإقطاع العسكري بالحبشة لم يعترف في بداية تطوره بملكية الأفراد للأرض بالملكية الفردية المطلقة للأرض. (على اعتبار أن الملك كان -من الناحية النظرية- هو المالك الفعلي لجميع أراضي المملكة). ومع مرور الوقت أصبح الإقطاع يورث.

د- نصيب الكنيسة من أراضي الإقطاع

تجدر الإشارة إلى أن الكنيسة قد لعبت دورًا بالغ الأهمية في دعم نظام الإقطاع العسكري بالحبشة وإرساء قواعده. فالمعروف أن مؤسس

هذه الأرض وراثية بل يحتفظ بها الفرد طيلة حياته، وكان يتم تجديدها من قبل الملوك.

انظر:

- Francisco Alvarez: op, cit, pp.17&94.

1 - Donald Crummey:: op, cit, p. 9.

2 - Sandra Joireman: op, cit, p.54.

الأسرة السليمانية الأول "يكونو أملاك" منح دير دبر ليبانوس Libanos ثلث أراضي الدولة مقابل تأييد رجال الكنيسة له. وعرفانًا منه بدورهم في وصوله للحكم ودعمه أثناء فترة حكمه[1].

إضافة إلى ذلك فقد قدم "يكونو أملاك" المنح الإقطاعية لرجال الدين وفقًا لرتبة كل منهم. كما قدم منحًا أخرى للأسر الكبيرة. وكبار الموظفين. والنبلاء الذين عمدوا أيضًا إلى منح الكنيسة بعض الأراضي مقابل خدمات دينية معينة كانت معروفة وسائدة في ذاك الوقت[2].

وهكذا فقد استمر هذا التقليد للملوك والنبلاء الأحباش تجاه الكنيسة طوال فترة حكم هذه الأسرة في الحبشة. وقد كان الهدف المعلن لتقديم هذه المنح الإقطاعية هو البرهان على شدة الإيمان والتقوى الدينية تجاه الكنيسة[3] إلا أن الأهداف الحقيقية غير المعلنة لذلك قد تمثلت في الرغبة في السيطرة على رجال الدين وكسب ولائهم من ناحية. ومساعدتهم للملوك في أوقات المحن والأزمات الصعبة من جهة أخرى[4]. فضلًا عن المساهمة في نشر الرسالة الملكية لعامة الشعب من جهة ثالثة[5].

ومما سبق يتضح أن الكنيسة كانت شريكًا أساسيًا للملوك الأحباش في حكم البلاد خاصة في القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر

---

1 - Mordechai Abir: op, cit , p. 62.

2 - كانت الكنائس تحصل على مساحات كبيرة من الأراضي خاصة في جنوب المملكة الحبشية، حيث كانت كل كنيسة تأخذ منحتها وفقًا للتقدير المتفق عليه، وذلك تمشيًا مع تعاليم الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية، وكان ذلك بصفة دائمة. انظر:

- Sandra Joireman: op, cit, p. 59.

3 - وقد أشار ألفاريز أن بعض الملوك منحوا الأراضي لإحياء ذكراهم السنوية بعد موتهم، ومثال على ذلك الملك جلاديوس عندما قام بتجديد منح الأراضي التي منحها آبائه إلى دير Bizan. للمزيد انظر:

- Francisco Alvarez: op, cit, pp.90-91.

4 - Teshale Tibebu: op, cit , p. 80.

5 - Donald Crummey: op, cit, p.29.

والرابع عشر الميلاديين. فقد تمكن هؤلاء الملوك من الوصول بالمنح الإقطاعية إلى جميع الأديرة والكنائس في مختلف أنحاء البلاد. وإن كان حجم المنح المقدمة كان يتفاوت ما بين الزيادة والنقصان وفقًا للفترات الحربية المختلفة. وما يستتبعها من احتلال أراضٍ جديدة. وعلى ذلك فقد أصبحت أراضي الإقطاع ركنًا أساسيًا من أركان هذه المؤسسات الدينية لا يمكن الاستغناء عنه. وقد وصل الأمر إلى الدرجة التي أعرب فيها أحد رجال الدين عن حاجة الكنيسة للأراضي الإقطاعية قائلًا للملك "داود": "إن الكنيسة التي ليس لها أرض مثل المرأة التي ليس لها زوج"[1]. ولهذا كله فقد أطلق بعض الباحثين على الكنائس الحبشية في هذه الفترة لفظ "الكنائس الملكية"[2].

وعلى الجانب الآخر، وفي مقابل هذه المنح. فقد كان على رجال الدين وخاصة البطارقة. دور في الحروب التي قامت بين الملوك الأحباش والمسلمين. فكان لهم دور في تعبئة الجيوش في وقت قصير[3] عن طريق الأديرة كل في منطقته. كما كان الجيش الحبشي به عدد من البطارقة لهم دور في حماسة الجنود الدينية. إضافة إلى الاشتراك الفعلي في عمليات القتال. بل كان بعضهم على رأس الجيوش المقاتلة[4]. كما كان لهم جيوش خاصة بهم اشتركت بشكل أساسي في الحروب حتى أصبحت تابعة للجيش الملكي[5]. ولهم أيادٍ بيضاء على الدولة. فقد أنقذوا جبل العنبا من محاولة استيلاء المسلمين عليه في 938هـ/ 1532م[6].

---

1 - Donald Crummey: op, cit, p.30.

2 - Sandra Fullerton Joireman: op, cit, p.53.

3 - Mordechai Abir: op, cit , p. 45.

4 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص48.

5 - Richard Pankhurst: An Introduction to the Economic History of Ethiopia from Early time to 1800, Sidgwick and Jackson LTD., First Edition, London, England , 1961, p. 159.

6 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 234-236، عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المرجع السابق، ص 220.

أما عن طريقة تسجيل الأراضي الممنوحة للأفراد أو المؤسسات الدينية، فلم يكن هناك اهتمام كبير بتسجيل هذه الأرضي في بادئ الأمر، بل كانت تتم في صورة تعاقد بين الملك والشخص الممنوح بطريقة ربما أدت إلى فقد الكثير من هذه العقود، إلا أنه في عهد الملك لبنا دنجل[1] تم تغيير هذا النظام التعاقدي حيث استحدثت بدلًا منه طريقة أدق تسمح بتسجيل الأراضي الإقطاعية في سجلات الدولة الرسمية (والتي كتبت في شكل دستور أطلق عليه Susneyos). وذلك بأمر من الملك لبنا دنجل شخصيًا[2]، وهكذا أصبح نظام التسجيل الجديد أكثر أمانًا ودقة حيث يصعب التلاعب في هذه السجلات والتي احتوت على حوالي ثلاثين شاهدًا على السجل ومعظمهم من البلاط الملكي وحاشية الملك، كما احتوت هذه السجلات على العديد من ألقاب المسؤولين المعاصرين وأسمائهم[3] ولذلك فقد أسهمت هذه السجلات بشكل كبير في تأريخ النظام الإداري الحبشي خاصة أن هذه القوائم أعطيت شكل البلاط الحبشي في وقت المنح الإقطاعية.

---

1 - لقد أراد لبنا دنجل تأمين عرشه من الصراعات الطبقية العنيفة التي سادت في عصره، لذلك وجد في تسجيل الأراضي للفلاحين لهم، مخرجًا في صراعهم الطبقي ضد مسؤولي الإقطاعيين وذلك لتخليص أنفسهم من تبعيتهم الاجتماعية. انظر:

Donald Crummey: op, cit, p.36.

2 - هذه السجلات كتبت بطريقة مشابهة جدًا للسجلات الإنجليزية، فقد تكونت من 7 بنود رئيسة وهي:

1- عبارة افتتاحية. 2- تسمية المنح... من... إلى... 3- سبب المنحة. 4- المنع (منع من يدخل الأرض بعد منحها) 5- عقاب من يخالف السجل. 6- التاريخ 7- الشهود. انظر جدول رقم(6).

وبالرغم من ذلك فإن معظم هذه السجلات غير مؤرخة، فقط هناك 8 سجلات مؤرخة في عهد لبنا دنجل. انظر وثيقة رقم(1) في الجزء الثاني من الكتاب، وأيضًا

Donald Crummey: op, cit, pp.35-39.

3- انظر وثيقة رقم (2) في الجزء الثاني من الكتاب.

- Francisco Alvarez: op, cit, p. 17

ن- نظام الإقطاع العسكري في الإمارات الإسلامية

فيما يتعلق بنظام الإقطاع العسكري في الإمارات الإسلامية التابعة للمملكة الحبشية، يمكن القول إنه لم يكن للجند ديوان فيها ولا سجلات تحتوي على قوائم بأسماء المقاتلين وذويهم ومقادير أعطياتهم[1]. ليس هذا فحسب بل لم يكن للأمراء كذلك إقطاعات ولا رواتب تربطهم بسلاطينهم، وبالتالي لم يكن هؤلاء الجنود في حاجة إلى التفاني في خدمة السلاطين أو إظهار الولاء لهم حتى لا تصادر إقطاعاتهم أو تقطع عنهم أرزاقهم ورواتبهم، كما كان الحال في مصر على سبيل المثال. ويصور العمري هذا الوضع بقوله: "وليس لأمراء هذا الملك ولا لجنده إقطاعات عليه ولا نقود، إنما لهم الدواب الكثيرة السليمة، ومن شاء منهم زرع واشتغل ولا يعارض، ولهذا الملك سماط عام ممدود، بل له سماط خاص ولخاصته، ولكنه يفرق في بعض الأحيان على أمرائه بقرًا عوضًا عن أكلهم على السماط وأكثر ما يعطي الأمير الكبير منهم مائتي بقرة"[2].

وخلاصة القول أنه لم يكن يتحكم في علاقة السلاطين بالأمراء والجنود المسلمين غير الولاء الشخصي، والغيرة الدينية، والخوف على الأعراض، وهو الأمر الذي جعل أوامر السلاطين تتعرض في أحيان كثيرة للعصيان.

وعلى الرغم مما سبق، فلقد حرص هؤلاء السلاطينُ –وعلى رأسهم صبر الدين الثاني والإمام أحمد بن إبراهيم، على اتباع الشريعة

---

1 - يحدد التسجيل في الديوان مقدار العطاء أو الرزق ووقت استحقاقه، والعطاء أو الرزق هو مقدار المال الذي يأخذه كل واحد من الجند في مدة معينة لقاء خدمته في الجيش، وقد لجأت الدولة العباسية في فترات متأخرة إلى تقديم الإقطاع للجند، أي إقطاع خراج الأراضي الزراعية. انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، طبعة بيروت، (بدون تاريخ)، ص 29، 155، عبد الوهاب الحربي: توزيع العطاء علي الجند في فترتي صدر الإسلام والعهد العباسي الأول، مجلة المورد، مجلد 17، العدد الثالث، بغداد، 1988، ص 24.

2 - العمري: المصدر السابق، ص 42.

الإسلامية في توزيع غنائم الحروب[1]، وهو توزيع الخمس للجند المشاركين في المعركة، كما كان يرسل إلى جميع القبائل من الصومال وغيرهم من غنائم الحروب[2]. كما كان الإمام أحمد يحرض أمراء جيشه دائمًا على إخراج الخمس في توزيع الغنائم، "وكل أمير منكم يخرج الخمس من جيشه"[3].

إضافة إلى ذلك فلقد لوحظ عدم استفادة بعض السلاطين من الغنائم التي كانت تقع في أيديهم الاستفادة الكاملة، فكان سعد الدين يقوم بتوزيع نصيبه على الفقراء والمساكين حتى أنه لم يجد ما يأكله، "فأطعمته إحدى زوجاته"[4]، كما كان الإمام أحمد بن إبراهيم يفعل نفس الشيء[5]، وهو الأمر الذي يتعارض مع من يقوم بحروب طويلة المدى، فكان لا بد من ادخار ما يقع من غنيمة في أيدي المسلمين والأمراء استعدادًا لحروب قادمة لا يضمن نتائجها.

من خلال العرض السابق لأهم ملامح نظام الإقطاع العسكري بالحبشة، يمكن استخلاص عدة استنتاجات مهمة، وذلك على النحو التالي:

أن نظام الإقطاع العسكري بالحبشة لم يعترف في بداية تطوره بالملكية الفردية المطلقة للأرض (على اعتبار أن الملك كان من الناحية

1 - الغنائم: هي كل ما يحصل عليه المقاتلون من العدو عنوة أو بإيجاف الخيل والركاب بعد المعركة، من سلاح ومال وأمتعة وأسرى وجوارٍ، وتوزع الغنيمة بواقع ثلاثة أسهم للفارس، وسهم واحد للراجل، ولا تقسم الغنائم والحرب قائمة وإنما بعد انتهاء المعركة، وفي حالة قسمة الأراضي بين المقاتلين تصبح أرضًا عشرية وإذا أعيدت إلى أصحابها فيدفعون عنها الخراج تصبح أرضًا خراجية، ولا بأس أن يأخذ المقاتل السلاح من الغنيمة إذا احتاج إليه بغير إذن، فيقاتل به حتى يفرغ من الحرب، ثم يرده إلى المغنم. انظر: عبد الوهاب الحربي: المرجع السابق، ص 12-16.

2 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 34.

3 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 247.

4 - المقريزي: الإلمام، ص 12.

5 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 261-263.

النظرية هو المالك الفعلي لجميع أراضي المملكة). كما أدى كذلك إلى فوزه بنصيب الأسد من أراضي الدولة، وذلك على اعتبار أنه الطرف الأقوى صاحب النفوذ والسلطان. فضلا عن وجود وحدات اقتصادية مكتفية ذاتيًا، فالمقاطعة الإقطاعية كانت تمثل كيانًا اقتصاديًا مستقلًا، الأمر الذي أعاق تقدم الحياة الاقتصادية في الحبشة في عهد الأسرة السليمانية.

ورغم ذلك فإن النظام الإقطاعي لم يكن ليعني بأي حال من الأحوال الفوضوية أو التعنت الاستبدادي في الحبشة، فلقد كان هذا النظام قبل كل شيء نظامًا تعاقديًا قائمًا على أساس ثابت من الحقوق والواجبات بين الطرفين، وإن انتابه شيء من القصور فإن هذا القصور غالبًا كان يرجع إلى ضعف بعض الملوك الأحباش بدرجة لم تمكنهم من بسط نفوذهم على ربوع مملكتهم.

وفي النهاية فإن النظام الإقطاعي الحبشي مهما اعترضه من سلبيات، فلقد ظل دائمًا بمثابة الوسيلة الفعالة التي مكنت الحبشة في ذلك الوقت من إرساء نظام يضمن لها استيفاء احتياجاتها الحربية والعسكرية والإدارية الكفيلة بالدفاع عن مصالح البلاد وسط الأخطار التي هددتها.

16- المناصب الحربية

اعتاد الأحباش بصفة عامة على أن يكون ملكهم الحاكم لهم من نسب منليك الأول من سليمان عليه السلام والذي يعد وفقًا لمعتقداتهم ابن الإله الأكبر. كما اعتادوا كذلك على أن ينظروا إلى الملك باعتباره رأس الدولة والمسؤول عن إدارة كل شؤونها. وهو أيضًا صاحب أمحرا وقد أطلق على الملك قديمًا لقب النجاشي Nagast[1]. ثم تغير اللقب في

1 -Jones and Monroe: op. cit , p.63.

العصور الوسطى (كما سبقت الإشارة) إلى لقب "الحطي"[1]، حيث استحدث هذا اللقب عندما أصبح له ملوك تابعون لهم سلطات تقارب سلطته لكنهم يعملون تحت إمرته لذلك أطلق عليه بعض المؤرخين في هذه الفترة لقب ملك الملوك، كما أطلق عليه البعض الآخر الإمبراطور[2].

أما عن سلطات الإمبراطور الحبشي، فهي لم تقف عند حد معين، فقد امتلك الإمبراطور زمام الأمور المدنية والحربية بل والقضائية، كما تدخل كذلك في بعض الشؤون الدينية. وهكذا يمكن القول أن نظام الحكم في المملكة كان نظامًا استبداديًا يستند إلى حق إلهي مقدس يمثله كل إمبراطور يرجع نسبه إلى منليك الأول[3]. وقد سبقت الإشارة خلال الفصل التمهيدي إلى أنه في حالة وفاة الإمبراطور دون ترك وريث من أبنائه المباشرين، كان يتم اختيار الإمبراطور الجديد من بين أولئك الذين يرجع أصلهم لنفس النسب والموجودين بجبل الملوك "أمبا جيشن". وليس أدل على ذلك من اعتراف زرء يعقوب نفسه في أحد مؤلفاته أنه عندما نزل من هذا الجبل على أيدي قادة الجيش ليتسلم العرش[4] "أمر بإقامة الصلاة"[5].

وإذا كانت سلطات الإمبراطور كما سبق القول تكاد تكون سلطات مطلقة، فإنه من بين سلطاته المهمة سلطة تعيين حكام المقاطعات المختلفة، والذين أطلق عليهم أبجاز - بخلاف (لفظ Siyum)[6] ومنحهم

---

1 - القلقشندي: المصدر السابق،ج4، ص 322.

2 - Sergew Hable Selassie: op, cit., p.124.

3 - Trimingham: op. cit.pp. 65-66.

4 - Roland Oliver: op.cit.p.164.

5 - Taddesse tamrat: op.cit., p.152.

6 - لقب يطلق على حاكم القرية. انظر محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص376،
Budge: op.cit., p.581.

كافة صلاحيات الإمبراطور ولكن داخل حدود مقاطعاتهم فقط[1]، لدرجة أن الإمبراطور نفسه كان يتوقف عن استخدام سلطاته عند زيارته لأحد المقاطعات، ليكون خضوع سكان هذه المقاطعة لحاكمهم أولًا قبل خضوعهم للإمبراطور. فحاكم المقاطعة له سلطات مطلقة داخل حدود مقاطعته طالما أنه يخضع في النهاية للإمبراطور في نطاق الشروط المبرمة بينهما عند توليه لمهام منصبه. وخلاصة القول أن الإمبراطور الحبشي كان يعين حكام المقاطعات ليديروا مقاطعاتهم نيابةً عنه[2].

2- مكانة حكام المقاطعات

لم يكن حكام المقاطعات جميعًا على درجة واحدة من المكانة، بل اختلفت مكانتهم باختلاف قوتهم، والمجد القديم لمقاطعاتهم، وكذلك باختلاف الطريقة التي وصلوا من خلالها الى الحكم. وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى وجود فئتين من حكام المقاطعات. الفئة الأولى هي ما يمكن أن يطلق عليها الحكام الوارثون، والذين وصلوا إلى الحكم قبل تولي الإمبراطور الجديد العرش، وكان أهم ما يميزهم هو حقهم في توريث سلطة الحكم لأبنائهم. أما الفئة الثانية فهي فئة الحكام المعيَّنون والذين وصلوا إلى الحكم عندما انضمت مقاطعات جديدة إلى المملكة الحبشية عن طريق الغزو، حيث تم تقسيمها إلى محافظات ومناطق حكمت من قبل أقارب الإمبراطور، وبعض ضباط الجيش، ورجال

---

1 - كان الملك في مقاطعته يجلس على عرش ذهبي مماثل لعرش الإمبراطور الحبشي، وله مجلس يجتمع فيه كبار الأمراء ورجال المقاطعة، وكانت له شارات ملكية مصنوعة من الفضة وكذلك سنان رمحه، كما كان لهم أن يرث أبنائهم الحكم من بعدهم ولكن كان تعيينهم بيد الإمبراطور الحبشي، كما كان من حقهم أن يعينوا أمراء من دونهم خاضعين لهم.. للمزيد من التفاصيل: القلقشندي: المصدر السابق،ج4، ص 332،
Sergew Hable Selassie: op, cit., p.124 see also Taddesse tamrat: op. cit., pp.11-15

2 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea ,p.54.

الدين[1]، ممن عينهم الإمبراطور الجديد بنفسه[2]. ويذكر أن فئة الحكام الوراثين كان لديها من القوة والسمعة والسيطرة ما يفوق سلطة فئة الحكام المعينين، فقد تحصن الحكام الوارثون بالقوة العسكرية التي كانت تحت أيديهم، لأنهم اعتبروا أنفسهم الورثة الحقيقيين للمملكة، خاصة خلال فترة ضعف بعض الأباطرة[3]. في الوقت الذي أدت بعض العوامل صغر مساحة مقاطعات الحكام المعينين، وحداثة فتحها إلى إضعاف سلطة هؤلاء الحكام عليها[4].

أما عن اختلاف مكانة حكام المقاطعات باختلاف قوتهم، فقد حظي الحكام الذين استطاعوا تشكيل فرق عسكرية كبيرة الحجم بمكانة أكبر بكثير من أولئك الذين لم يتمكنوا من جمع مثل هذه الفرق العسكرية. وعن اختلاف مكانة الحكام وفقًا لاختلاف مكانة المقاطعة ذاتها، يمكن القول أن أكبر الحكام مقامًا هو حاكم منطقة تيجري والذي أُطلق عليه "الباحرنجش"[5]، حيث استمدت مقاطعته قوتها قديمًا من خلال

---

1 - لقد اعتبر مثقفو وقيادات الكنيسة والرهبان مثالًا للخدمة في الإدارة المركزية وقد عينوا حكامًا في المناطق الجديدة والمحافظات المختلفة، وكانت هذه الفكرة على يد عمدا صيون لكنها طبقت في عهد زرء يعقوب لأنه كان ذا قوة إدارية وعسكرية كبيرة. انظر:

- Mordechai Abir: op, cit., p.60

2 - Sergew Hable Selassie: op, cit., p.98.

3 - المعروف أن أولاد هؤلاء الحكام كانوا يحصلون على تثبيتهم كحكام لمقاطعات أبيهم، طالما أعطى كل منهم يمين الولاء والطاعة للإمبراطور، وأن ولاء هذا الحاكم المحلي كان يتضح عن طريق عملين أساسيين هما: جمع الضرائب التي يحتاجها الإمبراطور عن المقاطعة، والحضور على رأس فرقته العسكرية إلى الإمبراطور متى يُطلب منه ذلك.

4 - يرى بعض الباحثين أن هناك تقسيمات تظهر من خلال المخطوطات الخاصة بالمناطق الحبشية تبين أن هناك إمارات أقل حجمًا من الممالك. انظر:

- Huntingford: The glorious victories of amda tseyon p. 119.

5 - يطلق على الباحرنجش أيضًا لفظ "القاص"، وهو أحد المناصب المحلية التي كان الإمبراطور يعينها ويعطيها سلطات واسعة وأعطي للباحرنجش، وهو يعني بصورة مختصرة "حافظ المنشة الملكية" بينما يذكر بدج أنه حاكم البحر وهو لقب حاكم جنوب الحبشة. انظر:

Budge: op. cit., p.581.

وجودها داخل منطقة أكسوم وما بها من آثار دينية لا بد من حمايتها فضلًا عن وجود تابوت العهد بها[1]، كما استمدت قوتها حديثًا من خلال موقعها الجغرافي على ساحل البحر والذي أضفى عليها ثراء اقتصاديًا[2]، ما يؤكد المكانة المرموقة لحاكم تيجري[3] أنه أضيف إلى سلطاته عدة مناطق أخرى تجاه ساحل مصوع، مثل سيري[4] وسروري[5] وخماسين[6] وبور[7].

وأيًا كان حجم المكانة التي حظي بها كل حاكم، فلقد كان الضمان الوحيد لبقائه هو مواظبته على دفع الإتاوة وأداء الواجبات الإقطاعية الأخرى إلى الإمبراطور، فضلًا عن التزامه بالحضور على رأس فرقته

---

1 - Taddesse tamrat: op.cit., p.97.

2 - يذكر أن هذه المقاطعة كان لها أهمية تجارية كبرى، يكفي أنها كانت تزخر بالجياد العربية الأصيلة، كما كانت سوقًا للسلع الواردة من مصر وبلاد العرب. انظر:

Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea ,p.62.

3 - لقد عهد عمد صيون إلى إحدى زوجاته وهي بلن سبا بحكم مقاطعة أنتاريا Intarta، كما أعطى إدارة التيجري لإحدى بناته وهي بحر ساجا Bahr Sagad، وذلك لضمان أكبر قدر من الولاء له، وكانت هذه عادات ملوك السليمانيين منذ أول ملوكهم يكونو أملاك الذي منح بعض السلطات لأكبر أبنائه. انظر:

Taddesse tamrat: op.cit., p.106see also Mordechai Abir: op.cit., p.54.

4 - سيري: هي مقاطعة في تجري بشمال الحبشة، تقع قرب نهر التكازي والمدينة الرئيسة فيها هي دبر أبادي. انظر:

Huntingford: The glorious victories of amda tseyon,p.22.

5 - سروي أو سروا: مقاطعة تقع في شمال الحبشة، قرب خماسين وسيري في تجري. انظر:

Huntingford: op.cit., pp. 22,82

6 - خماسين: مقاطعة في شمال ما يعرف حاليًا باسم " أديس أبابا" قرب سيري. انظر:

- Edward Ullendorff: op. cit , p.23.

7 - بور: إمارة تقع ما بين سروري وخماسين عند نهر مارب، وقد أكد الأب الفاريز أنها تقع تحت سلطة الباحرنجش. انظر:

- Huntingford: op.cit., pp.97-98.

العسكرية في حالة خوض الإمبراطور للحرب أو متى يطلب منه ذلك. أما عن مدة تعيين الحكام فلم تكن هذه المدة محددة بل كانت غير ثابتة[1].

3- أهم المناصب الحربية في المقاطعات

فيما يلي عرض موجز لأهم المناصب الحربية للمقاطعات المختلفة بالمملكة الحبشية، مع إشارة إلى اختصاصات ومهام كل منها:

أهم المناصب الحربية

·ብሕትወደድ፡

أ- منصب الوزير الأول Bitwadotch

وهو يعد من أكبر المناصب الإدارية والعسكرية في المملكة الحبشية، حيث يعلو على منصب حاكم المقاطعة ذاته وذلك في حالة مرور الموكب أو المعسكر الإمبراطوري على هذه المقاطعة. ويقرر بلندل أنه كان يعطى للشخصين اللذين يأتيان بعد الإمبراطور في علو العظمة والشرف ويمنحه الإمبراطور لمن يتمتع بثقته[2]. وبناءً على ذلك فقد انقسم هذا المنصب لشخصين مختلفين[3]. أحدهما يكون على يمين الإمبراطور والآخر على يساره، وقد اختص الأول بشؤون الحرب في حين يبقى الثاني معسكرًا في البلاط الإمبراطوري كحارس للإمبراطورية ومنظم للشرائع والقوانين معتمدًا في ذلك على السلطات الواسعة المخولة إليه من قبل الإمبراطور[4]. ويذكر أن ذلك المنصب لم يكن معروفًا في الإمبراطورية

1 - Mordechai Abir: op, cit., pp.54-55.

2 - محمد خليفة حسن: المرجع السابق، ص378،

Blundell (w.): The Royal Chronicle of Abyssinia 1769/1840, Cambridge,1922,pp.321,508.

3 - Blundell (w.): op.cit.,p.508.

4 - Taddesse tamrat: op.cit., p.273 see also Budge: op.cit.pp.580-581.

الحبشية قبل عهد عمد صيون، وقد نظر إليه المؤرخون باعتباره منصبًا عسكريًا رفيع المستوى يفوق في مكانته وسلطاته منصب الحاكم العسكري للمقاطعة، لدرجة أن الإمبراطور الحبشي لم يكن ليسمح لأحد بمناقشته ولا رؤيته باستثناء شاغلي هذا المنصب[1]، حتى بدأ كل من يشغل هذا المنصب في امتلاك زمام أمور البلاد إلى أن زادت سلطاته عن حد معين وأصبحت تهدد مصالح الإمبراطور، ما دفعه للأستغناء عن هذا المنصب واستبداله بآخر ذي صلاحيات أقل[2]. وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن الأباطرة الأحباش قد اهتموا بتولية مهام هذا المنصب إلى أولادهم وأقربائهم الذين ربما يتوافر لديهم درجة أعلى من الولاء للإمبراطور، وليس أدل على ذلك من أن اللذين كانا يشغل هذا المنصب في عهد زرء يعقوب هو زوج ابنة الإمبراطور ليؤكد سيطرته على مقاليد الأمور[3].

ب- منصب الرأس Ras[4]

وهو من أعظم الألقاب التي يمنحها الإمبراطور لحكام المقاطعات وللقواد العسكريين، فهو منصب عسكري له تأثيره الواضح على مجريات الأمور والقضايا المختلفة بالإمبراطورية الحبشية. ويعد شاغل هذا المنصب بمثابة الحاكم العسكري للمقاطعة، والذي يختص بمساعدة حاكم المقاطعة في إدارة شؤون الحكم، أو بمعنى آخر فهو يعد بمثابة الأداة التنفيذية لأحكام وأوامر حاكم المقاطعة، وهو القائد الأعلى للجيش فيها، والذي يقوده زمن الحرب[5].أما عن طريق اختيار شاغلي

1 - في حين رأى بعض الباحثين أن هذا المنصب مدني وليس له علاقة بالمناصب العسكرية، انظر محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص 378.

2 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص10-13، 94-95.

3 - Huntingford: The wealth of the kings ,p.12.

4 - المعنى اللغوي للرأس هو "نائب الإمبراطور" انظر محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص 374.

5 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص99، كذلك

هذا المنصب فقد كان يتم الاختيار من بين طبقة النبلاء الوراثين القدماء في المقاطعات المختلفة والذين اعتبروا بمثابة الممثلين الرئيسين لقوى الإمبراطورية التقليدية خاصة تلك البعيدة عن العاصمة[1]. لذلك فقد تبوأ شاغلو هذا المنصب مكانة عالية في مقاطعاتهم فضلًا عما اكتسبوه من ولاء الجنود لهم، فضلًا عما اكتسبه صاحبه من قوة الشخصية[2].

ج- منصب الأزماتش[3]

وهو يعني قائدًا في الجيش (جنرال)، ويرأس كل من قائد الجناح الأيمن الذي يدعى (قنيازماتش)، وقائد الجناح الأيسر (جرازماتش) وهو منصب عسكري يلي منصب الرأس من حيث الأهمية العسكرية. ويعد شاغل هذا المنصب بمثابة قائد الفرقة العسكرية في المقاطعة[4]. كما أسند إليه أحيانًا بالإضافة إلى مهامه مهمة رئيس الديوان الملكي في المقاطعة. وقد امتلك شاغل منصب الأزماتش وكذلك منصب الرأس حق تعيين كل ما هو دونهما من موظفين عسكريين، وقد كان يتبع هذين المنصبين فرق عسكرية يتباين حجمهما وفقًا للظروف السياسية والعسكرية السائدة[5].

د- منصب الجراد

وهو من طبقة الضباط الذين منحوا سلطة الحق في مصادرة أملاك من يخالف أوامرهم، وقد منح هذا اللقب لحكام منطقة هدية

- Budge: op. cit. p. 579.

1 - Budge: op. cit. p. 312.

2 - Ullendorff: op. cit. p.67.

3 - محمد خليفة حسن: المرجع السابق، ص374.

4 - ويشير السير وليم بدج إلى أنه قائد لألف رجل عسكري. انظر: مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص م، كذلك:

- Budge:op.cit,pp.579-581.

5 - Budge: op.cit,p.580.

من المسلمين في الحبشة، حيث انقسمت مملكة هدية في ذاك الوقت إلى ثمانية إمارات، لكل منها جراد معين من قبل الإمبراطور نفسه بحيث يخضعون جميعًا له مباشرة ويعملون على تنفيذها[1]. كما يرفعون إلى الإمبراطور كل ما يرونه مخالفًا لأوامره، ولقد كانت مراسم تقليد الجراد تتم في العاصمة ويصاحبها إغداق من جانب الإمبراطور عليهم بالهدايا والمنح[2]. وهكذا يمكن القول إن منصب الجراد كان بالإضافة إلى مهامه العسكرية يعتبر مدنيًا أيضًا في نفس الوقت.

وبالإضافة إلى المناصب سالفة الذكر، قام الإمبراطور الحبشي بدعم سيطرته التامة على البلاد، لذلك عمد إلى تعيين حاميات عسكرية في مقاطعات معينة كان معظمها في المقاطعات الإسلامية، والمقاطعات التي تقع على الحدود[3]. وقد أطلق على هذه الحاميات العسكرية مسميات رمزية ربما تعكس الهدف الذي عينت من أجله مثل "أرقواي يصرواجت" و"بدل صجنا" و"بأدل أمبا" و"بدل دب" و"بدل ند" و"بأدل مبراق"و "درقو يصرواجت"[4] و"جان جدب"[5].

1 - أطلق أيضًا على هذا اللقب لفظ "أمانو". انظر:

- Francisco Alvarez: op, cit ,p.427.

2 - زاهر رياض: مظاهر العلاقات، ص 54.

3 - وذلك لكي يُحكم السيطرة على بعض الحكام الثائرين ضد الإمبراطورية. خاصة أنه كانت هناك أسر لها نفوذ قوي وشبه استقلال ذاتي، وقد تمكن عمدا صيون من إسقاطهم عن طريق هذه الفرق وقام بتعيين رجال ليسوا من نسل آدم أطلق عليهم هلاستيوتت Halastiyotat من الطبقة الدنيا. للمزيد انظر:

Paul B. Henze: op. cit , p.66.

4 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص23.

5 - إضافة إلى هذه المناصب العسكرية كان هناك أيضًا العديد من المناصب المدنية نذكر منها رئيس القرية Shum وهو الذي يضطلع بأعباء الحكم في شطر صغير من المقاطعة، وتتماثل المهام الموكلة إليه مع تلك التي يقوم بها العمدة في مصر، ويزيد عليه حقه في امتلاك طبول الموسيقى والخدمة أثناء الحرب أسوة بشاغلي منصب الرأس. أما عن مكان إقامة شاغلي هذا المنصب فهي دار تسمى بيت نجاش (Soitan Negus) ومعناها دار الملك، والتي كانت تنتشر في كل المقاطعات ولا يستخدمها إلا شاغلو هذا المنصب. كما وجد أيضًا منصب الأدك شنطاط وهو يمثل أحد نواب الإمبراطور في

على أية حال، يمكن القول إن جميع المناصب السالفة الذكر، لم يحدد لها اختصاصات ومهام ثابتة في كل عهود الأسرة السليمانية، بل عمد كثير من الأباطرة على تغيير هذه الاختصاصات وفقًا لاحتياجات الإمبراطورية وتبعًا لرغبتهم الشخصية كذلك. فعلى سبيل المثال أجرى بئيد ماريام عدة تغييرات في اختصاصات شاغلي المناصب التي أنشأها والده زرء يعقوب، فقد عين "الصحافي لام"[1] في مناطق شوا وأمحرة وأنجوت والداموت بعد أن شغله في عهد أبيه "الراق مساريه"[2]، وعين "أزماتش" في مناطق بجه مدار[3] والذي كان في عهد أبيه هو "الراق مساريه" كذلك، وعين أيضًا في منطقة فطجار منصب أطلق عليه "هاسجوا"[4] بينما كان في عهد أبيه "الملكينا"[1] وبينما كان منصب الراق

المقاطعة، وهو من المناصب التي استحدثت للمساهمة في إدارة وتسيير أمور المقاطعات الحبشية في العصور الوسطى. للمزيد انظر:

Francisco Alvarez: op, cit ,p.234, Budge: op.cit,p.580, Huntingford: The glorious victories of amda tseyon,.p.88, Blundell; op,cit,p.509, and Taddesse tamrat: op.cit., pp.97,141.

1 - وهو من المناصب المدنية وهو أيضًا من المناصب القديمة جدًا واختص شاغلو هذا المنصب بمهمة حصر وتسجيل ممتلكات المقاطعة من الماشية والأغنام وهو الأمر الذي يعكس اهتمام الأباطرة الأحباش بكل صغيرة وكبيرة في المملكة.

2 - راق مساريه أو راق ماسريه: يرد هذا اللقب في أكثر من صيغة لذلك تختلف التفسيرات حوله، فيرد في بعض النصوص بمعنى "سوط" بالأمهرية، أو بمعنى "عصا الحاجب" في الجعزية، ولكن يشير بعض الباحثين أنه كان موظف كبير في البلاط، وهو مسؤول عن إعطاء إذن الدخول للإمبراطور، أو هو مدير المراسم المسؤول عن الموائد الملكية. انظر مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 13.

3 - وهي من الإمارات الصغيرة جدًا في الحبشة، وهي تمتد بمحاذاة النيل لتصل إلى حدود أمارا وأنجوت ومملكة تجري. انظر:

Huntingford: op,cit,,pp.97-119.

4 - هيجنو أو هاسجوا: ليس هناك تفسير واضح لهذا اللقب، إلا أنه من الواضح أنه حاكم فاطجار في العصور الوسطى، وهو أيضًا يحمله اثنان من الأفراد. انظر مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 13.

مساريه هو المسيطر في إيفات فقد تغير إلى "ولاسماع" في عهد بئيد مريم، أما المنصب الوحيد الذي أبقى عليه بئيد مريم فهو منصب "الجراد" في هدية، كما تحول منصب "الراق مساريه" الذي كان منصبًا إداريًا إلى منصب ديني يعني "معلم الدير"[2].

وبالإضافة إلى ما سبق فقد استحدثت أحيانًا مناصب جديدة حسب مقتضيات أمور الإمبراطورية لم يكن لها وجود فيما سبق، فعلى سبيل المثال استحدث زرء يعقوب منصب البحت ودد (الوزير الأول)[3]، والذي لم يكن له وجود قبل عهد ذلك الإمبراطور. كما يتضح من خلال استعراض هذه الألقاب والمناصب بصفة عامة، أن هناك ألقابًا تداخلت بعضها مع بعض فكان من الصعب أن يحدد لها صفة خاصة. فبعض الألقاب مزيج من اختصاصات عسكرية وأخرى مدنية، والبعض الآخر له صفات مدنية وأخرى دينية وهو الأمر الذي أدى إلى صعوبة تصنيفها مثل لقب "أزاج"[4] الذي يعني "قاض" كما يعني أيضًا (قائد)[5].

1 - منصب الملكينا: ويعد شاغلو هذا المنصب هم المندوبون المحليون للإمبراطور، الذين شغلوا وظائف الرؤساء الإداريين للمقاطعات الصغيرة، وكلفوا بعدة مهام منها فرض القانون وجمع الضرائب.

2 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص100.

3 - وهو منصب الوزير الأول الذي سبق ذكره في المناصب الحربية.

4 - أزاج: المعنى الحرفي للكلمة هو رئيس أو آمر، وهو أمير وقاض في نفس الوقت، وهو لقب يرتبط بالقضاة الأربعة المختصين لمحكمة البلاط الملكي ويبتون في الدعاوى المدنية. وقد أصبح معناه فيما بعد "قائد" ومن هنا فقد أصبح لقبًا عسكريًا ودينيًا في نفس الوقت، بينما يذكر السير بدج أن صاحب هذا المنصب يشغل وظيفة وكيل خراج الملك ثم أصبحت بعد ذلك بمعنى "ناظر أملاك الملك" أو "أمين مالي". انظر محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص377.

5 - محمد خليفة حسن: المرجع السابق، ص382.

الفهرس

يتناول هذا الكتاب فترة هامة في تاريخ القارة الأفريقية بشكل عام، وتاريخ الحبشة على نحو خاص، وهو يتميز بالعديد من الجوانب الهامة، إذ اعتمد على العديد من الوثائق الحبشية (باللغات الأمهرية والجعزية) التي تم الكشف عنها مؤخراً، والقيام بمجهود كبير لترجمة هذه الوثائق عن طريق المتخصصين في هذا المجال، فضلا عن ان فترة الدراسة هى من أهم الفترات في تاريخ الحبشة، نظراً لوجود الإمبراطور زرء يعقوب Zara Yaqob (٨٣٨ – ٨٧٣هـ / ١٤٣٤- ١٤٦٨م) الذي استطاع النهوض بالبلاد في جميع المجالات، والإمبراطور لبنا دنجل Lebna Dengel(٩٦٤-٩٤٧هـ/١٥٠٨-١٥٤١م) الذي تميزت فترته بكثرة الحروب مع المسلمين الذين حاولوا التوغل داخل أرجاء البلاد.

على أية حال يمكن القول أنه يوجد إجماع لدى المؤرخين عى أن اسم الحبشة هو الإسم الصحيح لما يطلق عليه حالياً" أثيوبيا" لأنه يشمل مجموعة من السكان ذوي ثقافة محددة تعيش في أرض واحدة ومذهب مسيحي واحد. وبالتالي فهو "أي الحبشة" أكثر انطباقاً على الأرض والشعب سواءً من الناحية الأثنولوجية أو التاريخية أو الجغرافية. وعلى ذلك فمن الخطأ تاريخياً إطلاق إسم أثيوبيا على هذا الجزء الحبشي، فهم ليس لهم صلة بأثيوبيا، لأن الحبشة تنتمي إلى أحباش أكسوم القدماء الذين أشارت المراجع إلى انتمائهم إلى أصل يمني قديم.



د / محمد علي بهنساوي..

ليسانس الآداب - قسم التاريخ - جامعة القاهرة - مايو ١٩٩٧.

حاصل على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي جامعة القاهرة - ٢٠٠٩م .

حاصل على درجة الدكتوراة من جامعة القاهرة في التاريخ الإسلامي- سبتمبر ٢٠١٢م .

له العديد من الأبحاث العلمية المنشورة في المجلات التاريخية المختلفة مثل : مجلة المؤرخ المصري - المؤرخ العربي - حولية التاريخ الإسلامي والوسيط بآداب عين شمس ، وغيرها من المجالات الأخرى .

عضو اتحاد المؤرخين العرب - عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

تصميم الغلاف: محمد دياب



